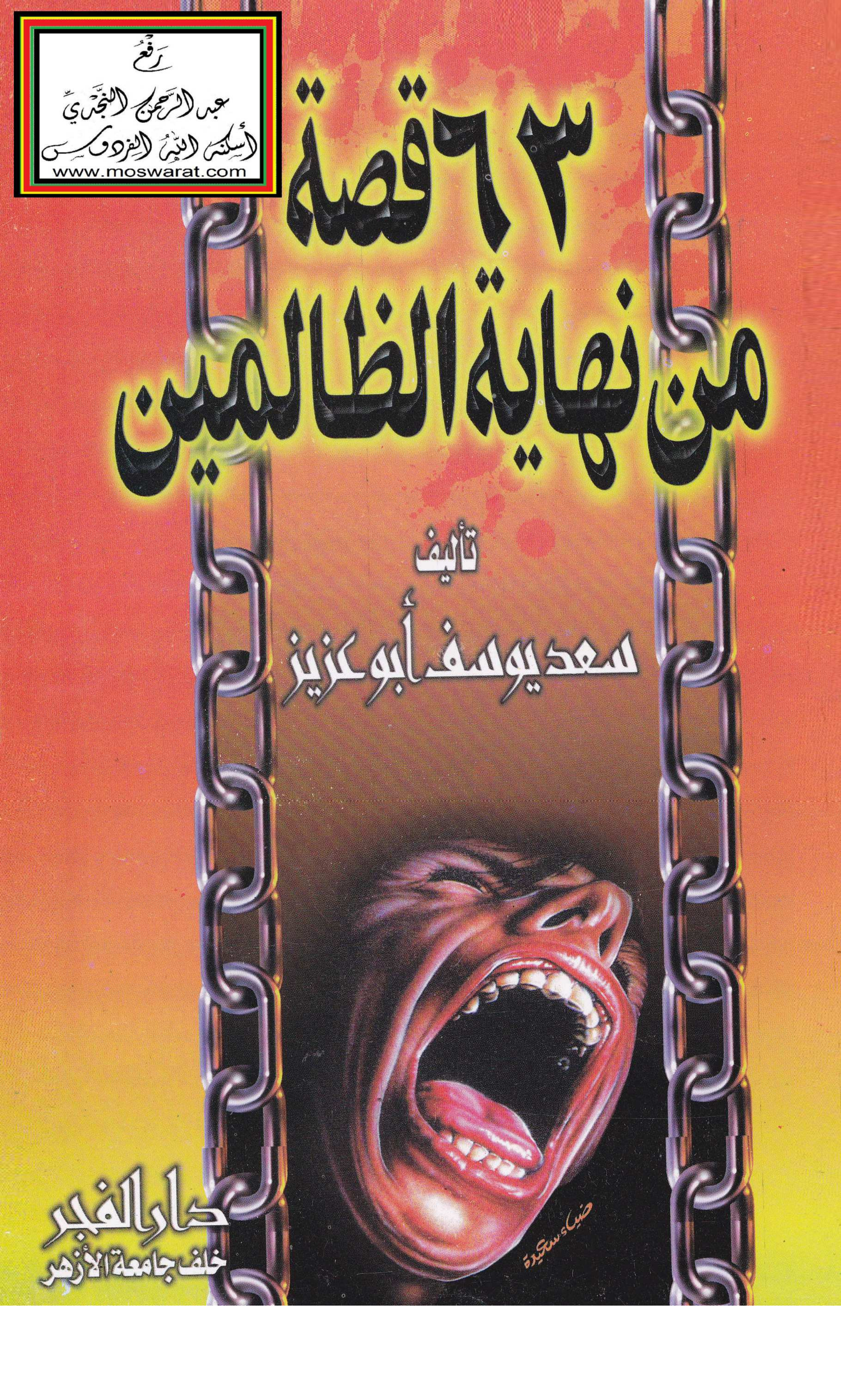


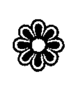
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
٦٣ قصة
من نهاية الظالمين
تأليف
سعد يوسف أبو عزيز
دار الفجر
خلف جامعة الأزهر


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٦٣ قصة من نهاية الظالمين

جمع وإعداد
سعد يوسف أبو عزيز

دار الفجر للتراث
القاهرة
خلف الجامع الأزهر . القاهرة






﴿ وقل رب زدني علما ﴾

* الكتاب : ٦٣ قصة من نهاية الظالمين
* المؤلف : أ/ سعد يوسف أبو عزيز
* سنة الطبع : الطبعة الثانية ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م
* الناشر : دار الفجر للتراث - القاهرة
* عدد الصفحات : ١٨٤ صفحة
* رقم الإيداع : ٢٠١٣/٧٠٢٨م

الترقيم الدولي ٤-٨١-٦٤٤٠-٩٧٧-٩٧٨

E-mail dar_elfagr @ hotmail.com

دار الفجر للتراث

خلف الجامع الأزهر / القاهرة


تليفون ٢٥١٤٧١٧٩ - تليفون وفاكس ٢٥١٤٧٢٤٨



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قد خلت من قبلكم سُنَنٌ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبةُ المكذبين * هذا بيانٌ للناس وهدى وموعظةٌ للمتقين ﴾ [آل عمران: ١٣٧، ١٣٨] .

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بين يدي الكتاب

الحمد لله الذى أرغم بقوته أنوف الجبابرة، وقصم بعزته ظهور المتكبرة، وأذل بسلطانه الطغاة والأكاسرة، فشتت شملهم، وبعثر جمعهم، وخرب ديارهم، ومزقهم كل ممزق: ﴿ **إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾[سبأ: ١٩] .

- وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير « يقبض الله تعالى الأرض ويطوى السماء بيمينه[١] ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض »[٢] .

- وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله - اللهم صلى عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال فى الحديث الشريف: « بُعِثْتُ بالسيف بينَ يدى الساعة حتى يُعْبَدَ اللهُ وحده لا شريكَ له، وجُعِلَ رزقى تحت ظلِّ رُمحى، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَارُ على مَنْ خالف أمرى، ومن تشبَّه بقومٍ، فهو منهم »[٣] قال ابن القيم معلقا على هذا الحديث « وكما أن الذلة مضروبة على من خالف أمره، فالعزة لأهل طاعته ومتابعته »[٤] .

وبعد ...

فالذى يقلب صفحات التاريخ الماضى والحاضر، يظهر له جليًا كيف كان عاقبة الأشرار ومآل الفجار، كيف طواهم الزمن: ﴿ **فما بكتْ عليهمُ السماءُ والأرضُ وما كانوا مُنْظَرِين** ﴾ [الدخان: ٢٩]. والذى يتتبع سِيَر الظالمين ونهايتهم يتذكر قول الله تعالى:

---

(١) أى يوم القيامة .

(٢) حديث صحيح. رواه البخارى عن أبى هريرة مرفوعًا إلى النبى ﷺ .

(٣) حديث حسن رواه أحمد فى المسند (٢/ ٥٠، ٩٢) وجود إسناده ابن تيمية فى « الإقتضاء » ص٣٩، وصححه الحافظ العراقى فى الإحياء (انظر زاد المعاد جـ ١ ص ٣٥) .

(٤) زاد المعاد (جـ ١ ص ٣٥) بتحقيق الأرناؤوط .

﴿فانْظُرْ كيف كان عاقبةُ مَكْرِهم أنا دمرناهم وقَوَمْهمْ أجمعين * فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا إن فى ذلك لأيةً لقومٍ يعلمون﴾ [النمل: ٥١، ٥٢] .

وفى هذا الزمن الذى نعيش فيه، استغلظ عودُ الجريمة، وقويت شوكةُ الضلال، ونسمع كل يوم عن حوادث سرقة، ورشوة، وزنا، وقتل، واغتصاب، وخيانة، وتحايل، وتطاول على الله رب العالمين، وعلى رسوله الأمين - ﷺ - وعلى شرع الله المطهر، وخربت الذمم، وانتشر الكذب، وأهدرت كرامة السنة المطهرة، وعلت أصوات الملحدين والعلمانيين والمفترين، وغفل أكثر الناس عن لقاء الله رب العالمين، فهم فى غيهم يعمهون، وعن المحجة البيضاء شاردون، فترك الكثير منهم الصلاة، ومنعوا الزكاة، وجهروا بالمعاصى، ففشت الأمراض التى لم تكن فى أسلافنا الذين مضَوْا و: **﴿ أزفت الآزفةُ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾** [النجم: ٥٧، ٥٨].

ولما رأيت ذلك أردتُ أن أطرح قاربًا من قوارب النجاة، لعله يكون سببًا فى إنقاذ الغرقى، وعساه أن يكون دليلاً للتائهين والشاردين، ومنارًا للسالكين والمهتدين، فأمسكت بقلمى وشحذت همتى ونيتى، واستعنت بربى وصنفت هذا الكتاب عن مصارع الظالمين وعاقبتهم، سائلاً المولى جَلَّتْ قدرتُه أن يتقبله منِّى بقبول حَسَن وأن يجعله قربة له وحده أنال بها رحمته كما قال تعالى: **﴿ ألا إنها قربةٌ لهم سيدخُلُهمُ اللهُ فى رحمته. إن الله غفور رحيم ﴾** [التوبة: ٩٩] .

وحسبى أنى بذلت جهدى واستطاعتى

لكنَّ قُدْرَةَ مِثْلي غَيْرُ خافيةٍ والنَّمْلُ يُعْذَرُ فى القَدْر الذى حَمَلا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

كتبه

سعد يوسف محمد أبو عزيز

(١) إبليس زعيم الهالكين

إبليس خلق من النـار. قال تعـالى: ﴿ **والجـانَّ خلقْنَاهُ من قَـبْلُ منَ نَارِ السَّمُـوم** ﴾ [الحجر: ٢٧]. - وعن عائشة - رضى الله عنهـا - قالت: قال رسول الله ﷺ « خُلقت الملائكة من نـور، وخُلق الجـانُّ من مـارجٍ من نَّار، وخُلـق آدمُ مماوُصف لكم »[١]، قلت: وأطبقت كلمة الأمة على أن الجن خلقت قبل آدم عليه السلام.

والنصوص تثبت أن إبليس - لعنه الله - من الجن. قال تعالى: ﴿ **إلا إبليس كان من الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أمرِ ربه** ...﴾ الآية [الكهف: ٥٠].

وعن ابن عبـاس كان اسم إبليس قبل أن يرتكب المعـصية « عـزازيل »، وكذلك قال سـعيد بن جـبير، وقال الحـسن البصرى: « لم يكن مـن الملائكة طرفة عين وأنه لأصل الجن كما أن آدم أصل البشر »[٢].

قالوا: فلما أراد الله تعالى خلق آدم ليكون فى الأرض هو وذريته من بعده وصور جـثـتـه منها جـعل إبليس وهو رئيس الجان وأكثرهم عبـادة إذ ذاك يطيف به فلما رآه أجـوف عرف أنه خلق لا يـتمـالك، وقال: أمـا لئن سلطتُ علـيك لأهلكنك ولئن سلطتَ علىَّ لأعصينك. فلما أن نفخ الله فى آدم من روحـه وأمر الملائكة بالسجود له دخل إبليس منه حسد عظيم وامتنع من السجود له وقال: ﴿ **أنا خيرٌ منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾ [الأعراف: ١٢]، فخالف الأمر واعترض الرب عز وجل وأخطأ فى قوله وابتعد من رحمة ربه وأنزل من مرتبته التى كان قد نالها بعبادته وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم لأنه مخلوق من نار وهم من نور فخـانه طبعه فى أحوج ما كان إليه ورجع إلى أصله النارى ﴿ **فسجد الملائكةُ كلهم أجمعون إلا إبليس استكْبَرَ وكان من الكافرين**﴾ [الحجر: ٣٠]، فأهـبط إبليس من الملأ الأعلى فنزل إلى الأرض حـقيرًا ذلـيلاً مذءومًا مدحورًا متوعدًا بالنار هو ومن اتبعه من الجن والإنس»[٣].

---

(١) حديث صحيح: رواه مسلم.

(٢) البداية والنهاية ص ٥٨ جـ ١.

(٣) [البداية والنهاية باختصار صـ ٥٨ - ٥٩ جـ١.

قلت: فلما طرده الله ولعنه إلى يوم الدين طلب الإنظار إلى يوم القيامة وتوعد آدم وذريته. قال تعالى: ﴿ **قال أنْظرنى إلى يوم يُبْعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومِنْ خَلْفِهم وعن أَيْمَانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * قال أخرج منها مذءومًا مدحوراً لمن تَبعَكَ منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين**﴾ [الأعراف: ١٤، ١٨] .

قال ابن كثير: فإبليس لعنه الله حَيٌّ الآن مُنْظر إلى يوم القيامة بنص القرآن، وله عرش على وجه البحر وهو جالس عليه ويبعث سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن .

عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « عرش إبليس فى البحر يبعث سراياه فى كل يوم يفتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس »(١) .

وعن جابر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الشيطان يضع عرشه على الماء يبعث سراياه فى الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة. يجىء أحدهم فيقول ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا، فيقول إبليس لا والله ما صنعت شيئًا. ويجىء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله. قال فيقربه ويدنيه ويقول نعم أنت»(٢) .

بمعنى: نعم أنت ذاك الذى تستحق الإكرام وبكسرها أى نِعْمَ منك(٣).

* * *

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٣٢)، (٣/ ٣٨٤) وهو صحيح .

(٢) حديث صحيح: رواه الإمام مسلم .

(٣) البداية والنهاية باختصار (جـ ١ ص ٦٢-٦٣) .

مداخل الشيطان على الإنسان

ذكر ابن القيم - رحمه الله - ست مراحل يتدرج الشيطان بها لإيقاع الإنسان فى الهلاك :

المرحلة الأولى: يسعى الشيطان لأن يكفر الإنسان أو يشرك، فإذا لم يستطع أن يظفر بذلك نزل إلى المرحلة الثانية .

المرحلة الثانية: وهى مرحلة البدعة، وهى أن يجعل الإنسان يبتدع، ويطبق البدع، فإذا كان ذلك الرجل من أهل السنة، بدأ معه فى المرحلة الثالثة .

المرحلة الثالثة: وهى مرحلة الكبائر ، مرحلة المعاصى الكبيرة، فإذا كان ذلك الرجل قد عصمه الله من تلك الأمور، فإن الشيطان لا ييأس .

المرحلة الرابعة: وهى مرحلة الصغائر، فإذا عصم منها.

قلت: أى يتحرز من الوقوع فيها فإذا ألَمَّ بذنب صغير سارع بالتوبة والإنابة. فإن الشيطان يبدأ مع العبد بأسلوب آخر .

المرحلة الخامسة: وهى أن يشغل الشيطانُ الإنسانَ بالمباحات بحيث ينشغل الإنسان فيضيع وقته فى أمر مباح، فلا ينشغل بالأمور الجادة .

المرحلة السادسة: وهى أن يُشغل الإنسان بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، بعمل معين طيب، ولكنه ينشغل به عما هو أطيب منه، كأن ينشغل مثلاً بسنة عن فريضة، ينشغل بالسنة ويترك الفريضة .

قلت: وليس معنى هذا أذن أن يترك الإنسان السُّنَّة ويُحقِّر من شأنها، ويعتبر تطبيقها عقبة فى انتصار الإسلام!! لا ولكن عليه أن يطبق الدين بشموله، فروضه وسننه، الأمور الظاهرة منه والباطنة شريطة ألا تشغله السنة عن الفريضة والله الموفق .

فائدة : قدَّم ابن القيم - رحمه الله - البدعة على الكبيرة، لأن البدعة أحب إلى إبليس من الكبيرة. **قال** سفيان الثورى: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية

يثاب منها والبدعة لا يثاب منها»[١] ومعنى يثاب: يرجع .

قلت: لاعتقاد الإنسان فى البدعة أنها تقربه من الله تعالى وهى ليست كذلك .

* مداخل أخري للشيطان:

للشيطان مداخل أخرى يستطيع من خلالها تحقيق أهدافه منها :-

(١) **الغضب والشهوة:** فإن الغضب هو غول العقل ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبى بالكرة .

(٢) **ومن أبوابه:** الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصًا على شىء أعماه حرصه وأصمه وجعله منقادًا للضلال .

قلت : وكان الحسن يقول: « أصول الشر ثلاثة: الحرص، والحسد، والكبر. فالكبر منع إبليس من السجود لآدم، والحرص أخرج آدم من الجنة، والحسد حمل ابن آدم على قتل أخيه »[٢] .

(٣) **ومن أبوابه:** الشبع من الطعام وإن كان حلالاً فإن الشبع يقوى الشهوات، والشهوات من أسلحة الشيطان .

قلت: قال وهيب بن الورد: بلغنا أن الخبيث إبليس تبدى ليحيى ابن زكريا عليهما السلام فقال له: « إنى أريد أن أنصَحَكَ قال: كذبتَ أنتَ لاتَنْصَحُنى ولكن أخبرنى عن بنى آدم .

قال إبليس: هم عندنا ثلاثة أصناف، أما صنف، منهم فهم أشد الأصنافِ علينا نُقْبِلُ حتى نَفْتِنُهُ ونستمكن منه .

ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فَيُفْسدُ علينا كل شىء أدركنا منه. ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن نُدرِكُ منه حاجتنا فنحنُ من ذلك فى عناء .

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزى (ص ١١) .

(٢) إيقاظ أولى الهمم العالية إلى اغتنام الأيام الخالية (ص ١٨٢) .

وأما الصنف الآخر، فهم بَيْن أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صِبْيَانِكم نتلقفُهُم كيف شِئْنَا فقد كَفَونا أنفسهم .

وأما الصنف الآخر فهم مِثلُك معصومون لا نقدرُ منهم على شيء. فقال له يَحْيىَ: على ذاك هَلْ قدِرْت منى على شيء ؟

قال: لا إلا مَرَّةً واحدة فإنك قَدَّمْتَ طعامًا تأكله فلم أزلْ أشَهِّيه لك حتى أكلتَ أكثر مما تريدُ فنمْتَ تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة كما كُنْتَ تقومُ إليها .

قال: فقال له يحيى: لا جَرَمَ لا شَبِعْتُ من طعام أبدًا حتى أموت .

فقال له الخبيثُ: لا جَرَمَ لانَصَحْتُ آدميًا بَعْدَك »(١) .

(٤) **ومن أبوابه:** الطمع في الناس، لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده .

(٥) **ومن أبوابه:** العجلة وترك التثبت فى الأمر، وعند العجلة يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدرى فالعجلة من الشيطان والتأنى من الله .

(٦) **ومن أبوابه:** التعصب للمذاهب والأهواء والمشايخ والحقد على الخصوم .

(٧) **ومن أبوابه:** سوء الظن بالمسلمين. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾ [الحجرات: ١٢] .

(٨) **ومن أبوابه:** البخل والخوف من الفقر قال سفيان: «ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر، فإذا قبل منه أخذ فى الباطل، ومنع من حق وتكلم الهوى، وظن بربه ظن السوء »(٢) .

وقال حاتم الأصم: « ما من صباح إلا والشيطان يقول لى. ماذا تأكل؟ وماذا تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول: آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر »(٣).

---

(١) إيقاظ أولى الهمم العالية (صـ ١٣٠) .

(٢) مكايد الشيطان للشيخ طه العفيفى (صـ ١٢٤- ١٢٩) باختصار .

(٣) الرسالة القشيرية (صـ ١٧) .

* صور من مكايد الشيطان :

(١) **من كيد الشيطان للإنسان**: أنه يورده الموارد التى يخيل إليه أن فيها منفعته ثم يصدره المصادر التى فيها عطبه، ويتخلى عنه، ويسلمه، ويقف يشمت فيه ويضحك منه. كما قال تعالى ﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىءٌ منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ [الأنفال:٤٨] .

(٢) **ومن كيده**: أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه فلا يجاهدونهم، كما قال الله تعالى: ﴿ **إنما ذالكم الشيطان يخوف أولياءَه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

(٣) **ومن كيده**: أنه يزين الفعل الذى يضر الإنسان، حتى يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذى هو أنفع الأشياء له حتى يخيل إليه أنه يضره، وكم فتن بهذه الحيل من إنسان، وكم حلاً الباطل وأبرزه فى صورة مستحسنة، ومنع الحق وأخرجه فى صورة مستهجنة، فزين للناس عبادة الأصنام وقطيعة الرحم، ونكاح الأمهات ووعدهم الفوز بالجنات، مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى قالب التودد إلى الناس وحسن الخلق معهم .

(٤) **ومن كيده**: الحث على الغلو فى الدين أو التفريط فيه .

يقول بعض السلف: « ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان إما إلى التفريط والتقصير، وإلى إما مجاوزة وغلو ولا يبالى بأيهما ظفر » .

(٥) **ومن كيده**: تزيين كلام الباطل، والآراء المتهافتة، والخيالات المتناقضة التى هى زبالة الأذهان ونحاتة الأفكار والزبد الذى يقذف به القلوب المظلمة المتحيرة التى تعدل الحق بالباطل والخطأ بالصواب فمركبها القيل والقال، وكثرة الجدال، ليس لها حاصل من اليقين يعول عليه، ولا معتقد مطابق للحق يرجع إليه، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، قد اتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورًا فهم فىّ شكهم يعمهون وحيرتهم يترددون أعاذنا الله من ذلك .

(٦) **ومن كيده لأهل الصلاح والعلماء**: أنه يغرى الناس بتقبيل يده، والتمسح به، والثناء عليه، وسؤاله الدعاء، ونحو ذلك، حتى يرى نفسه ويعجبه شأنها، فلو قيل له: إنك من أوتاد الأرض، وبك يدفع البلاء عن الخلق ظن ذلك حقًا، وذلك كل الهلاك، فإذا رأى من أحد الناس تجافيًا عنه، أو قلة خضوع له، تذمر لذلك ووجد فى باطنه، وهذا أشر من أرباب الكبائر المصرين عليها وهم أقرب إلى السلامة منه .

قلت: وعن هؤلاء قال الحسن: « كم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بستر الله عليه » .

(٧) **ومن كيده**: أمرهم بلزوم زى واحد ولبسة واحدة وهيئة واحدة ومشية معينة وشيخ معين وطريقة مخترعة، ويفرض عليهم لزوم ذلك بحيث يلزمونه كلزوم الفرائض فلا يخرجون عنه ويقدحون فيمن خرج عنه ويذمونه .

(٨) **ومن كيده**: الوسواس الذى كادهم به فى أمر الطهارة والصلاة عند عقد النية حتى ألقاهم فى الأصفاد والأغلال وأخرجهم عن إتباع سنة رسول الله ﷺ، وخيل إلى أحدهم أن ما جاءت به السنة لا يكفى حتى يضم إليه غيره، فجمع لهم بين هذا الظن الفاسد والتعب الحاضر وبطلان الأجر وتنقيصه، حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله أو صلى كصلاته فوضوؤه باطل وصلاته غير صحيحة !!

* إبليس يتبرأ من أتباعه يوم القيامة :

عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين فقضى بينهم ففرغ من القضاء. قال المؤمنون: قد قضى بيننا ربنا، فمن يشفع لنا؟ فيقولون: إنطلقوا بنا إلى آدم، وذكر نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى. فيقول عيسى: أدلكم على النبى الأمى، فيأتونى، فيأذن الله لىّ أن أقوم إليه فيثور[١] من مجلسى من أطيب ريح شمها أحد قط، حتى آتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورًا من شعر رأسى إلى ظفر قدمى، ثم يقول الكافرون: هذا قد وجد المؤمنون من يشفع لهم، فمن يشفع لنا؟ ما هو إلا إبليس هو الذى أضلنا، فيأتون إبليس فيقولون: قد

---

(١) يثور: يفوح .

وجد المؤمنون من يشفع لهم، فقم أنت فاشفع لنا، فإنك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه من أنتن ريح شمها أحد قط، ثم يَعْظُم نحيبهم[١] : ﴿ **وقال الشيطان لَمَّا قُضى الأمرُ إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخىَّ إنى كفرتُ بمَا أشركتمونِ من قبل إن الظالمين لهم عذابٌ أليمٌ** ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

قال ابن كثير: وهذا سياق ابن أبى حاتم، ورواه ابن جرير[٢] .

وعن الحسن: إذا كان يوم القيامة قام إبليس خطيبًا على منبر من نار فقال: ﴿ **إن الله وعدكم** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وما أنتم بمصرخىّ** ﴾ قال: بناصرىّ. ﴿ **إنى كفرت بما اشركتمون من قبل** ﴾ قال: بطاعتكم إياى فى الدنيا [٣] .

* * *

(٢) قابيل أول قاتل فى تاريخ البشرية

ما أحقر الإنسان عندما يموت ضميره، وتقوده شهوته، وتتلبد مشاعره، ويتحجر قلبه إنه يتحول إلى وحش كاسر، وإلى ثعلب ماكر، وإلى شيطان مريد. لعنه الله .

- لا تنفعه المواعظ، ولا يُنتظر منه رحمة، لقد أمسك الشيطان بزمامه وغلبت عليه شقوته نعوذ بالله من ذلك .

* كيف بدأت المأساة ؟

أقول: وقيل أن نبدأ فى سرد القصة، نعطى أولاً فكرة عن صاحبى القصة، وهما من أولا آدم عليه السلام .

الأول قابيل: كان رجلاً أنانيًا، تملكت عبادة الذات من نفسه، فطمست على عينه وقلبه، وكان يعمل: « حَرَّاثًا » أى يشتغل بالزراعة .

---

(١) نحيبهم: بكاءهم .

(٢) تفسير ابن كثير (جـ ٢ ص ٨١٩) وسكت عن إسناده، ولكن قال الشوكانى: « ضعف إسناده السيوطى » فتح القدير (جـ ٣ صـ ١٠٥) .

(٣) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم (فتح القدير جـ ٣ ص ١٠٥).

الثانى: هابيل: كان أخوه من بطن ثانية، وكان رجلاً طيبًا صالحًا، يحب الخير للغير، عابدًا لله، موقرًا لأوامره، وكان يعمل برعى الأغنام .

*** ماذا حدث ؟**

انجبت حواء عشرين بطنًا لآدم فى كل بطن ذكر وأنثى، وكانت الشريعة آنذاك تقضى أن يتزوج الرجل توأمته التى ولدت معه، كان ذلك لضرورة الحال .

ولدت حواء قابيل ومعه أخت جميلة تسمى: « لوذا » وولدت هابيل ومعه أخت تسمى: « إقليميا »[1] .

كبر الأبناء، وشبَّ الإخوة فى رعاية أمهم حواء وأبيهم آدم، وبلغ الأبناء مبلغ الشباب، وأخذ قابيل وهابيل يضربان فى الأرض طلبًا للرزق، وسعيًا وراء متطلبات الحياة، وكان قابيل - وهو أكبر ولد آدم[2] - صاحب زرع وحرث.. وكان هابيل صاحب ماشية وغنم، وبعد مضى فترة من الزمن، أحبّ كل من قابيل وهابيل أن تكون له زوجة ليسكن إليها، وأفضيا بذلك إلى والديهما، وأوحى الله عز وجل إلى آدم أن يزوّجَ قابيل من توأمة هابيل، ويزوّج هابيل من توأمة قابيل .

عن سعيد بن المسيب قال: إن الله أمَرَ آدمَ أن يفرقَ فى النكاح من كلٍّ بطن هذا لتلك، وتلك لهذا ...

امتثل آدمُ أمْرَ ربه، وأفضى لقابيل وهابيلَ بما أمره الله، إلا أن قابيل رفض ما قاله آدم، ولم يَرْضَ بهذا الزواج، لأنه اعتبر أن توأمة هابيل أقلَّ جمالاً من توأمته، وحَسَدَ أخاه هابيل على الزواج من شقيقته (لوذا) ولم يرضَ بالقسم وجَمَحَ عن طاعة والده، ولَعِبَتْ به نوازعُ الشر والفساد، ولعب به الحَسَدُ ذات اليمين وذات الشمال، بينما ظل هابيل يحتفظ بالهدوء والسكينة والوقار، وامتثل ما أمره به والده آدم .

---

(١) انظر غرر التبيان لابن جماعة الحموى (ص ٢٤٥) - والإتقان (جـ ٢ ص ١٠٩٣)، والطبقات الكبرى (١/ ٣٦) .

(٢) حياة الحيوان للدميرى (٢/ ١٠٧) .

* قصةُ القُرْبان :

قال آدم لقابيل: « إن كنت لا ترض، فقرّبا قربانًا، فقربانكما سيقضى بينكما، قال قابيل: وكيف يقضى بيننا؟! قال آدم: من يُقبلُ قربانه فهى له»(١). أى الأخت الجميلة « لوذا » .

وكان قربانهما أن يتقرَّبا بقربانٍ، ثم يلقيانه على وجه الأرض، حتى تأتى نار، فتأكله »(٢) .

عمد هابيل إلى كبش سمين ليقربه إلى الله، وعمد قابيل إلى حزمة من القمح رديئة ليقربها إلى الله، وفى بعض الروايات - أنه رأى فيها سنبلة كبيرة فأخذها وفركها وأكلها .

وعمد كل واحد منها فوضع قربانه على مكان عالٍ، فنزلت نار من السماء فحملت كبش هابيل ورفعته إلى السماء [جاء عن ابن عباس وغيره - أن هذا الكبش رفع إلى الجنة وظل يرتع فيها إلى أن نزل على إبراهيم ليفتدى به إسماعيل من الذبح](٣) .

وحسد قابيلُ أخاه هابيل، وانبعثت شروره، وعندئذ قال لأخيه هابيل: قُبِل قربانك، ولم يُتقبل قرباني، لأقتلنك، فأجابه هابيل: ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطتَ إلىّ يدَكَ لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله ربَّ العالمين * إنى أريد أن تبوأَ بإثمى وإثمكَ فتكون من أصحاب النار وذلك جزاؤا الظالمين**﴾ [المائدة: ٢٨، ٢٩] قال ابن كثير: وهذا الكلام متضمن موعظة له لو اتعظ وزجرًا لو انزجر(٤) وقال ابن عباس: خوفه بالنار فلم ينته ولم ينزجر .

وبذلك صوّر له هابيل إشفاقه هو من جريمة القتل، ليَثْنيه عمّا تراوده به نفسه، وليخجله من هذا الذى تحدّثه به نفسه تجاه أخ مسالم وديع تقى (٥) .

---

(١) جاء ذلك عن ابن عباس، وكعب، وعبد الله بن سلام رضى الله عنهم .

(٢) نساء الأنبياء فى ضوء القرآن والسنة، أحمد خليل جمعة (ص ٥٥، ٥٦) باختصار .

(٣) تفسير ابن كثير (جـ ٢ ص ٦٧) وقال إسناد جيد .

(٤) تفسير ابن كثير (جـ ٢ ص ٧١) .

(٥) نساء الأنبياء فى ضوء القرآن والسنة (ص ٥٩) .

قال تعالى: ﴿ **فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين** ﴾ .

فطوعت له نفسه أى: « حَسَّنَتْ وسولت وجَمَّلَتْ وزَيَّنت » .

« قَتْلَ أخيه فقتله » قيل: ضربه بحجر، وقيل: بحديدة فقتله .

« فأصبح من الخاسرين » نعم أصبح من الخاسرين ...

خَسِرَ نفسه فأوردها موارد الهلاك والبوار.. وخسرَ أخاه، وفقد بذلك الناصر والرَّفيق. وخسَر أباه وأمّه. إذا ستنزل بذلك غضَبَ الله عليه بسبب غضبهما. وخسر دنياه فما تهنأ للقاتل حياة، وخسر آخرته فباءَ بإثمه الأول، وإثمه الأخير (١) .

❊ فماذا كانت العاقبة ؟

قال ﷺ: « ما من ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم »(٢) .

قال مجاهد: [علقت إحدى رجلى القاتل بساقها إلى فخذها من يومئذ ووجهه فى الشمس حيثما دارت دار، عليه فى الصيف حظيرة من نار، وعليه فى الشتاء حظيرة من ثلج](٣) .

وقال عبد الله بن عمرو - رضى الله عنه -: [إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة. العذاب عليه شطر عذابهم](٤) .

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل »(٥) .

وعن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول: « إن أشقى الناس رجلاً لابن آدم الذى قتل أخاه، ما سفك دم فى الأرض منذ قتل أخاه إلى يوم القيامة إلا لحق به منه شر، وذلك أنه أول من سن القتل »(٦) .

---

(١) نفس المرجع السابق .
(٢) حديث صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢٩) وأبو داود، (٤٩٠)، والترمذى وابن ماجه .
(٣، ٤) تفسير ابن كثير (جـ ٢ ص ٧٢) .
(٥) صحيح: رواه الجماعة سوى أبى داود .
(٦) تفسير ابن كثير (جـ ٢ ص ٧٢) .

وقال إبراهيم النخعى: « ما من مقتول يقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول والشيطان كفل منه »[١] .

قلت: وبذلك حُرم من نعيم الدنيا والآخرة. وصدق ربنا تبارك وتعالى: ﴿**وكذلك نجزى المفترين**﴾ [الأعراف: ١٥٢] .

لم يكن هابيل ـ كما ورد فى الأخبار ـ ضعيفًا، بل كان رجلاً زاده الله بسطة فى العقل والجسم، وذكر ابن جرير ـ رحمه الله ـ فى تفسيره عن عبد الله بن عمرو قال: وايمُ الله إنْ كان المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه التّحرج أن يبسطَ إلى أخيه ـ يده[٢] ـ ومعنى التحرج أى: الورع .

وسقط فى أيدى قابيل، وجلس أمام أخيه القتيل ساكنًا ساكنًا، ومُثِّلَتْ له سوأة الجريمة فى صورتها الحسية، صورة الجثة التى فارقتها الحياة فلا حراك بها - ووقف عاجزًا أمام أخيه المضرّج فى دَمِه وتساءل .

أين يذهب؟ بها، بل أين يخفيها؟! لقد كان أخوه أوّل إنسان يموت على وجه الأرض من أبناء آدم، والظاهر أنه لم يكن دفن الموتى شيئًا قد عُرف بعد .

قال الشوكانى ـ رحمه الله ـ: لم يَدْرِ كيف يواريه لكونه أوّل ميتٍ مات من بنى آدم.. ا . هـ .

ووقف قابيلُ لا يدرى ماذا يفعل، وبينما هو فى حيرته وسكونه إذ مزَّق الهواء صوتُ غراب يتقاتل مع غراب آخر، فقتل أحدهما الآخر، فنزل الغراب القاتل فحفر للمقتول فى الأرض، ثم وارى جثته وأهال عليها التراب.. وهنا اكتشف قابيل ضعفه وعجزه لأنه لم يفكر مثل الغراب القاتل .

قال تعالى: ﴿ **فبعث الله غرابًا يبحث فى الأرض ليريَه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتَا أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين**﴾[المائدة: ٣١].

---

(١) تفسير ابن كثير (جـ ٢ ص ٧٢) .

(٢) تفسير الطبرى (٦/ ١٩١) وانظر الطبقات (١/ ٣٧)، وتفسير ابن كثير(جـ ٢ ص ٦٩) .

قال الأستاذ أحمد خليل جمعة: «ومن الظاهر فى هذه الآية الكريمة أن ندم قابيل لم يكن ندم توبة نصوح ـ وإلا لقبل الله تعالى توبته ـ وإنما كان الندم الذى اعتصره من عدم جدوى فَعْلَتِه، وما أعقبه ذلك من تعب وشقاء وعناء وقلق »(١) .

قال الدميرُّ ـ رحمه الله ـ فى كتابة [حياة الحيوان]: قابيل أول من يُساق إلى النار من ولد آدم، قال تعالى: ﴿ **ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس**... ﴾ [فصلت:٢٩] وهما قابيل وإبليس(٢) .

وقال ابن جماعة - رحمه الله - فى كتابه [غرر التبيان]: ﴿ **الذين أضلانا** ﴾ [فصلت:٢٩]. هما: إبليس من الجن، وقابيل من الإنس لأنهما سنَّا المعصية (٣) .

قلت: وانتهت المأساة وخسر قابيل الدنيا والآخرة وأَرْداه حَسَدُه إلى دار البوار، وظفرها هابيل بتقواه بالنعيم المقيم .

وما أصدق قول الشاعر :

ألا قُلْ لمنْ بات لى حاسدًا ... أيَدرى على مَنْ أسأت الأدب

أسأتَ على الله فى فضله ... كأنّكَ لم ترضَ لى ما وَهَب

فكان جزاؤُك أن خصّنى ... وسدَّ عليكَ طريقَ الطَّلب

آيات وأحاديث تحذر من قتل النفس بغير حق :

(١) قال تعالى: ﴿**من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفسٍ أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناسَ جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا**﴾[المائدة: ٣٢].

قال الإمام ابن حجر الهيثمى: « وجعل قتل النفس الواحدة كقتل جميع الناس مبالغة فى تعظيم أمر القتل الظلم وتفخيمًا لشأنه أى كما أن قتل جميع الناس أمر عظيم القبح عند كل أحد فكذلك قتل الواحد يجب أن يكون كذلك »(٤) .

---

(١) نساء الأنبياء فى ضوء القرآن والسنة (ص ٦٢).

قلت : واقتطفنا جملاً أخرى من كتابه هذا فى هذا الفصل هذا للعلم .

(٢، ٣) نساء الأنبياء (ص ٦٣) نقلاً عن الكتابين المذكورين .

(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر (جـ ٢ ص ١٩٤) .

وقال ابن عباس: « من قتل نبيًا أو إمَامَ عَدْلٍ فكأنما قتل الناس جميعًا ومن شد عضد أحدهما فكأنما أحيا الناس جميعًا »[١] .

وقال مجاهد: من قتل نفسًا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعًا، ومن أحياها أى من سلم من قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعًا »[٢] .

قال سليمان بن علىّ للحسن: «يا أبا سعيد أهى لنا كما كانت لبنى اسرائيل؟ قال: والذى لا إله غيره ما كانت دماء بنى اسرائيل أكرم على الله من دمائنا »[٣] .

(٢) وقال تعالى: ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا** ﴾[النساء: ٩٣] والخلود: المكث الطويل ، ولعنه : أبعده من رحمته[٤].

(٣) عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « اجتنبوا السبع الموبقات» - أى المهلكات - قيل: يا رسول الله وما هن، قال: « الإشراك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتَولِّى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[٥] .

(٤) وفى الحديث أيضًا: « لن يزال المؤمن فى فُسْحَةٍ مِنْ دِينه ما لم يُصِبْ دَمَاً حرامًا » رواه البخارى .

(٥) وعن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق »[٦] .

(٦) عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم النار» صحيح رواه البيهقى فى الشعب (٤/ ٣٥٣).

(٧) وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء »[٧] .

(١ ، ٢ ، ٣) الزواجر (جـ ٢ ص ١٩٥) .
(٤) الكبائر للذهبى. تحقيق د. أسامة محمد عبد العظيم (ص ١٩٠) .
(٥) أخرجه البخارى (٥/ ٢٧٦٦/ فتح) ومسلم (١/ ٩٢) .
(٦) صحيح: رواه ابن ماجة (٢/ ٢٦١٩) وقال الألبانى: صحيح .
(٧) أخرجه البخارى (١٢/ ٦٨٦٤) ومسلم (٣/ ١٣٠٤) .

قلت: وصيانة للدماء التى تقتل بغيـر حق شرع الإسلام القصاص، وأعلن أن فيه الحياة قال تعالى: ﴿**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون**﴾ [البقرة:١٧٩].

* * *

(٣) كنعان ابن نوح الإبن العاق

قال تعالى: ﴿ **يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غيرصالح** ﴾ [هود:٤٦].

لبث نوح - عليه السلام - فـى قومه ألف سنة إلا خمسين عـامًا، يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك ما يعبدون من الأصنام، ولكنهم أصروا على عبادتها واستكبروا استكبـارًا، وكانوا كلما دعاهم لتـرك عبادتها جعلـوا أصابعهم فى آذانهم واستـغشَوْا ثيابهم، وظل يدعوهم ليلاً ونهارًا، سرًا وجهرًا فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارًا.

قال تعالى: ﴿ **وقـالوا لاتذرنَّ آلهتكم ولا تـذرن ودًا ولا سُواعـًا ولاَ يغُوث ويَعُـوق ونسرًا** ﴾ [نوح:٢٣] أى لا تتركـوا عبادة هذه. قـال محمـد بن كعب: هذه أسمـاء قوم صالحين. كـانوا بين آدم ونوح، فنشأ بعدهم قوم يقـتدون بهم فى العبادة، فـقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأسوق إلى العـبادة، ففعلوا، ثم نشأ قوم من بعدهم فـقال لهم إبليس إن الذين كـانوا من قبلكم كانوا يعـبدونهم فاعـبدوهم، فابتداء عـبادة الأوثان كان من ذلك الوقت، وسميت هذه الصور بهـذه الأسماء لأنهم صوّروها على صورة أولئك القوم[١].

وقد بين القرآن أن نوحًا لبث داعيًا قومه مدة طويلة من الزمن ولم يستجب له إلا قليل. قال تعالى: ﴿ **وما آمن معه إلا قليل** ﴾ [هود:٤٠].

واستعجل قومه عذاب الله تعالى. قال الله تعالى عنهم: ﴿ **قالوا يا نوحُ قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين * قال إنما يأتيكم به اللهُ إن شاء وما أنتم بمعجزين** ﴾ [هود:٣٢ـ ٣٣].

ثم أوحى الله إلـى نوح: ﴿ **أنه لن يؤمن من قـومِك إلا مَنْ قَد ءَا من فـلا تَبْتَـئِس بما كانوا يفعلون** ﴾ [هود:٣٦].

---

(١) فتح القدير (جـ ٥ ص ٣٠٠).

لقد كان نوحُ - عليه السلام - شديد المحبة لإيمان قومه، فأعلم الله سبحانه أنه لا يؤمن منهم أحدٌ ليزول عن قلبه ما كان قد حَصَلَ فيه من تلك المحبة عَرفه الله عز وجل أنه معذبُهم ومهلكهم.. عّرفه البارىء أنه معذبهم بالغرق.. ولما كان السبيل الذى به يحصل النجاة من الغرق تكوين السفينة، لا جرم أمَر الله نوحًا بأنْ يعدّ السفينة، فأوحى إليه أن يصنعها... أمَرَهُ ألا يخاطبه فى الذين ظلموا ومعهم امرأته [وكانت تسخر من نوح ومن دعوته، واستسلمت هذه الشقية للشيطان واتخذت الكفرَ طريقا، والعناد سلوكًا، والسخرية أسلوبًا].. لقد تقرر مصيرهم.. وانتهى الأمْرُ فيهم.. فلا تخاطبنى فيهم بدعاءٍ لهم أو عليهم، فمتى انتهى القضاء امتنع الدعاء[1].. وانتهى الأمر.. وأصدَر البارى سبحانه حكمه العادل على الكافرين بالطوفان .

* ويصنعُ الفُلْك :

بدأ نوح ـ عليه السلام ـ بتنفيذ أمر ربه فى اتخاذ الفلك ـ السفينة ـ ولم يكن لنوحٍ ولا لغيره معرفة بصنع السفينة، لذا فقد أوحى الله إليه صنعها، وعلمه كيف ينبغى أن تكون، قال تعالى: ﴿ **واصنع الفلك بأَعيُننا ووحْينا** ﴾ [هود: ٣٧] .

وشرع نوح عليه السلام يصنع السفينة، وأعد العدة لذلك، ويبدو أن امرأته كانت تراه وهو ينقل الأخشاب، ومن ثمَّ يبدأ العمل فى صناعتها على شكل سفينة.. ولكن ليس قرب البحر، أو قرب نهر كبير، مما أثار دهشة امرأته واستغرابها، وراحت تسأله فى تهكم! ماذا تصنع بهذه الأخشاب يا نوح؟! فقال نوح: سفينة أنجو بها ومَنْ معى من المؤمنين إذا جاء أمْرُ الله.. فقالت فى سخرية: وأين الماء الذى تجرى عليه سفينتك؟ أظنُّ أنك جُننتَ أو أصابك مسٌّ من غضب الآلهة، فهل يعقل أن تسير السفينة على اليَبَس ؟![2] .

وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه، وقالوا: يا نوح صرت بعد النبوة نجارًا! إن هذا لشىء عجاب !

---

(١) قلت: يقصد هنا القضاء المبرم الذى لا حيلة فيه، أما القضاء المعلق فالدعاء ينفع فيه، وقد يدفعه .

(٢) نساء الأنبياء باختصار (ص ٨٧ ، ٨٨) .

قال الماوردى ـ رحمه الله ـ: إنهم لما رأوه يبنى السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بُنيت قالوا: يا نوح، ما تصنع ؟

قال: أبنى بيتًا على الماء - فعجبوا من قوله وسخروا منه[١] .

فقال لهم نوح: ﴿ ... **إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون** ﴾ [هود:٣٨] .

انتهى نوح منه صنع السفينة - وذكر المفسرون وغيرهم أقوالاً عن نوع الخشب الذى صنعت من السفينة. وعن حجمها وطولها وعرضها وارتفاعها .

قال شهاب الدين الآلوسى: « فالحرىُّ بحالِ من يميل إلى الفضول أن يؤمن بأنه عليه السلام - أى نوح - صَنَعَ الفلك حسبما قصَّ الله تَعالى فى كتابه، ولا نخوض فى مقدار طولها وعرضها وارتفاعها، من أى خشبٍ صَنَعَها، وبكم مدة أتمَّ عملها؟! إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب، ولم تبينه السنةُ الصحيحة»[٢] .

قال الإمام الفخر: « والذى نعلمه أنَّه كان فى السَّعَةَ (أى الفلك) بحيث يتسع للمؤمنين من قومه، ولما يحتاجون إليه ولحصول زوجين من كلٍّ حيوان، لأن هذا القَدْرِ مذكور، فى القرآن، فأما غير ذلك القدْر فغير مذكور»[٣] .

* وفار التَّنورُّ :

كان الله تعالى قد أعطى نوحًا عليه السلام علامة تدل على بدء الطوفان، وهى نبع الماء من التنور: « تنور الخبز الذى يخبزونه فيه »[٤] .

أى نبع الماء من النار، وقال ابن عباس: التنور وجه الأرض، قيل له إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك[٥]. والعرب تسمى وجه الأرض تنور الأرض[٦] .

(١) نساء الأنبياء (ص ٩٠) نقلاً عن تفسير الماوردى (٢/ ٢١٣) .
(٢) روح المعانى (١٢/ ٤٥) نقلاً عن نساء الأنبياء (ص ٩٢) .
(٣) مفاتي الغيب (١٧/ ١٧٩) .
(٤) قاله مجاهد وعطية والحسن. فتح القدير (جـ ٢ ص ٤٩٨) .
(٥) أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس .
(٦) فتح القدير (جـ ٢ ص ٥٠١) .

واقتـرب الوعد الحقُّ، وجاء أمـر الله، وفار التَّنُّور، وفتح الله أبوابَ السـماء بماء منهمـر، وفجر الأرض عـيونًا، وصَعِدَ نـوح، والمؤمنون إلى السفينة، ومـعه من كلٍّ زوجين اثنين ودخلوا فيها. . قال لهم نوح : ﴿ **اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إنّ ربّى لغفورٌ رحيم** ﴾[هود:٤١] .

نجا المؤمنون جـميعهـم عندما صعدوا السـفينة، ووقاهم الله شـرَّ ذلك الطوفان، وغَرِق الكافرون الساخرون(١) .

قال تعالى: ﴿ **ففتحنا أبواب السـماء بماء مُنْهمر * وفَجرّنا الأرض عيـونًا فالتقى الماءُ على أمرٍ قَـدْ قُدِرَ * وحملناه عـلى ذات ألواحٍ وَدُسُر * تجرى بأعـيينا جزاءً لمن كان كُـفِر** ﴾ [القمر: ١١ـ ١٤] .

وانتصـر طوفان الإيمان على طغيـان الكفر، وارتفـعت السفينة فـوق الماء، وعلا الموجُ، وغطى الأرض، وغرقت امـرأةُ نوح، لم تركب مع المؤمنين فى السـفينة ظنّتْ أن بيتها يمنعها من الماء ويحميها من هديره، ولكنْ لا عاصم اليوم من أمر الله .

أما نوح - عليه السـلام - فحين ركب السفينة، وأدخل فيهـا المؤمنين وأهله كما أُمِرَ، رأى ابنه - كنعان - فى جهة خارج السفينة وبمقربة منها حيث يسمع النداء - لم يرَ امرأته. . يئس من سلامتها. . ظن نوح أنها هى المستثناة وحدها. . وأنها هى التى سَبَقَ عليها القول من الله تعالى بخَتْم الكفر والعذاب فقط. . طمع فى إيمان ابنه الذى كان عـهد منه قبـل ذلك ـ وكان ابنه **كنعان** يظهر لـه الإيمان ويبطن الكفر ـ والأنبـياء عليهم السلام إنّما عنوا بالظواهر والله يتولى السَّرائر .

ولما رأى ابنه بمقربةٍ من السـفينة حيث يسـمعُ النداء، طمع فى سلامتـه، وحَسَّنَ الظَّنَّ أنه مؤمن، فقال له: ﴿ **يا بنى اركبْ معنا ولا تكن مع الكافرين** ﴾[هود: ٤٢]، وقوله لابنه: ﴿**ولا تكن مع الكافرين**﴾ دليل على أن نوحًا كان يعتقد إيمان ابنه. . فلّما قال له ابنه: ﴿**سآوي إلى جبل يعصِمُنـي**(٢) **من الماء** ﴾ [هود: ٤٣].

قال له نوح: ﴿ **لا عاصم اليوم من أَمْرِ الله إلا مَنْ رَحِم..**﴾[هود: ٤٣] .

(١) نساء الأنبياء باختصار (ص ٩٢ ، ٩٣) .

(٢) يعصمنى أى: يمنعنى .

قال الشوكاني عن كنعان ابن نوح: «كـان منافقًا فظن "أي نوح عليه السلام" أنه مؤمن»(١).

قال الله تعالى: ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ [هود: ٤٣].

ثم أصدر الله تعالى أمره للأرض وللسماء: ﴿وقيل يا أرض ابلعى مـاءك ويا سماء أقلعي وغيض الماءُ وقُضِيَ الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدًا للقوم الظالمين﴾[هود: ٤٤].

والبلع: الشرب ـ ويا سماء **أقلعى** ـ الإقلاع: الإمساك.

غيـض الماء: نقـص. استوت على الجـودى أى: استقـرت السفيـنة على الجبل المعزوف بالجودى، وهو جبل بقرب الموصل.

وقيل بعدًا للقوم الظالمين. أى: هلاكًا للقوم الظالمين(٢).

قلت: ومرة أخرى أخذ الحنين نوحًا عليـه السلام فاتجه لربه وقال: ﴿ ربِّ إن ابنى مِنْ أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحـاكمين * قال يا نوح إنه ليس مـن أهلك إنه عملٌ غير صالح فلا تسئلنِ ما ليس لك به علم إنى أَعِظُكَ أن تكون من الجاهلين ﴾ [هود:٤٦].

إنه عمل غير صالح: أى ذو عمل غير صالح.

فلا تسألن ما ليس لك به علم: لما بين له بطلان ما اعتقده من كونه من أهله فرّع على ذلك النهى عن السؤال.

إنى أعظك أن تكون من الجاهلين. أى: أحذرك أن تكون من الجاهلين.

وهنا بادر نوح - عليه السلام إلى الاعتراف بالخطأ. فـ: ﴿ قال ربِّ إنى أعوذ بك أن أسئَلَكَ ما ليس لى به علمٌ وإلا تغفرْ لى وترحْمنى أكن من الخاسرين ﴾[هود:٤٧].

﴿ قيل يا نوح اهبط بسـلام منا وبركات عليك وعلى أُمَمٍ ممَّنْ معَكَ وأُمَمٌ سَنُمَتِعَهُمْ ثم يَمَسُّهُمْ مِنَّا عذابٌ أليم ﴾ [هود:٤٨].

---

(١) فتح القدير (جـ ٢ ص ٤٩٩). وانظر نساء الأنبياء ص (٩٣ ، ٩٤) باختصار.

(٢) فتح القدير (جـ ٢ ص ٥٠٠).

اهبط بسلام منا. أى: انزل من السفينة إلى الأرض بسلامة وأمن- وبركات عليك أى: نعم ثابتة، وفى هذا الخطاب له دليل على قبول توبته ومغفرة ذلته[١] .

ثم قال الله تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين** ﴾ [هود: ٤٩] .

نعم العاقبة للمتقين والهلاك والخسران للمنافقين والكافرين .

أقول: ومن هذه القصة يتبين لنا بأن الأنساب بغير الإيمان لا تنفع، بدليل قوله تعالى : ﴿ **إنه ليس من أهلك** ﴾ .

قال الإمام الفخر الرازى: «فبين أن قرابة النسب **لا** تفيد إذا لم تحصل قرابة الدين»[٢] .

وفى الحديث الشريف: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» رواه مسلم وغيره» .

وفى الحديث أيضًا: « إن أولى الناس بى المتقون، من كانوا وحيث كانوا »[٣] كما يتضح لنا بأن الكبر والعقوق والاعتصام بغير الله نهايته الخسران والهلاك .

* * *

(٤) قومُ عاد

« مَنْ يشترى تركة عاد منى بدرهمين؟! » أبو الدرداء رضى الله عنه .

وقعت أحداث هذه القصة على أرض اليمن، بين عمان وحضرموت، فى مكان يسمى: « الأحقاف » - والأحقاف: هى جبال الرمل .

وعلى الأحقاف سكنت قبيلةُ عاد، آتاهم الله بسطة فى الأجساد والأموال وأمد لهم فى الأعمار، فبنوا القصور الشاهقة والمبانى الفاخرة .

وبدلاً من استخدام هذه النعم فى خدمة المُنْعم - سبحانه وتعالى - استخدموها

---

(١) فتح القدير (جـ ٢ ص ٥٠٣) .

(٢) مفاتيح الغيب (جـ ٨ ص ٥٤٩) .

(٣) رواه أحمد فى المسند وانظر صحيح الجامع (٢٠١٢) .

فى محاربـة الله تعالى، وكانوا كما قـال تعالى: ﴿ **جحدوا بآيات ربهـم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد** ﴾ [هود:٥٩].

فعبدوا الأصنـام من دون الله تعالى، وكانوا أول قـوم عبدوها بعد قوم نوح عليه السلام.

قال الإمام ابن كثير: كانت الأصنام التى عبدوها ثلاثة [صمدًا وصمودا وهرا][(١)].

فأرسل الله تعالى لهم هودًا عليه السلام، فدعاهم إلى التوحيد قال تعالى: ﴿**وإلى عادٍ أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا اللهَ ما لكم مِنْ إلهٍ غيرُه أفلا تتقون** ﴾ [الأعراف:٦٥].

ودار هذا الحوار بينه وبين قومه - قال تعالى:

﴿ **قال الملأ الذين كفروا من قومـه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكـاذبين * قال يا قوم ليس بى سفاهةٌ ولكنى رسولُ من ربِّ العالمين * أبلغكُم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين* أو عـجبـتم أن جـاءكم ذكرٌ مـن ربكم على رجلٍ منكم لينذركم وأذكـروا إذ جعلكم خلفاء من بعـد قوم نوحٍ وزادكم فى الخلق بصْطة فـاذكروا ءالاءَ الله لعلكم تفلحون * قالوا أجئتنا لنعبد الله وحدَهُ ونذرَ ما كـان يعبد ءاباؤنا فأتنا بما تعـدنا إن كنت من الصادقين * قال قد وقع عليكم من ربكم رجسٌ وغضب أتجـادلوننى فى أسماء سميتـموها أنتم وءاباؤكم ما نزَّل الله بها من سلطان فانتظروا إنى معكم من المنتظرين**﴾ [الأعراف:٦٦-٧١].

وفى سورة هود دار هذا الحوار بين هود وقومه. قال تعالى:

﴿ . . . **يا قـوم لا أسئلكم عليـه أجرًا إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفـلا تعقلون * ويا قوم استـغفروا ربكم ثم توبوا إليـه يُرسل السماء عليكم مدرارًا ويزدْكم قـوةً إلى قوتكم ولا تتولَّوْا مجرمين * قالوا يا هود ما جئتنا ببينة ومـا نحن بتاركى ءالهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض ءالهتنا بسوء * قال إنى أُشهدُ الله واشهدوا أنىّ برىٌ مما تشركون * من دونه فكيدونى جميعًا ثم لاتُنظـرونً * إنى توكلتُ على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو ءاخذ بـناصيتـها إن ربى على صراط مـستـقيم * فإن تَوَلَّوْا فـقدْ أبلغـتُكم ما أرسلتً به إليكم ويستـخلف ربـى قومًـا غيـركم ولا تضرُّونه شـيئًـا إن ربى على كل شىء حفيظ**﴾ [هود: ٥١- ٥٧].

---

(١) البداية والنهاية (جـ١ صـ١٣٨).

وفي سورة الشعراء دار هذا الحوار أيضًا بين هود ـ عليه السلام ـ وبين قومه .

قال تعالى: ﴿ **كذبت عاد المرسلين * إذا قال لهم أخوهم هود ألا تتقون. إنى لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلا على ربِّ العالمين * أتبنون بكلِ ريع آيةً تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون* وإذا بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين* وجنات وعيون * إنى أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم* قالوا سواءً علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين * إن هذا إلا خُلُقُ الأولين * وما نحن بمعذبين**﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٣٨].

قوله تعالى: ﴿ **أتبنون بكل ريع آية تعبثون** ﴾ أى: أنكم تبنون بكل مكان مرتفع علما تعبثون ببنيانه وتلعبون بالمارة وتسخرون منهم، لأنكم تشرفون من ذلك البناء المرتفع على الطريق فتؤذون المارة وتسخرون منهم، قال أبو عبيدة: الريع الارتفاع جمع ريعة، وقال قتادة والضحاك والكلبى: الريع الطريق .

وقال مجاهد: هو الفج بين جبلين، وقال ابن الأعرابى: الريع الصومعة، والريع البرج يكون فى الصحراء، والريع التلّ العالى .

وقال الكلبى: إنه عبث العشارين بأموال من يمر بهم حكاه الماوردى(١) .

قوله تعالى: ﴿ **وتتخذون مصانع** ﴾ قال مجاهد وغيره: هى الحصون المشيدة، قال الشوكانى: هى الأبنية التى يتخذها الناس منازل(٢) .

﴿ **لعلكم تخلدون** ﴾ راجين أن تخلدوا .

قوله تعالى: ﴿ **وإذا بطشتم بطشتم جبارين** ﴾ قال مجاهد وغيره: البطش العسف قتلاً بالسيف وضربًا بالسوط. والمعنى: فعلتم ذلك ظلمًا(٣) .

قلت: وكم من قصور وبيوت تقام فى عصرنا قد تحولت إلى بؤر للفساد، وثكنات للفواحش، يطوف حولها كل داعر، ويدخلها كل فاحش، وصار للرذيلة أماكن مخصصة، ترفع لها أعلام ويُنْشر لها إعلان!! .

---

(١) فتح القدير (جـ ٤ ص ١٠٩) .

(٢, ٣) فتح القدير (جـ ٤ ص ١١٠) .

*** الإنتقـــام :**

لما وصل سيـدنا هود ـ عليه السلام ـ فـى دعوتهم إلى طريق مسـدود، وقالوا له كما ذكر القرآن: ﴿.. **سـوآءٌ علـينا أوعظت أم لـم تكن مـن الواعظين * إن هذا إلا خـلق الأولين * وما نحن بمعذبين** ﴾ [الشعراء: ١٣٦-١٣٨] .

بدأ انتقام الله تعالى منهم فأَحَلَّ عليهم بأسه الذى لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين .

يقول الإمام محمد بن إسحاق ـ رحمـه الله ـ ما مختصره: « فلما أَبَوْا إلا الكفر أمـسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حـتى أجهـدهم ذلك فدعـوا الله أن ينزل المطر، فأنشـأ الله سحابة سوداء. فلمـا رأوها استبـشروا وظنوا أن فيهـا مطرًا، وقالوا: هذا عارض ممطرنا « والعارض هنا: هو السحاب »، فيقول تعالى: ﴿**بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها**﴾، فلم تدع من عاد أحدًا إلا هلك، قال: واعتزل هود عليه السلام فيما ذكر لى فى حظيرة هو ومن معه من المؤمنين ما يصيبهم إلا ما يبين عليهم الجلود ويلتـذ الأنفس وإنها لتمر على عاد بالطعن فيـما بين السماء والأرض وتدفعهم بالحجارة ا هـ[1] .

قال تعالى: ﴿ **وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم** ﴾ [الذاريات: ٤١] .

قال ابن كثير: « أى التى لا تنتج خيرًا »[2] .

وقال تعالى: ﴿ **وأما عـادٌ فأهلكوا بريحٍ صَرْصَرٍ عـاتية * سخـرها عليهم سـبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا فترى القوم فـيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية** ﴾ [الحاقة: ٦-٨] .

قوله تعالى: ﴿**بريح صرصر**﴾ الريح الصرصر هى شديـدة البرد وقيل هى شديدة الصوت .

وقوله: ﴿ **عاتية** ﴾ العاتية التى عـتت عن الطاعة فكأنها عتت عـلى خزانها، فلم

---

(١) البداية والنهاية (جـ ١ ص ١٤٦)، وروى الطبرى الخبر فى تاريخه (١/ ١١٣) .
(٢) البداية والنهاية (جـ ١ ص ١٤٧) .

تطعهم ولم يقدروا على ردها لشدة هبوبها، أو عتت على عاد، فلم يقدروا على ردّها، بل أهلكتهم[(١)] .

قوله: ﴿ **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا** ﴾ أى: كوامل متتابعات[(٢)] .

قوله: ﴿ **فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية** ﴾ شبههم بأعجاز النخل التى لا رؤوس لها وذلك لأن الريح كانت تجيء إلى أحدهم فتحمله فترفعه فى الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس[(٣)] .

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»[(٤)] .

قال ابن حجر: الصبا يقال لها القبول لأنها تقابل الكعبة لأن مهبها من مشرق الشمس، والدبور ضد الصبا .

قلت: ولذلك كان النبى ﷺ إذا عصفت الريح يتغير لونه .

عن عائشة قالت: كان ـ أى النبى ﷺ ـ إذا رأى غيمًا أو ريحًا عرف ذلك فى وجهه. قالت: يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف فى وجهك الكراهية. فقال: «يا عائشة ما يؤمننى أن يكون فيه عذاب. قد عذب قومًا بالريح. وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا»[(٥)] .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أيضا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: « اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به »[(٦)] .

---

(١) فتح القدير (جـ ٥ ص ٢٨٠) .

(٢، ٣) البداية والنهاية (جـ ١ ص ١٤٧) .

(٤) صحيح: رواه البخارى (١٥/ ٢٦/ ١٠٣٥) فتح ومسلم (٩/ ٤ / ١٧)، وأحمد فى المسند (١/ ٢٣ - ٣٤١) .

(٥) صحيح: رواه مسلم (جـ ١٦ ص ٢ / ٦١٦)، ومسند أحمد (جـ ٦ ص ٦٦) .

(٦) صحيح: رواه مسلم فى صحيحه .

قال تعالى: ﴿ **ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين ءامنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ** ﴾ [هود:٥٨] .

* ثُمَّ ماذا ؟

قال تعالى: ﴿ **وتلك عادٌ جحدوا بآيات ربهم وعَصَوْا رسله واتَّبَعَوا أمر كُلِّ جبار عنيد * وأُتْبِعُوا فى هذه الدنيا لعنةً ويوم القيامة ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعادٍ قومِ هود** ﴾ [هود: ٥٩، ٦٠] .

يقول الاستاذ (عبد السلام محمد بدوى): والأحقاف الأن... رمال هشة.. شديدة النعومة. يقال أنها تبتلع كل ما يقع فوقها... ويسمونها منطقة الرمال المتحركة.. بالربع الخالى من المملكة العربية السعودية .

يقول: « وقد ذكر لى بعض من اشترك فى حرب اليمن عام ١٩٦٣ أنه شاهد بنفسه بعض المظليين المصريين.. يهبط فى هذا الربع الخالى.. فابتلعته أمواج الرمال.. كما تبتلع الغريق مياه المحيط »(١) .

أقول: ولعل هذه الآثار جزء من اللعنة التى أصابتهم بعد هلاكهم، وصدق ربنا ﴿**وقد خاب من افترى**﴾ فلقد قطع الله أملهم فى الدنيا بالعذاب وفى الآخرة باللعنة .

وقف أبو الدرداء- رضى الله عنه- على منبر دمشق- لما رأى ما أحدث المسلمون فى الغوطة من البنيان ونصب الشجر- قام فى مسجدهم فنادى: «يا أهل دمشق! فاجتمعوا إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا تستحيون؟ تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون مالا تسكنون، وتأملون ما لا تبلغون، قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون، ويأملون فيطيلون، ويبنون فيوثقون، فأصبح جمعهم بورا، وأملهم غرورًا، وبيوتهم قبورًا، هذه عاد قد ملأت ما بين عدن إلى عمان أموالاً وأولادًا، فمن يشترى منى تركة آل عاد بدرهمين »(٢) .

وكأنه رضى الله عنه ينادى فى سمع الزمان، يا من أخلدتم إلى الأرض، وعبدتم

---

(١) من أنباء الرسل (جـ ١ صـ ٦٨) .

(٢) حياة الصحابة (جـ ٣ صـ ٥١٦)، وأبو نعيم فى الحلية (جـ ١ صـ ٢١٧).

الطين، وكنزتم الأموال، وتطاولتم على الكبير المتعال، ونسيتم العقاب والمآل، ولم تسمعوا لصوت ناصح، ولم تنتفعوا بموعظة واعظ، وافسدتم فى الأرض، وبطشتم جبارين، وتوكلتم على سلطانكم وحصونكم اعلموا بأن ربكم لكم بالمرصاد، ولسان الدهر من قبلكم يناديكم أين أصحاب القصور الشاهقة، أين أصحاب البيوت الفارهة، أين من كانوا أشد منكم بطشًا، وأكثر منكم أموالاً وأولادًا، وأقوى بنيانًا وأحسادًا، ما هو مصيرهم؟ وأين هى بيوتهم؟ هل من معتبر؟ ورحم الله القائل :

سَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فاغْتَرَرْتَ بِها وعِنْدَ صَفْوِا اللَّيالِي يَحْدُثْ الكَدَرُ .

* * *

(٥) قوم ثمود

قال تعالى: ﴿ **فَدَمْدَمَ عَلَيهم ربُّهم بِذَنْبِهِم فَسَوَّاهَا** ﴾ [الشمس: ١٤] .

وقعت أحداث هذه القصة فى مكان يسمى: «الحِجْر» الذى بين الحجاز وتبوك.

قال تعالى: ﴿ **ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين** ﴾ [الحجر: ٨٠] .

وكانوا بعد قوم عاد بدليل قوله تعالى: ﴿ **واذكروا إذا جعلكم خلفاء من بَعَدِ عادٍ** ﴾ [الأعراف: ٧٤] .

وكانوا من أطول الناس أجسادًا وأعمارًا - حتى قيل كان الفرد منهم يعيش من الثلاثمائة عام إلى الألف، حتى كان الواحد منهم يبنى بيتًا محكمًا فيهدُم البيت قبل أن يموت الذى بناه!! فلما رأوا ذلك عمدوا إلى الجبال فنحتوا منها بيوتًا وقصوراً .

قال تعالى: ﴿ **وثمود الذين جابوا الصخر بالواد** ﴾ [الفجر: ٩] .

وقال تعالى: ﴿ .. **وبوأكم فى الأرض تتخذون من سُهولها قصُوراً وتنحتون الجبال بيوتا...** ﴾ [الأعراف: ٧٤] .

وكعادة البشر ـ أكثرهم ـ عبدوا النعمة وكفروا بالمنعم بل واستخدموا نعم الله تعالى فى محاربة الله .

وفى الأثر: « ابن آدم أقلبك فى نعمتى وأنت تتقلب فى معصيتى احذر أن أصرعك بين معاصيك » .

وكانت ثمود تعبد الأصنام من دون الله تعالى، فبعث الله تعالى لهم رجلاً منهم وهو سيدنا صالح بن عبيد بن آسف، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد فآمنت به طائفة وكفر جمهورهم ونالوا منه بالمقال والفعال، وهموا بقتله، وقتلوا الناقة التى جعلها الله حجة عليهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

ودار بين سيدنا صالح وبين قومه هذا الحوار الذى سجله القرآن :-

قال تعالى: ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحًا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب* قالوا يا صالح قد كنت فينا مرْجُوًا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد ءاباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب * قال يا قوم أرءيتم إن كنتُ على بينةٍ من ربى وءاتانى منه رحمةً فمن ينصرنى من الله إن عصيتَه فما تزيدوننى غيْرَ تخسير** ﴾ [هود: ٦١- ٦٣] .

وفى مقام آخر. قال الله تعالى: ﴿ **كذبت ثمود المرسلين * إذا قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون* إنى لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجرى إلا على رب العالمين* أتُتْرَكُون فى ما ههنا ءامنين * فى جنات وعيون * وزروعٍ ونخل طلْعُها هضيمٌ * وتنحتون من الجبالِ بُيوتًا فارهين * فاتقوا الله وأطيعون * ولا تطيعوا أمر المسرفين * الذين يفسدون فى الأرض ولا يُصلحِون* قالوا إنما أنت من المُسَحَّرين** ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٥٣] .

وفى مقام ثالث. قال الله تعالى: ﴿ **كذبت ثمود بالنذر * فقالوا أبشرًا منّا واحدًا نتبعُهُ إنا إذًا لفى ضلال وسُعُر * أءُلْقِى الذكْرُ عليه من بيننا بل هو كذاب أَشِرٌ * سَيعلمون غدًا من الكذاب الأَشِر** ﴾ [القمر: ٢٣-٢٦] .

وقد ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يومًا فى ناديهم فجاءهم رسول الله صالح ـ عليه السلام ـ فدعاهم إلى الله وذكرهم بأيام الله، وحذرهم من سيف انتقامه فقالوا له: يا صالح: إن دعوت ربك فأخرج لنا من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة اختاروها - ناقة من صفتها كيت وكيت وذكروا أوصافًا سموها ونعتوها وتعنتوا فيها وأن تكون عشراء أى: « مضى لحملها عشرة أشهر » فقال لهم صالح ـ عليه السلام ـ أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذى طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به،

وتصدقونى فيما أرسلت به؟ قالوا: نعم - فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك، ثم قام إلى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قُدِّر له ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلى ما طلبوا فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء، على الوجه المطلوب الذى طلبوا وعلى الصفة التى نعتوًا، فلما عاينوها كذلك رأوا أمرًا عظيمًا ومنظرًا هائلاً وقدرة باهرة ودليلاً قاطعًا وبرهانًا ساطعًا .

قال الإمام الرازى: واعلم أن تلك الناقة كانت معجزة من وجوه :

الأول: « أنه تعالى خلقها من الصخرة » .

الثانى: « أنه تعالى خلقها فى جوف الجبل ثم شق عنها الجبل»[1] .

فآمن كثير منهم واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ **فظلموا بها** ﴾ أى جحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها أى أكثرهم .

قال لهم صالح ـ عليه السلام ـ: ﴿ **هذه ناقة الله لكم آية** ﴾ [هود: ٦٤] أى دليلاً على صدق ماجئتكم به .

﴿ **فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب** ﴾[هود: ٦٤] .

وفى مقام آخر. قال لهم صالح عليه السلام: ﴿ **قال هذه ناقةٌ لها شِرْبٌ ولكم شِربُ يومٍ معلوم * ولا تمسوها بسوءٍ فيأخذَكمْ عذابُ يوم عظيم** ﴾ [الشعراء: ١٥٥، ١٥٦] .

فاتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترعى حيث شاءت من أرضهم وترد الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء فى يومهم لغدهم، ويقال: إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم ولهذا قال: ﴿ **لها شرب ولكن شرب يوم معلوم** ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ **ونبئهم أنَّ الماءَ قِسْمةٌ بَيْنَهم كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضر** ﴾ [القمر: ٢٨] .

قلت: أى تشرب الناقة ماء البئر فى يوم وتتركه لهم فى يوم، وتحيل الماء الذى شربته إلى لبن يكفى جميع قوم صالح!! .

(١) مفاتيح الغيب (جـ ١٨ صـ ١٩) .

*** المؤامـــرة :**

قال تعالى : ﴿ **إنا مرسلوا الناقـة فتنة لهم** ﴾ [القمر:٢٧] والمعنى : أى اختـباراً لهم أيؤمنون بها أم يكفرون والله أعلم بما يفعلون .

﴿ **فارتقبهم واصطبر** ﴾ [القمر:٢٧]. والمعنى : أى انتظر ما يكون من أمرهم واصطبر على أذاهم فسيأتيك الخبر على جليه .

فلما طـال عليهم هذا الحال اجـتمع ملؤهم واتفـق رأيهم على أن يعقـروا الناقة ليستريحوا منها ويتوفر عليهم ماؤهم وزين لهم الشيطان أعمالهم . واستعجلوا العذاب .

قال تعالى : ﴿ **فعقروا الناقة وعَتَوْا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح أئتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين** ﴾ [الأعراف:٧٧] .

ذكر ابن جرير والطبرى والألوسى وغير واحـد من علماء المفسرين أن امرأتين من ثمود إسـم احداهما : « صــدوق » وكانت ذات حـسب ومال وكـانت تحت رجل من أسلم ففارقته فدعت ابن عم لها يقال له : « مـصرع بن مهرج » وعرضت عليه نفسها إن هو عقـر الناقة ، واسم الأخرى : « عنـيزة » وكانت عـجوزاً كافـرة ، لها بنات من زوجها : «ذؤاب بن عمرو» أحد الرؤساء فعرضت بناتها الأربع على قدار بن سالف[1] إن هو عقر الناقة فله أى بناتها شاء ، فانتـدب هذان الشابان لعقرها وسعوا فى قومهم بذلك فاستجاب لهما سبعة آخرون فصاروا تسعة وهم المذكورون فى قوله تعالى :

﴿ **وكان فى المدينةِ تسعةُ رهطٍ يفسدون فى الأرض ولا يصلحون** ﴾ [النمل:٤٨] وسعوا فى بقية القبيلة وحسنوا لهم عقرها فأجابوهم إلى ذلك .

فانطلقوا يرصدون الناقـة فلما صدرت كَمِن لا مصرع فرمـاها بسهم فانتظم عظم ساقـها ، وجـاء النساء يزمـرن القبيلة فى قـتلها وحـسرن عن وجـوههن ترغيـبًا لهم فابتدرهم : «قدار بن سـالف» فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبهـا فخرت ساقطة إلى الأرض ، ورغت رغاة واحدة عظيمة تحذر ولدها ثم طعن في لبتها فنحرها وانطلق سقيها وهو : « فصيلها » ـ أى ولدها ـ فصعد جبلاً منيعًا ورغا ثلاثًا .

---

(١) قدار بن سالف : كان يقال أنه ولد زانية ولد على فراش سالف .

قلت: يلاحظ من خلال هذا السياق أن الناقة ولدت فصيلاً فى أثناء مدة إقامتها فى وسطهم، وهذا إعجاز آخر .

روى عبد الرزاق عن معمر عمن سمع الحسن أنه قال[١] يارب أين أمى ثم دخل فى صخرة فغاب فيها.

قلت: وهذا إعجاز آخر يضاف للمعجزات السابقة] قال القرطبى فى تفسيره: «إنه الدَّابَّة التى تخرج على الناس فى آخر الزمان » .

قال تعالى: ﴿**فَنَادَوْا صاحبهم فتعاطى فَعَقَرَ* فكيف كان عذابى ونذر**﴾[القمر:٢٩، ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ **إذ انبعث أشقاها * فقال لهم رسولُ الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربُّهم بذنبهم فسواها * ولا يخاف عقباها** ﴾ [الشمس: ١٢-١٥] .

وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعلى[٢] ألا أحدثك بأشقى الناس؛ قال: بلى. قال: رجلان أحدهما أحيمر ثمود الذى عقر: «الناقة والذى يضربك يا على على هذا ـ يعنى قرنه ـ حتى تبتل هذه. يعنى: لحيته »[٣] .

سمع سيدنا صالح رغاء الفصيل ثلاث مرات فعلم أن الناقة عُقرت فقال: ﴿**تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب**﴾ [هود: ٦٥] .

قال سيدنا صالح لقومه بعد أن عقروا الناقةُ: انتظروا العذاب بعد ثلاثة أيام بعدد رغاء الفصيل، وأعطاهم ثلاث علامات :-

اليوم الأول: تصبح وجوههم مصفرة .

اليوم الثانى: تصب وجوههم محمرة .

اليوم الثالث: تصبح وجوههم مسودة .

---

(١) أى: الفَصِيل ولد الناقة .

(٢) أى: لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٣) صحيح: رواه ابن أبى حاتم [وانظر صحيح الجامع ٢٥٨٩] والحاكم وقال: صحيح الإسناد .

*** الإنتقـــام :**

قـال سيـدنا صالح لهم: تمتـعوا فى داركم ثـلاثة أيام وبعدها ينزل العـذاب فلم يصدقوه .

قال الإمام الرازى فى تفسيره: قـال ابن عباس: «أنه تعالى لما أمهلهم تلك الأيام الثلاثة فـقد رغبـهم فى الإيمان، وذلك لأنهم لما عقـروا الناقة أنذرهم صـالح - عليه السلام - بنزول العذاب » ا.هـ .

ولكنهم تمادوا فى غيـهم ولَجُّوا فى طغيـانهم ودبروا مؤامرة لقتل صـالح - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ **وكان فى المدينة تسعة رهـط يُفسدون فى الأرض ولا يُصلحون * قالوا تقاسـموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقـولن لوليه مـا شَـهدنا مـهلك أهله وإنا لصادقـون** ﴾ [النمل: ٤٨، ٤٩] .

قوله: ﴿ **قالوا تقاسموا بالله** ﴾ أى قال بعضهم لبعض: احلفوا بالله .

﴿ **لنبيتنه وأهله** ﴾ أى لنأتينه بغتة فى وقت البيات، فنقتله وأهله .

﴿ **ثم لنقولن لوليه** ﴾ المراد بولى صالح: رهطه .

﴿ **ما شهدنا مهلك أهله** ﴾ أى ما حضرنا قتلهم ولا ندرى من قتله وقتل أهله .

﴿ **وإنا لصادقون** ﴾ أى فيما قلناه .

ولما انطلقوا لتنفيذ المؤامرة أرسل الله عليهم حجارة فأبادتهم وأهلكتهم .

قال تعالى: ﴿ **ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشـعرون* فانظر كيف كـان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتُهم خـاويةً بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون**﴾ [النمل: ٥١، ٥٢] .

وأصبـحت ثمود فى اليوم الأول من أيام النظرة ووجـوههم مصفرة كـما أنذرهم صالح، وفى اليوم الثانى وجوههم محمرة، وفى اليوم الثالث ووجوههم مسودة، فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى الأجل، فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقـهم ورجفـة شديدة من أسفل منـهم ففاضت الأرواح وزهقت النـفوس وسكنت

الحركات وخشعت الأصوات وحقت الحقائق فأصبحوا فى دارهم جاثمين جثثًا بلا أرواح منها ولا حراك بها .

قال تعالى: ﴿ **كأن لم يَغْنَوْا فيها** ﴾ [هود:٦٨] أى لم يقيموا فيها فى سعة ورزق وغناء .

﴿ **ألا إن ثمودَ كفروا ربَّهُم ألا بعدًا لثمود** ﴾[1] [هود:٦٨] .

وقال تعالى: ﴿ **فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين** ﴾ [الأعراف:٧٨] .

وقال تعالى: ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقةُ العذاب الهون بما كانوا يكسبون** ﴾ [فصلت:١٧] .

ومر عليهم سيدنا صالح، فلما رأى ما أصابهم قال كما قال تعالى: ﴿ **فتولَّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين** ﴾ [الأعراف: ٧٩].

عن ابن عباس قال: لما مر النبى ﷺ بوادى عسفان حين حج قال: «يا أبا بكر أى وادٍ هذا؟ قال وادى عسفان قال: لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمها الليف أزرهم العباء وأرديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق»[2].

* * *

(٦) النمرود بن كنعان « الإله الذى ضُرب بالنعال »

قال تعالى: ﴿ **فَبُهِتَ الذى كَفَرَ والله لا يَهْدِى القَوْمَ الظالمين** ﴾ [البقرة:٢٥٨] .

أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة عن زيد بن أسلم: «أن أول جبار فى الأرض نمرود»[3] .

وقال مجاهد وغيره: وكان أحد ملوك الدنيا فإنه قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة

---

(١) أى: نادى عليهم لسان القدر بهذا .

(٢) مسند أحمد (جـ ١/ ٢٣٢) قال ابن كثير: إسناد حسن [البداية والنهاية جـ ١ صـ ١٥٨)] .

(٣) فتح القدير (جـ ١ صـ ٢٧٨) .

مؤمنان وكافران. فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان. والكافران النمرود وبْخْتُنَصَّر[١] .

قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار: وهذا الملك هو ملك بابل واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح قاله مجاهد .

وذكروا أن نمرود هذا استمر فى ملكه أربعمائة سنة وكان قد طغا وبغا وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا[٢] .

حكم هذا الطاغية شعبة بالحديد والنار، وكان عابدًا للأصنام، ثم دعا الناس إلى عبادته وادعى الألوهية !! .

نام هذا النمرود ليلة فرأى كأن كوكبًا طلع فى السماء فذهب ضوء الشمس حتى لم يبق لها ضوء، ففزع من ذلك فزعًا شديدًا، ودعا الكهنة والمنجمين لتأويل رؤياه. فقالوا: سيولد ناحيتك هذا العام غلام يكون هلاكك على يديه، فأمر بذبح كل غلام يولد فى تلك الناحية هذه السنة[٣].

كانت أم إبراهيم عليه السلام قد حملت بإبراهيم، فلما اقتربت ولادتها وأجاءها المخاض، خرجت هاربة، فوضعته فى نهر جاف وذهب أبوه ووضعه فى سرداب وجعل رزقه فى أطراف أصابعه فكان يمصها .

وكانت أمه تتعهده - خلسة بين الحين والحين.. حتى كبر ونما.. وكان على سنة كأنه ابن ثلاث سنين.. فلما خرج من السرب.. توهمه الناس .. وكأنه ولد منذ سنين .

وجاء فى تفسير القرطبى: قال لأمه - أى إبراهيم عليه السلام -: «من ربى؟ فقالت: أنا.. قال: ومن ربك؟ قالت: أبوك.. قال: ومن رب أبى؟.. قالت: نمرود. قال: ومن رب نمرود؟ فلطمته- وعلمت أنه الذى يذهب ملكهم على يديه»[٤].

(١) البداية والنهاية (جـ ١ صـ ١٧١) .
(٢) البداية والنهاية (جـ ١ صـ ١٧١) .
(٣) القرطبى: (٧٥/ الأنعام) .
(٤) من أنباء الرسل (جـ ١ صـ ٩٧) نقلاً عن القرطبى (٧٥/ الأنعام) .

قلت: ومصداق ذلك فى قوله تعالى: ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رُشْدهَ من قبلُ وكُنَّا به عالمين ﴾ [الأنبياء:٥١] .

قال الشوكانى - رحمه الله - قال الفراء: المعنى أعطيناه هداه من قبل النبوة: أى وفقناه للنظر والاستدلال... وعلى هذا أكثر المفسرين(١) .

وبدأ إبراهيم - عليه السلام - يواجه قومه بالحق ويبين لهم أنه لا معبود بحق سواه، فلا للأنداد ولا للشركاء، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

وأقتطف لك عزيزى القارىء بعضًا من هذه المواقف :-

(١) الحوار الأول: كان بينه وبين أبيه آزر(٢) :

قال تعالى: ﴿ وَاذْكُر فى الكتابِ إبْراهيمَ إنَّه كانَ صديقًا نبيًا * إذا قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبُدُ ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يُغنى عنك شيئًا* يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتكَ فاتبعنى أهدك صراطًا سويًا * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عَصياً * ياأبت إنى أخاف أن يَمَسَّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًا * قال أراغب أنتَ عن آلهتى يا إبراهيم لئنْ لم تَنْتَه لأرجمنك واهْجُرْنى مَليًا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيًا * وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعُوا ربى عسى ألا أكون بدُعاءِ ربى شقيًا ﴾ [مريم: ٤١-٤٨] .

(٢) الحوار الثانى: وكان بينه وبين قومه :

قال تعالى: ﴿ ولقد آتينا إبراهيمَ رُشْدَه من قَبْلُ وَكُنَّا به عَالمين * إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيلُ التى أنْتُم لها عاكفون * قالوا وَجَدْنا آباءَنا لها عابِدين * قال لقد كنتم أنتم وآباؤكَم في ضَلال مبين * قالوا أجِئْتَنا بالحق أم أنت من اللاَّعبين * قال بل ربكُمْ ربُّ السموات والأرضِ الذى فطرهُنَّ وأنا على ذلكم من الشاهدين * وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولَوا مدبرين * فجعلهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون * قالوا من فَعَلَ هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين * قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم * قالوا فأتوا به على

(١) فتح القدير (جـ ٣ صـ٤١١) باختصار .

(٢) ظاهر القرآن أثبت أن آزر كان أبًا لإبراهيم وانظر فتح القدير (جـ ٣ صـ٣٣٥) .

أعين الناس لعلهم يشهدون * قالوا ءَأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون * فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون* قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم * أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعلقون * قالوا حَرِّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين* قلنا يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم * وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين ﴾ [الأنبياء: ٥١-٧٠].

والمعنى: «أن إبراهيم عليه السلام بعد أن أقام على قومه الحُجَّة وبين لهم بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام قال: ﴿ **وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين** ﴾ قال ابن كثير: قيل إنه قال هذا خفية فى نفسه وقال ابن مسعود سمعه بعضهم »(١) .

وكان لهم عيد يذهبون إليه فى كل عام مرة إلى ظاهر البلد فدعاه أبوه ليحضره فقال إنى سقيم كما قال تعالى: ﴿ **فنظر نظرة فى النجوم * فقال إنى سقيم** ﴾ عرض لهم فى الكلام حتى توصل إلى مقصوده من إهانة أصنامهم ونصرة دين الله الحق فى بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التى تستحق أن تكسر وأن تهان غاية الإهانة. فلما خرجوا إلى عيدهم واستقروا فى بلدهم « راغ إلى آلهتهم » أى ذهب إليها مسرعًا مستخفيًا فوجدها فى بهو عظيم وقد وضعوا بين أيديها أنواعًا من الأطعمة قربانًا إليها (فقال) لها على سبيل التهكم. والازدراء: ﴿ **ألا تأكلون* ما لكم لا تنطقون* فراغ عليهم ضربًا باليمين** ﴾ لأنها أقوى وأبطش وأسرع وأقهر فكسرها بقدوم فى يده(٢). كما قال تعالى: ﴿ **فجعلهم جذاذًا** ﴾ أى حطامًا كسرها كلها: ﴿ **إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون** ﴾ قيل إنه وضع القدوم فى يد الكبير - وفى الطبرى فربط الفأس بيده (أى فى يد الصنم الكبير) إشارة إلى أنه غار أن تعبد معه هذه الصغار. فلما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حل بمعبودهم : ﴿ **قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين** ﴾ وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون وهو ما حل بآلهتهم التي كانوا يعبدونها فلو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها من أرادها بسوء لكنهم قالوا من جهلهم وقلة عقلهم:

---

(١) البداية والنهاية (جـ ١ صـ١٦٧) .

(٢) فى الطبرى: حديدة، وقيل بفأس فى يده وهى كذلك رواية للطبرى .

﴿ **من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ❊ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم**﴾ أى يذكرها بالعيب والتنقص لها فهو الكاسر لها. وعلى قول ابن مسعود أى يذكرهم بقوله: ﴿ **وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين**﴾(١) .

❊ المحاكمـــة :

﴿ **قالوا فأْتُوا به على أَعْيِن النَّاس لَعلَّهم يَشْهدُون** ﴾ [الأنبياء: ٦١] .

أى: فى الملأ الأكبر على رؤوس الأشهاد لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه ويعاينون ما يحل به من الاقتصاص منه، وكان هذا أكبر مقاصد إبراهيم عليه السلام أن يجتمع الناس كلهم فيقيم على جميع عباد الأصنام الحجة على بطلان ما هم عليه، فلما اجتمعوا وجاؤوا به كما ذكروا: ﴿ **قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ❊ قال بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ أى قال إبراهيم ساخراً منهم: إن هذا الكبير ، الصنم الكبير ، غضب من أن تعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها، وقيل معناه هو الحامل لى على تكسيرها وإنما عرض لهم فى القول : ﴿ **فاسئلوهم إن كانوا ينطقون** ﴾ [الأنبياء: ٦٢-٦٣] .

﴿ **فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون** ﴾ أى فعادوا على أنفسهم بالملامة فقالوا إنكم أنتم الظالمون أى فى تركها لا حافظ لها ولا حارس عندها .

قال الاستاذ/ سيد قطب: « ويبدو أن هذا التهكم الساخر قد هزهم هزاً، وردهم إلى شيء من التدبر والتفكر. . . ولكنها لم تكن إلا ومضة واحدة أعقبها الظلام، وإلا خفقة واحدة عادت بعدها قلوبهم إلى الخمود ﴿ **ثم نُكِسُوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**﴾»(٢)!

وحقًا لقد كانت الأولى رجعة إلى النفوس، وكانت الثانية نكسة على الرؤوس. . وإلا فإن قولهم هذا الأخير هو الحجة عليهم. وأيه حجة لابراهيم أقوى من أن هؤلاء لا ينطقون(٣) ؟! ا.هـ .

---

(١) البداية والنهاية (جـ ١ صـ١٦٧) .

(٢, ٣) فى ظلال القرآن (جـ ٤ صـ٢٣٨٧) .

قال السدى: أى ثم رجعوا إلى الفتنة. قال ابن كثير فعلى هذا يكون قوله إنكم أنتم الظالمون. أى: فى عبادتها.

قلت: وقول السُّدِّىّ هذا يؤيد ما ذهب إليه الأستاذ / سيد قطب فى تفسيره.

عند ذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ **أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم * أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون**﴾.

﴿ **قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم**﴾ وفى مقام آخر: ﴿ **قالوا ابنوا له بنيانًا فألقوه فى الجحيم * فأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأسفلين** ﴾ [الصافات: ٩٧-٩٨].

عدلوا عن الجدال والمناظرة لما انقطعوا وغلبوا ولم تبق لهم حجة ولا شبهة إلى استعمال قوتهم وسلطانهم - وذلك لما أعيتهم الحيلة فيه ووجدت موعظته منهم قلوبًا غلفًا وآذانًا صُمًا.

وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطبًا من جميع ما يمكنهم من الأماكن فمكثوا مدة يجمعون له حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطبًا لحريق إبراهيم، ثم عمدوا إلى حفرة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار فاضطرمت وتأججت وعلالها شرر لم ير مثله قط. ثم وضعوا إبراهيم -عليه السلام- فى كفة منجنيق صنعه لهم رجل يقال له: « هيزن » وكان أول من صنع المجانيق فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة(١).

فلما وضع الخليل عليه السلام فى كفة المنجنيق مقيدًا مكتوفًا ثم ألقوه إلى النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل كما روى البخارى عن ابن عباس أنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى فى النار وقالها محمد - ﷺ - حين قيل له: ﴿**إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء..**﴾(٢) [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤].

---

(١) وصدق ربنا « وقد خاب من افترى ».

(٢) البداية والنهاية (جـ ١ صـ ١٦٩).

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال: لما جُمِعَ لإبراهيم ما جمع، وألقى فى النار جعل خازن المطر يقول: متى أومر بالمطر فأرسله؟ فكان أمر الله أسرع، قال الله: «كونى بردًا وسلامًا» فلم يبق فى الأرض نار إلا طفئت[(١)] .

وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال: «لو لم يتبع بردها سلامًا لمات إبراهيم من بردها »[(٢)] .

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر عن كعب قال: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه[(٣)] .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن المنهال ابن عمرو قال: أخبرت أن إبراهيم ألقى فى النار، فكان فيها إما خمسين وإما أربعين، قال: ما كنت أيامًا وليالى قط أطيب عيشًا إذ كنت فيها، وددت أن عَيْشى وحياتى كلها مثل عَيْشى إذا كانت فيها[(٤)].

وقال الضحاك يروى أن جبريل عليه السلام كان معه يمسح العرق عن وجهه لم يصبه منها شيء غيره[(٥)] وقال السُّدِّى: كان معه أيضًا ملك الظل. وصار إبراهيم عليه السلام فى ميل الحفرة حوله النار وهو فى روضة خضراء والناس ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول إليه ولا هو يخرج إليهم[(٦)].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: « أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم إذ قال لما رأى ولده على تلك الحال نعم الرب ربك يا إبراهيم »[(٧)] .

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: « اقتلوا الوزغ فإنه كان ينفخ النار على إبراهيم »[(٨)] فكانت عائشة تقتلهن .

* مناظرة إبراهيم الخليل مع النمرود :

ذكر السدى أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم وبين النمرود يوم خرج من النار

(١) فتح القدير (جـ ٣ صـ ٤١٥) .
(٢، ٣، ٤) فتح القدير (جـ ٣ صـ ٤١٥ ، ٤١٦) .
(٥، ٦، ٧) البداية والنهاية (جـ ١ صـ ١٦٩) .
(٨) صحيح: رواه أحمد. والوزغ: حشرة يقال لكبيرها: سام أبرص .

ولم يكن اجتمع به فكانت بينهما هذه المناظرة[١] .

قال تعالى: ﴿ **ألم تر إلى الذى حـآجَّ إبراهيم فى ربِّه أن آتاه الله الملكَ إذْ قال إبراهيم ربِّيَ الذى يُحْيي ويميتُ قـال أنا أُحْيي وأميت قـال إبراهيم فإن الله يأتى بالشـمس من المشرقِ فأتِ بها من المغرب فبُهِتَ الذى كَفَرَ والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ [البقرة:٢٥٨] .

قوله: ﴿ **ألم تر** ﴾ قال الفراء: بمعنى هل رأيت أى: هل رأيت الذي حاج إبراهيم وهو النمرود بن كوش بن كنعان[٢] .

وقوله: ﴿ **الذى حاج إبراهيم فى ربه** ﴾ قال الإمام الطبرى: «الذى حاج إبراهيم» يعنى: الذى خاصم[٣] .

وقوله: ﴿ **أن آتاه الله الملك** ﴾ أى لأن آتاه الله، أو مـن أجل أن آتاه الله المـلك، على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو، فحاج لذلك[٤].

وقوله: ﴿ **إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت** ﴾ .

قال الطبرى: يعنى بذلك ربى الذى بيده الحـياة والموت يُحيى من يشاء ويميت من أراد بعد الإحياء .

قال النـمرود: ﴿ **أنا أحيـي وأميت**﴾ أي قـال: أنا أفعل ذلك؛ فـأحيى وأمـيت، أستحـيى من أردتُ قتله فلا أقتله، فـيكون ذلك منى إحياءً له، وأقتـل آخر، فيكون ذلك منى إماته له »[٥] .

وقال الشوكـانى: أراد إبراهيم عليه السلام أن الله هو الذى يخلق الحـياة والموت فى الأجساد، وأراد الكافـر أنه يقدر أن يعفو عن القتل فـيكون ذلك إحياء، وعلى أن يقـتل فيكون ذلك إمـاتة، فكان هذا جوابًا أحـمق لا يصح نصبـه فى مقـابلة حـجة إبراهيم، لأنه أراد غير ما أراد الكافـر، فلو قال له: ربه الذى يخلق الحياة والموت فى

(١) البداية والنهاية (جـ ١ صـ ١٧٢) .
(٢) فتح القدير (جـ ١ صـ ٢٧٧) .
(٣) تفسير القرطبى (جـ ٣ صـ ٣٥) ط. دار الغد العربى .
(٤) فتح القدير (جـ ١ صـ ٢٧٧) .
(٥) تفسير القرطبى (جـ ٣ صـ ٣٦ ، ٣٧).

الأجساد فهل تقدر علــى ذلك؟ لبهت الذى كفر بادئ ذي بدء وفى أوّل وهلة، ولكنه انتقل معه إلى حجة أخرى تنفيسًا لخناقه، وإرسالاً لعنان المناظرة[1] .

قال ابن جـريج: كان قد أتى برجلين فقـتل أحدهما وترك الآخر فـقال أنا أحى وأميت[2] .

قال إبراهيم: ﴿**فإن الله يأتى بالشمس مـن المشرق فأت بهـا من المغرب**﴾ لكون هذه الحجة لا تجرى فيها المغالطة ولا يتيسر للكافر أن يخرج منها بمخرج مكابرة ومشاغبة.

قوله: ﴿ **فبهت الذى كفر** ﴾ يعنى: وقعت عليه الحجة أى انقطع وسكت متحيرًا.

قوله: ﴿ **واللـــه لا يهدى القـوم الظالمين** ﴾ أى: والله لا يهـدى أهـل الكـفـر إلى حجــة يدحضــون بها حــجة أهل الحق عند المحــاجة والمخــاصمة، لأن أهل الــباطل حججهم داحضــة، قال محمد بن إسحاق: أى لا يهديهم فى الحــجة عند الخصومة، لما هم عليه من الضلالة[3].

* نهاية الطاغـية :

أخرج عبد الرزاق وابن جريــر وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة عن زيد بن أسلم: « أن أول جــبار كــان فى الأرض نمرود، وكــان الناس يخرجــون يمتارون من عنده الطعــام، فخرج إبراهيم عليــه السلام يمتار مع من يمتار، فــإذا مرّ به ناس قال: من ربكم؟ قالوا: أنت، حتى مرّ به إبراهيم، فقال: من ربك؟ قال: الذى يحيى ويميت، قال: أنا أحــيى وأميت، قال: فإن الله يأتى بالشــمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذى كفر، فردّه بغير طعام، فرجع إبراهيم إلى أهله فمرّ على كثــيب من رمل أصفر فـقال: ألا آخذ من هذا فـآتى به أهلى، فتطيب أنفــسهم حين أدخل عليهم، فــأخذ منه فأتى أهله فـوضع متاعه ثم نام، فـقامت امرأته إلى متــاعه فتحته فإذا هى بأجود طعام رآه أحد، فصنعت له منه فقربته إليه، وكان عهده بأهله أنه ليس عندهم طعام، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الطعام الذى جئت به، فعرف أن

---

(١) فتح القدير (جـ١ صـ ٢٧٧).

(٢) تفسير الطبرى (جـ ٣ صـ ٣٩) .

(٣) نفس المرجع (صـ ٤٠) .

الله رزقه فحمد **الله**، ثم بعث **الله** إلى الجبار مَلَكًا أن آمن وأتركك على ملكك. قال: فهل ربَ غيرى؟ فجاءه الثانية فقال له ذلك فأبى عليه، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه، قال له الملك: فاجمع جموعك إلى ثلاثة أيام، فجمع الجبار جموعه فأمر **الله** الملَكَ ففتح عليه بابًا من البعوض وطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها، فبعثها **الله** عليهم فأكلت شحومهم وشربت دماءهم فلم يبق إلا العظام، والملك كما هو لا يصيبه من ذلك شيء، فبعث **الله** عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق (وقيل بالنعال)، وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بها رأسه، وكان جبارًا أربعمائة سنة، فعذبه **الله** أربعمائة سنة كملكه، ثم أماته **الله**، وهو الذى كان بنى صرحًا إلى السماء[١] فأتى **الله** بنيانه من القواعد[٢] .

قلت: فهل رأيت أخى القارئ إلهًا يُضرب بالنعال ؟!

صدق ربنا: ﴿ **إن الذين يحآدّون الله ورسوله أولئك فى الأذَلِّين** ﴾ [المجادلة: ٢٠] وإن الناظر الحصيف ليرى من خلال صفحات التاريخ أن مآل كل متكبر، ونهاية كل متغطرس، ومصارع الظالمين عبر التاريخ. فيها من العبر والعظات، ما يدل على أن العزةِ بيد **الله** وحده، والملك له وحده، وأن المهانة والذل لمَنْ تعالىَ عليه سبحانه، وتطاول على آياته ورسله: ﴿ **فلله الحمد ربِّ السموات وربِّ الأرض ربِّ العالمين * وله الكبرياءُ فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

* * *

(٧) مصارع قوم لوط

قال تعالى: ﴿ **والمؤتفكة أهوى * فَغَشَّاها ما غَشَّى * فبأى آلاءِ ربِّك تَتَمَارى** ﴾ [النجم: ٥٣- ٥٥] .

سكن قوم لوط فى مدينة سدوم وما حولها من القرى بالأرض بطريق الشام مكان البحر الميت الآن، وكانوا من أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم طوية وأردأهم سريرة

(١) قلت: وجاء فرعون من بعده فقلده وبنى صرحًا هو الآخر كما ذكر القرآن .

(٢) فتح القدير (جـ ١ صـ ٢٧٨) وتفسير الطبرى (جـ ٣ صـ ٣٧ ، ٣٨) والبداية (جـ ١ صـ ١٧٢) .

وسيرة، يقطعون السبيل، ويأتون فى ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بنى آدم وهى إتيان الذكران من العالمين، وترك ما خلق الله من الإناث لعباده الصالحين، فدعاهم لوط ـ عليه السلام ـ[١] إلى عبادة الله وحده، ونهاهم عن تعاطى هذه المحرمات، والفواحش والمنكرات، والأفاعيل المستقبحات، فتمادوا فى ضلالهم وطغيانهم، واستمروا على فجورهم وكفرانهم، فأحلَّ الله بهم من البأس الذى لا يُرُدّ ما لم يكن فى خلدهم وحسبانهم، وجعلهم مُثلة فى العالمين، وعبرة يتعظ بها الألبَّاء من العالمين ولهذا ذكر الله تعالى ـ قصتهم فى كتابه المبين.

قال تعالى: ﴿ **ولوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون * أئنكم لتأتون الرجال شهوةً من دون النساء بل أنتم قومٌ تجهلون * فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناسٌ يتطهرون** ﴾ [النمل: ٥٤-٥٥] .

قال تعالى: ﴿ **كذبت قومُ لوط المرسلين* إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون * إنى لكم رسولٌ أمين * فاتقوا الله وأطيعونِ * وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين * أتأتون الذكران من العالمين * وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون * قالوا لئن لم تنتهِ يا لوط لتكونن من المُخْرَجين** ﴾ [الشعراء: ١٦٠-١٦٧] .

قلت: وأثبتت الروايات أن الفساد والانحلال وكل ما هو خبيث تغلب على سلوكهم وأحوالهم رجالهم وشبابهم، شيوخهم وأطفالهم ونساءهم .

قال الدكتور عبد الحليم محمود ـ رحمه الله ـ: « أن القاعدة عندهم إنما هى الفساد، وأن من الشذوذ أن تجد للخير فيهم أثرًا »[٢] .

قال ابن عباس: « عشر خصال من أعمال قوم لوط: تصفيف الشعر، وحل الإزار، ورمى البندق، والخذف بالحصى، واللعب بالحمام الطيارة، والصفير بالأصابع، وفرقعة الأكعب، وإسبال الإزار، وحل أزر الأقبية، وإدمان شرب الخمر، وإتيان

---

(١) سيدنا لوط هو: لوط بن هاران بن تارخ - آزر - وعلى ذلك فسيدنا إبراهيم - عمه - آمن بعمه إبراهيم وهاجر معه من بابل إلى الشام وسكن فى سدوم وعمورة.

(٢) مع الأنبياء والرسل (صـ ١٩٣) ط. دار المعارف .

الذكور، وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء للنساء »[١] .

وروى أن قوم لوط فيهم عشر خصال أهلكوا بها: « كانوا يتغوطون فى الطرقات وتحت الأشجار المثمرة وفى شطوط الأنهار، ويرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا، وإخراج الريح بينهم، واللطم على الرقاب، ويحذفون الناس بالحصى (فيعورونهم)، ويظهرون المنكر فى مجالسهم، ويأتون بالطاقة الكبرى وهو اللواط »[٢] .

وروى أن من أعمال قوم لوط: «اللعب بالنرد (الطاولة) والمسابقة بالحمام، والمهارشة بين الكلاب، والمناطعة بين الكباش، والمناقرة بالديوك، ودخول الحمام بلا مئزر، ونقص الكيل والميزان، وويل لمن فعلها »[٣] .

وقال بعض العلماء: وقد توجد هذه الأمور فى بعض عصاة أمة محمد ﷺ ولهذا وجب التناهى عنها. . فقد قال (مكحول): فى هذه الأمة عشرة من أخلاق قوم لوط. . مضغ العلك: « اللبان »، وتطريف الأصابع بالحناء، وحل الإزار، وتنقيض الأصابع: (فرقعتها)، والعمامة التى تلف حول الرأس[٤]، والتشابك، ورمى الجلاهى: (الحصى)، والصفير، والخذف، واللوطية[٤] .

*** أحاديث وآثار تحذر من اللواط :**

(١) عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: « سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار ـ فى أول الداخلين ـ إلا أن يتوبوا، ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده، والفاعل والمفعول به، ومدمن الخمر، والضارب والديه حتى يستغيثا، والمؤذى جيرانه حتى يلعنه الناس، والناكح حليلة جاره »[٥] .

---

(١) الكبائر للذهبى تحقيق د./ أسامة عبد العظيم (صـ ٢٢٦) .

(٢) الحكم المضبوط فى تحريم فعل قوم لوط لشمس الدين محمد بن عمر الغمرى (ص ٩٩) .

(٣) الكبائر (صـ ٢٢٧) .

(٤) قلت: إن كان يقصد بلف العمامة (أى بطريقة تدعو إلى الميوعة والخنوثه فهذا صحيح، وإلا فالعمامة سنه لبسها النبى ﷺ وذلك فى الصحيح .

(٥) من أبناء الرسل (جـ ١ صـ ١٢٠) نقلاً عن القرطبى (٢٩/ العنكبوت) .

(٦) رواه أبو الشيخ والديلمى، والفريابى وحسنه الشيخ الغمارى فى الاستقصاء (صـ ٣٦) وقال الدكتور أسامة عبد العظيم وهو حجة بلا نزاع - انظر الكبائر صـ (٢٢٧) .

(٢) وفى الحديث الشريف: « لا ينظر الله ـ عز وجل ـ إلى رجل أتى رجلاً، أو امرأة فى دبرها » رواه الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

(٣) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أخوف ما أخاف على أمتى، عمل قوم لوط »[١] .

قلت: وما خاف منه النبى ﷺ وقع فى أمته، نسأل الله تعالى النجاة .

(٤) وعن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « ملعونٌ من سبّ أباه، ملعونٌ من سبَّ أمَّهُ، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من غير تخوم الأرض، ملعون من كمَّه أعمى عن طريق، ملعون من وقع على بهيمة، ملعون من عمل بعملِ قوم لوط »[٢].

(٥) وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس بخمس، قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت الفاحشة: وفى رواية فى قوم حتى أعلنوا بها إلا أنزل الله بهم الطاعون ـ يعنى كثرة الموت ـ، ولا طففوا الكيل إلا ضعوا النبات وأخذوا بالسنين "الجوع"، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر »[٣] .

(٦) عن ابن عمر قال: أقبل رسول الله ﷺ فقال: « يا معشر المهاجرين، خَمْسٌ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مَضَتْ فى أسلافهم الذين مَضَوْا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسِّنين وشدَّة المُؤنة وجَوْر السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القَطْر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما

---

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم وهو صحيح، [انظر صحيح الجامع/ ١٥٥٢]

(٢) صحيح: رواه أحمد فى المسند [وانظر صيح الجامع/ ٥٨٩١] .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير وسنده حسن وله شاهد بعده .

فى أيديهم، ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم »[١] .

(٧) قال مجاهد ـ رضى الله عنه ـ: « لو أن الذى عمل عمل قوم لوط اغتسل بكل قطرة من الأرض وبكل قطرة من السماء لم يزل نجسًا »[٢] .

(٨) قال الحسن بن ذكوان: «لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صورًا كصور العذارى فهم أشد فتنة من النساء »[٣] .

(٩) ودخل سفيان الثورى الحمام فدخل عليه صبى حسن الوجه ، فقال : «أخرجوه عنى فإنى أرى مع كل امرأة شيطانًا، وأرى مع كل صبى حسن بضعة عشر شيطانًا »[٤] .

(١٠) وروى أنه إذا ركب الذكرُ الذكر اهتز عرش الرحمن خوفًا من غضب الله تعالى، وتكاد السموات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ: ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ إلى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل[٥].

(١١) وقد أباح عبد الله بن المبارك - رحمه الله - للغلام إذا أُريدت منه الفاحشة فلا يخلصه إلا القتل أن يقتل من يراوده .

قال ابن القيم: «هذا هو الذى تقتضيه السُّنة لأنه إذا جاز له المقاتلة دون درهم من ماله وقتل من كابده عليه فقتله فَمَنْ كابده على نفسه أولى وإن أفضى إلى قتله»[٦] .

(١٢) وقال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ: «إذا رأيتم الرجل يلح فى النظر إلى الغلام الأمرد فاتهموه »[٧] .

---

(١) حديث حسن: رواه ابن ماجة وأبو نعيم فى الحلية، وقال البوصيرى فى الزوائد هذا حديث صالح للعمل به ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وقال الألبانى حديث حسن [الصحيحة/ ١٠٦] .

(٢) الحكم المضبوط فى تحريم فعل قوم لوط (صـ ٩٢) .

(٣) [الكبائر ص ٦١]

(٤) [الكبائر ص ٦٢]، [والزواجر ص ١٤١ جـ٢]

(٥) الكبائر (ص ٦٠) .

(٦) الحكم المضبوط (صـ ٩٥) .

(٧) نفس المرجع (صـ ٩٢) .

(١٣) قال بعض السلف: « إذا سقط العبد من عين الله تعالى ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة التي جلبت على قوم لوط ـ عليه السلام ـ ما جلبت ولا أوتوا إلا من هذا العشق. قال تعالى: ﴿ **إنهم لفى سكرتهم يعمهون** ﴾[1] .

*** نهاية الخبثاء :**

أقول: وما كان الله تعالى ليدع هؤلاء الخبثاء هكذا، يقضون على الفضائل، ويدمرون القيم، دون أن يرسل عليهم سهام نقمته وشدة عذابه، حاشاه فـ: « إن الله يغار إذا انتهكت محارمه » .

يقول ابن القيم: « وهو سبحانه وتعالى قد حكم أنه لا يأخذ الظالمين إلا بعد إقامة الحجة عليهم، والتقدم بالوعد والوعيد إليهم، فأرسل إليهم رسوله الكريم يحذرهم من سوء صنيعهم ، وينذرهم عذابه الأليم. . . على رؤوس الملأ منهم والأشهاد، وصاح بها بين أظهرهم فى كل حاضر وباد. وقال فكان فى قوله لهم من أعظم الناصحين: ﴿**أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**﴾ [الأعراف: ٨٠] .

ثم أعاد لهم القول نصحًا وتحذيرًا، وهم فى سكرة عشقهم لا يعقلون: ﴿ **إنكم لتأتون الرجال شهوةً من دون النِّساء بل أنتم قوم مُسرفون** ﴾ [الأعراف: ٨١] .

فأجاب العشاق جواب من أركس فى هواه وغيه و: ﴿ **قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم آناسٌ يتطهرون** ﴾ [النمل: ٥٦] فلما أن حان الوقت المعلوم وجاء ميقات نفوذ القدر المحتوم، أرسل الرحمن تبارك وتعالى لتمام الإنعام والامتحان إلى بيت لوط ملائكة فى صورة البشر[2]، وأجمل ما يكون من الصور، وجاءوه فى صورة الأضياف النزول بذى الصدر الرحيب - ولكنه كما قال القرآن-:

﴿ **سيء بهم وضاق بهم ذرعًا وقال هذا يوم عَصِيب**[3]﴾ [هود: ٧٧] .

وجاء الصريخ إلى اللوطية أن لوطًا قد نزل به شباب لم ينظر إلى مثل حسنهم

---

(١) نفس المرجع (صـ ٦٩) والآية من سورة [الحجر: ٧٢] .

(٢) هم جبريل وميكائيل وإسرافيل - عليهم السلام - .

(٣) يوم عصيب: قال ابن عباس: أى شديد (فتح القدير جـ ٢ صـ ٥١٦) .

وجمالهم الناظرون، ولا رأى مثلهم الراؤون، فنادى اللوطية بعضهم بعضًا أن هلموا إلى منزل لوط ففيه قضاء الشهوات، ونيل أكبر اللذات: ﴿ **وجَاءَه قومُه يُهْرَعُون إليه ومِنْ قبل كانوا يعملون السيئات** ﴾ [هود:٧٨] .

فلما دخلوا إليه وهجموا عليه قال لهم وهو كظيم من الهم والغم وقلبه بالحزن عميد: ﴿ **يا قَومِ هؤلاء بناتي**[١] **هُنَّ أطهرُ لكم فاتقوا الله ولا تُخْزُون فى ضيفى أليس منكم رجلٌ رشيد** ﴾ [هود:٧٨] .

فلما سمع اللوطية مقاله أجابوه جواب الفاجر المجاهد العنيد :

﴿ **لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلَمُ ما نُريد** ﴾ [هود:٧٩] .

فقال لهم لوط مقالة المضطهد الوحيد : ﴿ **لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد**﴾[٢] [هود: ٨٠] .

فلما رأت رسل الله ما يقاسي نبيه من اللوطيه كشفوا له عن حقيقة الحال وقالوا: هون عليك: ﴿ **يا لوط إنا رسلُ ربِّك لن يصلوا إليك** ﴾ [هود:٨١] فَسُرَّ نبى الله سرور المحب حيث وافاه الفرج بغتة على يد الحبيب، وقيل له: ﴿ **فأسر بأهلك بقِطْعٍ من الليل ولا يلتفتْ منكم أحدٌ إلا امرأتك**[٣] **إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب** ﴾ [هود:٨١]. ولما أبَوْا إلا مراودته عن أضيافه ولم يرعوا حق الجار ضرب جبريل بجناحه على وجوههم فطمس منهم الأعين وأعمى الأبصار فخرجوا من عنده عميانًا يتحسسون ويقولون: ستعلم غدًا ما يحل بك أيها المجنون .

فلما انشق عمود الصبح جاء النداء من عند رب الأرباب أن اخسف بالأمة اللوطية وأذقهم أليم العذاب، فاقتلع القوى الأمين جبريل مدائنهم على ريشة من جناحه ورفعها فى الجو حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها

---

(١) هؤلاء بناتى: قال ابن عباس: ما عرض لوط بناته على قومه لا سفاحًا ولا نكاحًا، إنما قال: هؤلاء نساؤكم، لأن النبى إذا كان بين ظهرانى قوم فهو أبوهم (فتح القدير جـ ٢ صـ ٥١٦) .

(٢) يقول النبي ﷺ: «يرحم الله لوطًا لقد كان يأوى إلى ركن شديد » رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٣) قال السهيلى: « اسم امرأة لوط « والهة » واسم امرأة نوح « والغة » وضرب الله بهما المثل فى الخيانة أى : «خيانة العقيدة» .

فجعل عاليها سافلها وأتبعوا بحجارة من سجيل وهو الطين المستمر الشديد، وخوف سبحانه إخوانهم على لسان رسوله من هذا الوعيد فقال تعالى: ﴿ **فلما جاء أمرنا جعلنا عَالَيها سافلَها وأمْطرْنا عليها حجارةً من سجيل مَنْضود * مسوَّمة**[١] **عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد** ﴾[٢] [هود: ٨٢، ٨٣] .

* كلام نفيس لابن القيم رحمه الله :

قال رحمه الله: «قالوا: وكم أكبَّت فتنة الفسق رؤوسًا على مناخرها فى الجحيم، وأسلمتهم إلى مقاساة العذاب الأليم، وجرعتهم بين أطباق النار كؤوس الحميم، وكم أخرجت من شاء الله من العلم والدين، كخروج الشعرة من العجين، وكم أزالت من نعمة، وأحلت من نقمة، وكم أنزلت من معقل عزه عزيزًا فإذا هو من الأذلين، ووضعت من شريف رفيع القدر والمنصب فإذا هو فى أسفل السافلين، وكم كشفت من عورة، وأحدثت من روعة، وأعقبت من ألم، وأحلت من ندم، وكم أضرمت من نار حسرات أحرقت فيها الأكباد، وأذهبت قدرًا كان للعبد عند الله وفى قلوب العباد، وكم جلبت من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماته الأعداء، فقل أن يفارقها زوال نعمة، أو فجاءة نقمة، أو تحويل عافية، أو طروق بلية، أو حدوث رزية، فلو سألت النعم ما الذى أزالك؟ والنقم ما الذى أدلك؟ والهموم والأحزان ما الذى جلبك؟ والعافية ما الذى أبعدك وجنبك؟ والستر ما الذى كشفك؟ وشمس الإيمان ما الذى كوَّرك؟ والوجه ما الذى أذهب نورك وكشفك؟ والحياة ما الذى كدَّرك؟ وعزة النفس ما الذى أذلك، وبالهوان بعد الإكرام بدَّلك؟ لأجابتك بلسان الحال اعتبارًا، إن لم تجب بالمقال حوارًا: هذه والله بعض جنايات العشق على أصحابه لو كانوا يعقلون: ﴿ **فتلك بيوتُهم خاويةً بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمو ن**﴾[٣].

قلت: والله إنها لموعظة تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب .

بل وتكتب بماء العيون، فما أجلَّها من موعظة، وما أحلاه من كلام .

---

(١) مسوق: أى على كل حجر اسم الفاجر الذى ستهلكه .

(٢) روضة المحبين ص (١٨٨ - ١٩٠) باختصار .

(٣) روضة المحبين للأمام ابن القيم (صـ١٨٦ ، ١٨٧). والآية من سورة [النمل: ٥٢] .

وما أبلغها من نصيحة لو أن بالقلوب حياة .

* عِظَةُ المكان :

أقول: وشاءت إرادة الله تعالى، وحكمته، أن يترك لنا مكان قرى لوط إلى يومنا هذا - وهو المكان المسمى بالبحر الميت عظة لنا، فافتضحوا بذلك فضيحة لا يغطيها ذيل ولا يسترها ليل: ﴿**إن فى ذلك لآيات للمتوسِّمين**﴾ [الحجر:٧٥] ، أى: لعلامات للمتفكرين الناظرين وقال قتادة: للمعتبرين - أى عظة لمن يأتى من بعدهم قال تعالى: ﴿ **وإنها لبسبيل مقيم** ﴾ [الحجر:٧٦]. قال الشوكانى: يعنى قرى قوم لوط.... على طريق ثابت وهى الطريق من المدينة إلى الشام فإن السالك فى هذه الطريق يمُرّ بتلك القرى(١) .

﴿ **إن فى ذلك لآية للمؤمنين** ﴾ [الحجر:٧٧] أى: هذه القرى وآثارها يعتبر بها أهل الإيمان فإن المؤمنين من العباد هم الذين يعتبرون بما يشاهدونه من الآثار. فثبت بذلك أن الله تعالى أبقى أماكنهم للعظة والاعتبار، موعظة للمتقين وإنذارًا للمجرمين .

فقد قال تعالى: ﴿ **فلما جاء أمرُنا جعلنا عاليها سافلهَا وأمطرنا عليها حجارةً من سِّجيلٍ منضود * مُسَوَّمَةً عندَ ربِّك وما هى من الظالمين ببَعيد** ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣] .

أى: وما هى "أى الحجارة" من كل ظالم من الظلمة ببعيد، فهُم لظلمهم مستحقون لها، وقال السدّي: من ظلمة العرب إن لم يؤمنوا فيعذبوا بها، وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ وابن أبى حاتم عن قتادة قال: **من ظالمى هذه الأمة**(٢)، فهذا إنذار لكل فاحش أن يهلكه الله وينتقم منه وأثبت الطب حديثًا أن فاحشة اللواط تصيب مرتكبها بأمراض خبيثة كالإيدز وغيره وصدق النبى ﷺ: « لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضَوْا »(٣) .

---

(١) فتح القدير (جـ ٣ صـ ١٣٩) .

(٢) فتح القدير (جـ ٢ صـ ٥١٧) .

(٣) حديث حسن: رواه ابن ماجه وغيره وقد تقدم .

* حكم الإسلام فيمن يعمل عمل قوم لوط :

لما كان اللواط أكثر إثمًا وأقبح، وكانت مفسدته من أعظم المفاسد، كانت عقوبته فى الدنيا والآخرة من أعظم العقوبات وهو أعظم عند الله من الزنا بالنساء .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «لم يَبْتَلِ الله سبحـانه وتعالى بهذه الكبيرة قبل قوم لوط أحدًا من العالمين وعاقبهم عقوبة لم يعاقبها أحدًا غيرهم، وجمع عليهم من أنواع العـقوبات من الإهلاك وقلب ديارهم عليـهم والخسف بهم ورجمـهم بالحجـارة من السمـاء فنكل بهم نكالاً لم ينكله بأمة سـواهم وذلك لعظم مفسـدة هذه الجريمة التى تكاد الأرض أن تميد من جوانبها إذا عملت عليها وتهرب الملائكة إلى أقطار السموات والأرض إذا شاهدوها خشية نزول العذاب على أهلها فـيصيبهم معهم وتضرع الأرض إلى ربها تبارك وتعالى وتكاد الجبال تزول عن مكانها. ا.هـ » .

عن محمـد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كـتب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه: [أنه وجد رجـلاً فى بعض نواحى المدينة ينكح كما تنكح المرأة فـجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ منهم على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فقال علىّ: إن هذا ذنب لم تعمل به أمة إلا أمة واحدة ففعل الله بهم ما قد علمتم أرى أن يحرقه بالنار فأجمع رأى أصحاب رسول الله ﷺ][(١)] (أى على ذلك) .

ونقل عن أبى عبد الله بن الحاج ـ رحمـه ـ الله قال: (وعقوبة اللائط عندنا حدًا كالزنى مائة جلدة إن كان غير محصن والرجم إن كان محصنًا، وقيل عقوبة اللائط أن يلقى من شاهق وترمى عليـه الحجارة كمـا عذب الله قوم لوط وهذا قول ابـن عباس رضى الله عنهما)[(٢)] .

قلت: والذى نص على رجم اللائط من الأئمة الشافعى وأحمد وطائفة قالوا: بأن اللائط يرجم سواء كان محصنًا أولا، واحتـجوا بحديث: « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به »[(٣)] .

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا والبـيهقى (٨/ ١٣٢) وقال عقـبة (هذا مرسل) وروى من وجه آخـر فى غير هذا القصة قال (يرجم ويحرق بالنار) حاشية الحكم المضبوط (٨١صـ ، ٨٢) .

(٢) الحكم المضبوط (صـ ٨٣) .

(٣) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه (٢٥٦٢) وهو حسن فى المتابعات إن شاء الله تعالى .

وذهب أبو حنيفة إلى أن اللائط يلقى من شاهق جبل ويتبع بالحجارة كما فُعل بقوم لوط، ولقوله تعالى: ﴿ **وما هى من الظالمين ببعيد** ﴾ .

أقول: ومن أجل ذلك سد الإسلام المنافذ وأغلق الأبواب التى قد تؤدى إلى ارتكاب مثل هذه الفاحشة النكراء فمن ذلك :

(١) عن أبى ريحانة ـ رضى الله عنه ـ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن مكامعة الرجلُ الرجلَ بغير شعار ومكامعة المرأةُ المرأةَ بغير شِعار »[1] .

وفى رواية: «مكاعمة» بدلاً من: «مكامعة» أى بتقديم العين على الميم. والمكامعة [بتقديم الميم على العين] أى المضاجعة، يقال لزوج المرأة: هو كميعها أى: ضجيعها، أى المكاعمة [بتقديم العين على الميم] فهو تقبيل فم الغير، أخذ من كعام البعير، وهو أنه يشد فمه: إذا هاج حتى لا يعض، قول: بغير شعار: أى بلا حاجب من ثوب .

قلت: ومن هذا الحديث يتبين لنا أن الإسلام نهى الرجال أَنْ يُقَبِّلَ أحدهُما الآخر فى فَمِه وهو ما يحدث كثيراً فى عصرنا، وكذلك نهى النساء أن تقبل إحداهن الأخرى فى فمها ، كما لا يجوز للمرأتين أن يتجردا تحت ثوب واحد إن كانت إحداهن بجوار الأخرى على فراش واحد، وكذلك الرجال .

(٢) وفى الحديث الشريف: « لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى الثوب الواحد ولا المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد »[2] .

* * *

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائى (٨/ ١٤٣) والدارمى والبغوى فى شرح السنة .

(٢) صحيح: رواه مسلم وأحمد (٣/ ٦٣) والترمذى والبيهقى .

(٨) مصارعُ قوم مَدْين «عاقبةُ الغشاشينَ»

إلى الذين ماتت ضمائرهم وخربت ذممهم، ونهبوا حقوق غيرهم وأفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها أقدم مصارع قوم قادتهم شهواتهُم وعبدوا شجرة من دون الله تعالى !. وهم قوم مدين للعظة والاعتبار .

سكن قوم شعيب بأرض مدين بالشام قرب قرى لوط .

وكانوا يعبدون: « الأيكة »[١] من دون الله. قال تعالى: ﴿ **كذب أصحاب الأيكة المرسلين** ﴾ .

وكانوا من أسوأ الناس معاملة « يبخسون المكيال » يشترون بالزائد ويبيعون بالناقص، وينهبون أموال الناس بقطع الطريق عليهم .

فأرسل الله لهم: « سيدنا شعيب »[٢] وكان يلقب بخطيب الأنبياء .

فدعاهم إلى توحيد الله تعالى وإلى ترك ما يفعلونه من المنكرات، وسجل القرآن ما دار بين سيدنا شعيب - عليه السلام - وبين قومه فمن ذلك .

قال تعالى: ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءَتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذالكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين * ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من ءَامن به وتبغونها عوجًا واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثَّركُم وانظروا كيف كان عاقبة المُفسدين * وإن كان طائفةٌ منكم ءَامنوا بالذى أرسلت به وطائفةٌ لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين * قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين ءَامنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أولَوْ كنا كارهين* قد افترينا على الله كذبًا إن عُدنا فى ملتكم بعدَ إذْ نجَّانَا الله منْها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربُنا وَسِعَ ربُنا كل شىء علمًا على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**

---

(١) الآيكة: هى الشجرة الكبيرة الملتفة الأغصان، الكثيرة الفروع .

(٢) قلت: والراجح أن سيدنا شعيب غير شعيب الصالح الذى التقى بموسى - عليه السلام، وذلك لبعد المسافة الزمنية بين الإثنين .

وأنت خير الفاتحين * وقال الملأ الذى كفروا من قومه لَئِنِ اتبعتم شعيبًا إنكم إذًا لخاسرون﴾ [الأعراف: ٨٥-٩٠] .

وفى سورة هود: «دار هذا الحوار بين شعيب- عليه السلام - وقومه» قال تعالى: ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرُهُ ولا تَنقُصُوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذابَ يوم محيط * ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسطِ ولا تَبْخَسوا النَّاسَ أشياءهم ولا تعثَوا فى الأرض مفسدين* بقيت الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ * قالوا يا شعيبُ أصلواتك تأمُرُك أن نترك ما يعبد ءَاباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد * قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقًا حسنًا وما أريد أن أخالفكُمُ إلى ما أنهاكم عنه إن أريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب * ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثلُ ما أصاب قومَ نوحٍ أو قوم هود أو قومَ صالح وما قومُ لوط منكم ببعيد* واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود * قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفًا ولولا رهطُك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز * قال يا قوم أرهطى أعزٌّ عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظِهْريًا إن ربى بما تعملون محيط * ويا قوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إنى معكم رقيب ﴾ [هود: ٨٤-٩٣] .

قوله: ﴿ إنى أراكم بخير ﴾ أى: بثروة وسعة فى الرزق فلا تغيروا نعمة الله عليكم بمعصيته والإضرار بعباده، ففى هذه النعمة ما يغنيكم عن أخذ أموال الناس بغير حقها .

قوله: ﴿بقيت الله خير لكم﴾ أى: ما يبقيه لكم من الحلال بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر خيراً وبركة مما تبقونه لأنفسكم من التطفيف والبخس والفساد فى الأرض.

قلت: وظل سيدنا شعيب يذكرهم بنعم الله وآلائه، ويحذرهم شدة بأسه وقوة سطوته وهم ينأون عنه وينهون عنه، ويسخرون منه، بل واستعجلوا عذاب الله، مع إصرار عجيب على إرتكاب المعاصى، ونهب الأموال، والتطفيف فى المكيال .

قال تعالى عن قوم شعيب: ﴿ **وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبًا إنكم إذًا لخاسرون** ﴾ [الأعراف: ٩٠] .

وفى مقام آخر قالوا له: ﴿ **قالوا سواءٌ علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين * إن هذا إلا خلق الأولين * وما نحن بمعذبين** ﴾ [الشعراء: ١٣٦-١٣٨] .

* وهنا بدأ انتقام الله تعالى منهم :

فحبس الله عنه الهواء سبعة أيام فهربوا من بيوتهم وخرجوا يحتمون بإلههم «الأيكة» يستظلون بظلها، ويطلبون منها النصرة، فأرسل الله عليهم سحابة أظلتهم، فظنوا أن فيها خيرًا «كما فعل بقوم صالح عليه السلام» ودنت منهم فظنوا بأن الخير قريب، فإذا بصيحة من السماء ورجفة من الأرض، وأمطرت السحابة عليهم نارًا وشررًا كما قال تعالى: ﴿ **فكذبوه فأخذهم عذابُ يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ [الشعراء: ١٨٩] .

﴿ **فاصبحوا فى دارهم جاثمين** ﴾ ماتوا من الفزع والحرق وهم جلوس على ركبهم.

قال ابن كثير: « وقد جمع الله عليهم أنواعًا من العقوبات، وصنوفًا من المثلات، وأشكالاً من البليات، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات، سلط الله عليهم رجفة شديدة اسكنت الحركات، وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات، وظلة أرسل عليهم فيها شرر النار من سائر أرجائها والجهات»[1] .

قلت: والواضح أن الله سلط عليهم الظلة كما ذكرنا فى سورة الشعراء، وسلط عليهم الرجفة التى زلزلت الأرض من تحت أقدامهم كما فى سورة الأعراف حيث قال تعالى: ﴿ **فأخذتْهُم الرجفةُ فأصْبحَوا فى دَارِهم جاثمِين** ﴾ [الأعراف: ٩١] .

وأرسل الله تعالى عليهم صيحة فأخمدت الأصوات كما ذكر الله تعالى حيث يقول سبحانه: ﴿ **وأخذت الذين ظَلمُوا الصيحةُ فأصْبَحُوا فى ديارهم جاثمين** ﴾[2] [هود: ٩٤] .

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (صـ ١٧٧) .

(٢) جاثمين: ميتين. صاح بهم جبريل حتى خرجت أرواحهم من أجسادهم/ فتح القدير (٢/ ٥٢١).

وفى هذا إنذار لكل غشاش باع ضميره بعد أن باع دينه، وسوف نذكر فى نهاية الحديث عن هؤلاء القوم كيف يفعل الغش بأهله، وكيف تفعل الخيانة بأهلها لعل الضمائر أن تصحوا من بعد غفوتها، وتعود إلى رحاب الله. وتوقن بأن الله تعالى لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض، وأنه سبحانه بالمرصاد لكل منحرف .

قال تعالى: ﴿ **الذين كذبوا شعيبًا كأن لم يغْنَوا فيها الذين كذبوا شعيبًا كانوا هم الخاسرين** ﴾ [الأعراف:٩٢] .

وقال تعالى: ﴿ **كأن لم يَغْنَوْا فيها ألا بُعداً لمدين كما بعدت ثمود** ﴾ [هود:٩٥].

قوله: ﴿ **كأن لم يَغْنَوْا فيها** ﴾ أى: يعيشوا فيها قبل ذلك .

وبعد أن أصابهم ما أصابهم، مر عليهم شعيب عليه السلام، فلما رأى حالهم قال مقرعًا لهم وموبخًا: ﴿ ... **يا قوم لقد ابلغْتُكم رسالاتِ ربِّى ونَصحْتُ لكم فكيف ءَاسَى على قومٍ كافرين** ﴾ [الأعراف:٩٣] .

قال ابن كثير: «أى أديت إليكم ما أرسلت به فلا آسف عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به»(١) .

التحذير من الغش والترغيب فى القناعة والرضا :

(١) قال تعالى: ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ يعنى: الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم فى الكيل والميزان .

قوله: ﴿ **الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون** ﴾ يعنى: يستوفون حقوقهم منها قوله تعالى: ﴿ **وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون** ﴾ أى: ينقصون فى الكيل والوزن. ﴿ **ألا يظنُ أولئك أنهم مبعوثون** ﴾ قال الزجاج: المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا فى الكيل والوزن ﴿ **ليوم عظيم** ﴾ أى: يوم القيامة .

﴿ **يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ أى: من قبورهم للحساب .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٢)

(٢) وقال نافع (**قلت:** يعنى نافع مولى ابن عمر) قال: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون حتى إن العرق ليُلجمهم إلى أنصاف آذانهم . وكذا التاجر إذا شدَّ يده فى الذراع وقت البيع وأرخى وقت الشراء.

(٣) وكان بعض السلف يقول: ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السماوات والأرض، وويح لمن يشترى الويل بحبة يأخذها زائدة »[١] .

قلت: وشدد بعضهم فى هذا الأمر، فلقد حكى ابن عبد السلام أن غصب الحبة وسرقتها كبيرة بالإجماع[٢] أقول: ولا تنظر أخى القارىء إلى صغر الحبة وقلة وزنها وتفاهة سعرها ولكن انظر إلى القلب الفاسد الذى حرك صاحبه لسرقتها، وفى هذا استخفاف بنظر الله تعالى للعبد نعوذ بالله من ذلك. ولذلك قال بلال بن سعد: لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى عظمة من عَصَيْت. وفى الحديث الصحيح: «من غشنا فليس منا» .

(٤) عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: « أفْلَحَ مَنْ هُدى للإسلامِ، وكان عَيْشُه كفافًا وقَنَع به »[٣] .

أقول : وسف الرماد خير من أكل الحرام ونهب الناس، بل إن أكل الحلال أفضل من صيام التطوع وصلاة التطوع. قال إبراهيم بن أدهم: « أطب مطعمك ولا حَرَجَ عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار »[٤] .

* * *

---

(١) هذه الآثار والأخبار اقتطفناها من كتاب الكبائر(صـ٢٧٦ ، ٢٧٧) .

(٢) الزواجر لابن حجر (١/ ٢٤٦) .

(٣) صحيح: رواه الحاكم والطبرانى [وانظر السلسلة الصحيحة برقم ١٥٠٦] .

(٤) الرسالة القشيرية (صـ ٨) .

(٩) فرعون « الإله الغريق!! »

أخى القارىء . .

وهذا نموذج آخر من الطغاة الذين تسلطوا بالظلم على العباد وتطاولوا على رب الأرباب، فتعالَوْا لنرى مصارع الظالمين، ولنرى أن الحمق يؤدى بصاحبه إلى الهاوية: **﴿إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى﴾** [النازعات:٢٦] .

كان فرعون حاكمًا على مصر، ووصل به الغرور أن دعا الناس إلى عبادته من دون الله تعالى، قال تعالى: **﴿فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى﴾** [النازعات: ٢٣-٢٤].

قال الإمام السُّدِّى(١) عن ابن عباس وغيره من الصحابة: « أن فرعون رأى فى منامه كأن نارًا قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بنى إسرائيل، فدعا الكهنة والمعبرين للرؤى، فقالوا: يولد فى بنى إسرائيل غلام: يسلبك الملك، ويغلبك على سلطانك، ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذى يولد فيه »(٢) .

فأمر فرعونُ: "القوابل"(٣) أن يخبرن عن كل امرأة حامل أو وضعت حملها، فإن كان ذكرًا قتل، قال صاحب الكشاف والقرطبى: « إن فرعون ذبح فى طلب موسى تسعين ألف وليد!! » .

وحملت أم موسى: « وكانت تسمى يوكابد » بموسى عليه السلام .

قال ابن كثير: « ولم يكن يظهر عليها مخايل الحمل »(٤)، فلما جاءها ألم المخاض، اقتربت من احدى القوابل وكانت تحبها، فأخبرتها فعالجتها القابلة حتى وضعت حملها، ورأت القابلة هالة من النور على وجه موسى، فقالت لها: احفظيه من أعين رجال فرعون .

---

(١) هو إسماعيل بن عبدالرحمن السدى وهو كوفى صدوق «الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير» د. محمد أبو شبة (صـ ١٥٢) .

(٢) تفسير القرطبى (٤/ القصص) .

(٣) القابلة: هى الداية التى تقوم بتوليد النساء .

(٤) قصص الأنبياء (صـ٢٤٢).

قلت: وكان الله تعالى قد وضع عليه محبة من عنده فلا يراه أحد إلا أحبه كما قال تعالى: ﴿ **وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى** ﴾ [طه:٣٩] .

وهكذا أمضى الله أمره: ﴿ **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ ، ولا يغنى حذر من قدر. ونَجَّا الله موسى عليه السلام ليقضى أمرًا كان مفعولاً .

وأوحى الله إلى أم موسى وحى إلهام: ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنّا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾ [القصص:٧] .

والظاهر أن بيت أمَّ موسى كان يطل على النيل، فصنعت لموسى صندوقًا مغلقًا ووضعت فيه موسى وألقته فى النيل، وربطته بحبل إلى أحد الأشجار وبين الحين والحين تأخذه من الصندوق ثم ترضعه ثم تعيده فى الصندوق ثانية، وفى إحدى المرات أرضعته ثم ألقته فى الصندوق ثم نسيت أن توثق الصندوق إلى الشجرة، وانطلق الصندوق يشق عباب الماء، وساقه القدر إلى قصر فرعون، ورأته بعض جوارى قصر فرعون، فأخذوا الصندوق وهابوا أن يفتحوه، وحملوه إلى السيدة: «آسية بنت مزاحم» زوجة فرعون، فعالجت الصندوق ففتحته ورأت موسى بداخله وسرعان ما دخل حُبُّه قَلْبَهَا، فحملته إلى فرعون وقالت: ﴿ **قرتُ عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون**﴾ [القصص:٩] وشاءت إرادة الله تعالى أن يُرَبَّى موسى فى قصر فرعون، وفرعون يبحث عن عدوه خارج قصره!! قال تعالى: ﴿**فالتقطهُ آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنًا إن فرعون وهامان وجنودَهما كانوا خاطئين** ﴾ [القصص:٨] .

وعلمت أمُّ موسى بأن ولدها وصل إلى قصر فرعون فطاش عقلها وكادت تصفح عن نفسها وولدها، قال تعالى: ﴿ **وأصبح فؤادُ أم موسى فارغًا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين** ﴾ [القصص:١٠] .

وعرَضت السيدة آسية موسى على كثير من المرضعات ولكنه رفض أن يلتقم ثدى إحداهن، فلقد حرمَّ الله تعالى عليه المراضع، ليعود إلى أمه، فلا يرضع إلا من ثديها، ولكى يطمئن قلبها، وفعلاً ذهبت أمه إلى قصر فرعون، فلما رأى ثديها التقمة، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها وقالت: إن لى بعلاً

وأولادًا، ولكن إن أحببت أن أرضعه فى بيتى فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة والكساوى، فرجعت أم موسى بولدها راضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمنًا، فى عز وجاه ورزق دارّ ولهذا جاء فى الحديث: « مثل الذى يعمل ويحتسب فى صنعته الخير، كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها »[1] .

وبعد إتمام الرضاعة عاد موسى إلى قصر فرعون ليعيش فيه!! كأن الله تعالى يقول لفرعون: « لا يكون مرباه إلا فى دارك وعلى فراشك، ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك فى منزلك، وأنت الذى تتبناه وتربيه، ثم يكون هلاكك على يديه، ولتعلم بأنك لا تعلم سرًا، ولو كنت إلهًا بحق لعلمت الأسرار فهل هناك إله جاهل ؟!!».

ولما شب موسى ـ عليه السلام ـ وعلم ما يتعرض له قومه من الأذى والظلم والقتل، بدأت عداوته لفرعون وقومه، فكان مأوى لكل مظلوم - ورزقه الله تعالى وأمده ببسطة فى العلم والجسم، وحدث ما حدث من قصة قتله للقبطى الذى تشاجر مع رجل من بنى إسرائيل ـ كما قص القرآن ذلك فى سورة القصص، وعلى أثر هذه الفعلة ـ هاجر موسى من مصر إلى مدين ـ وحدث أيضًا هناك ما حدث من قصة ابنتى شعيب والبئر وكان لهذه الواقعة فوائد ـ التقى بسببها بشعيب الرجل الصالح، وزوجه إحدى ابنتيه على أن يؤجره ثمانى حجج أو عشر حجج فأتم موسى العشر ثم عاد بزوجته من أرض مدين إلى مصر ـ فمر بجبل الطور، وهناك كلمه الله تعالى ونزلت عليه الرسالة[2] ، وأمره الله تعالى أن يذهب إلى فرعون ومعه هارون ـ وكان ذلك طلب موسى: ﴿ **واجعل لى وزيراً من أهلى * هارون أخى * أشدد به أزرى * وأشركه فى أمرى..** ﴾ [طه: ٢٩-٣٢] .

وأيده الله تعالى بمعجزة اليد والعصا، فقال تعالى: ﴿ **وما تلك بيمينك يا موسى * قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى * قال ألقها يا موسى * فألقاها فإذا هى حية تسعى * قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى * واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوءٍ آيةً أخرى * لنريك من ءاياتنا الكبرى** ﴾ [طه: ١٧-٢٣] .

---

(٤) تفسير ابن كثير (جـ ٣ صـ ٦١٠) .

(٢) فَصَّلْنا ذلك فى كتابنا: « قصص القرآن » أعان الله على إتمامه .

قال ابن عباس عن معجزة العصا: « انقلبت ثعبانًا ذكرًا يبتلع الصخور والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر » فنادى عليه تعالى: ﴿أَقْبِلْ ولا تخف﴾ قيل: بأن الله أمره أن يدخل يده بين لحييها وأن يقبض عليها ففعل ذلك فإذا هي عصاه في يده.

ثم قال تعالى لهما: ﴿ **إذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولاً لينًا لعلَّهُ يتذكرُ أو يخشى * قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى * قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى** ﴾ [طه: ٤٣-٤٦].

أقول: وتأمل فى قوله تعالى: ﴿ **فقولا له قولاً لينًا** ﴾ ففيه درس للداعية، فما دخل الرفق فى شيء إلا زانه.

ولذلك كان يزيد الرقاشى ـ رحمه الله ـ إذا قرأ قول الله هذا يقول:

يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه

وذهب موسى وهارون عليهما السلام إلى قصر فرعون ونادا عليه، فخرج لهما - قال له موسى: ﴿ **إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى * إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى** ﴾ [طه: ٤٧-٤٨].

فرد فرعون عليهما قائلاً: ﴿ **قال فمن ربكما يا موسى** ﴾ [طه:٤٩] فرد موسى قائلا: ﴿ **ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ [طه:٥٠] قال فرعون: ﴿ **قال فما بال القرون الأولى** ﴾ [طه:٥١].

والمعنى: «فما بال القرون الأولى فإنها لم تقرّ بالرب الذى تدعو إليه يا موسى بل عبدت الأوثان ونحوها من المخلوقات، ومعنى: البال الحال، والشان: أى ما حالهم وما شأنهم؟ »[1].

فرد موسى عليه السلام: ﴿ **قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى** ﴾ [طه:٥٢].

وفى مقام آخر، فى سورة الشعراء، أن موسى عندما ذهب إلى فرعون، قال

---

(١) فتح القدير (جـ ٣ ص ٣٦٩).

فرعون له: ﴿ **ألم نُربِّك فينا وليدًا ولبثت فينا من عُمُرك سنين * وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين** ﴾ [الشعراء: ١٨-١٩]، وبعد أن دار بينهما حوار سجلته السورة الكريمة وألقم موسى عليه الســلام فرعون الحجة قــال فرعون: ﴿ **قال لئن اتخذت إلهًـا غيرى لأجعلنك من المسجونين** ﴾ [الشعراء:٢٩] :

فرد موسى عليه السلام: ﴿ **قال أو لو جِئْتُكَ بشيءٍ مبين** ﴾ [الشعراء: ٣٠] .

قال فرعون: ﴿ **قال فأت به إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هى بيضاءُ للناظرين** ﴾ [الشعراء:٣٣] .

قلت: فلما أظهر موسى له معجزة العصا واليـد، ورأى فرعون أمامه ثعبانًا عظيمًا لم يطق صبرًا، فولى هاربًا - فلما هدأت نفســه والتقط أنفاسه قال: « إن هذا لساحرٌ عليم » ما فعل ذلك إلا ليــخرجكم من أرضكم ـ قال هذا لقومه ـ ثم اســتشارهم فى أمره: « فماذا تأمرون » فأشار عليه بجمع السحرة فى يوم معلوم، فأرسل فرعون إلى السحرة. فجاء ثمانون ألف ساحر،وقيل ستون ألف ساحر،وقيل غير ذلك فالله أعلم.

* المواجهة مع السحرة :

جاء الســحرة بحبالهم وعـصيهم وقالوا لفـرعون: ﴿ **أئِنَّ لنـا لأجـرًا إن كنـا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذًا لمن المقربين** ﴾ [الشعراء: ٤١-٤٢] .

فلما رآهم مـوسى- وكان ذلك فى يوم عـيد لهم-: ﴿ **قال لهم مـوسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبًا فيسحتكم بعذابٍ وقد خاب من افترى** ﴾ [طه:٦١] .

وبعدها: ﴿ **قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى * قال بل ألقُواْ فإذا حبالهم وعصيُّهم يُخَيَّلُ إليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس فى نفسه خيفةً موسى * قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى * وألق ما فى يمينك تلقف مـا صنعوا إنما صنعوا كيـد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى** ﴾ [طه: ٦٥-٦٩] .

فلما ألقى مـوسى عصاه فـإذا هى تلقم كل حبالهم وعـصيهم، وقـيل بأن رجلاً أعمى كان يقف فى المشـهد . فقال لمن حوله: هل ظهر على بطن حـية موسى شىء قالوا: لا . فآمن فى الحال .

ولما رأى السحرة ذلك أيقنوا بأن هذا ليس بساحر وأن ما فعله ليس بسحر، ولكنها معجزة من قِبَلِ الله تعالى: ﴿ **فألقى السحرة ساجدين * قالوا ءامنا برب العالمين * رب موسى وهارون** ﴾ [الشعراء: ٤٦-٤٨] .

قال ابن عباس: « لما سجدوا أراهم الله مقعدهم فى الجنة » .

فلما رأى فرعون ذلك قال لهم: ﴿**ءامنتم له قبل أن آذن لكم** ﴾ [الشعراء:٤٩] .

وهل الإيمان بالله يحتاج لإذن من البشر أيها الجاهل !!

ثم قال فرعون: ﴿ **إنه لكبيركم الذى علمكم السحر** ﴾ [الشعراء:٤٩] .

يقصد موسى هو الذى علمهم السحر، وأنهم اتفقوا مع بعض على ذلك، ثم هددهم بالقتل والصَّلْب فقال :

﴿. . . . . . . **فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين** ﴾ [الشعراء: ٤٩] .

قال السحرة: ﴿ **قالوا لا ضيرَ إنا إلى ربنا منقلبون * إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كُنَّا أولَ المؤمنين** ﴾ [الشعراء: ٥٠-٥١] .

ولما ثبتوا على إيمانهم، قام بقتلهم وصلبهم وتقطيع أيديهم وأرجلهم .

قال ابن عباس: « أصبحوا سحرة فجرة وأمسوا شهداء بررة » .

فكان هذا الطاغية أول من صَلَب .

قال البيضاوى: وكانوا ثمانين ألفًا أو سبعين ألفًا، أى عدد من قتلهم من السحرة.

* هامان يبنى الصرح :

ونفخ فرعون نفسه واستدعى وزيره هامان وأمره ببناء الصرح لماذا؟ ليطلع من عليه على إله موسى وقال: ﴿ **ما علمت لكم من إله غيرى** ﴾[القصص: ٣٨] قال تعالى: ﴿**وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحًا لعلى أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبًا وكذلك زين لفرعونَ سوءُ عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب** ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] .

روى صاحب تفسير الكشاف وغـيره: « أن فرعون ارتقى فوق هذا الصرح ورمى بسهم إلى السماء وأراد الله أن يفـتنه فَرُدَّ النصل إليه مخضبًا بالدم، فـقال: لقد قتلت إله موسى» ا.هـ. لقد صار موسى بلا إله يعبد، يقول تعالى: ﴿ **وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب** ﴾ .

ونزل وقد ازداد علوًا وعـتوًا، وجمع قومـه وقال: ﴿ **يا قـوم أليس لى ملك مصـر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون * أم أنا خيرٌ من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين * فلولا أُلقى عليه أسـورةٌ من ذهب أو جاء معه الملائكة مـقترنين * فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين** ﴾ [الزخراف: ٥١-٥٣] .

وفى سورة النازعـات قال تعالى حاكـيًا عنه: ﴿ **فـحـشر فنادى * فقـال أنا ربـكم الأعلى** ﴾ [النازعات: ٢٣-٢٤] .

* قصة ماشطة بنت فرعون :

إن الإيمان بالله تعالى عندما يـتغلغل فى القلب، فإن الإنسان يتحـول إلى صخرة عاتيـة يتحطم عليها كل قـوى الشر والكفر، ويسـتـعذب الانسانُ العذابَ فى سـبيل مرضـات خالقه جل وعـلا، ويصيـر المؤمن كسبـيكة الذهب لا يزيدها لهب النار إلا لمعانًا وبريقًا، وهذه قصة تدل على ثبات أهل الإيمان، وما أحوجنا إليها فى زمن طأطأ أهل الحق فيه رءوسهم، ورفع أهل الباطل فيه شوكتهم.

عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « لما أسرى بى مرت بى رائحة طيـبة، فقلت: ما هذه الرائحـة؟ قال ـ أى جبريل ـ: ماشطـة بنت فرعون وأولادها، سقط المشط من يدها "أى وهى تسرح لبنت فرعون رأسها" فقالت: باسم الله، فقالت بنت فرعون أبى، قـالت: ربى وربك ورب أبيك، قالت أو لك رب غير أبى؟ قالت: نعم ربى وربك ورب أبيك الله. قال: فدعـاها، فقال: ألك رب غيرى؟ قالت: نعم ربى وربك الله عز وجل. قال فأمر ببقرة من نحاس، فأحميت ثم أمر بها أن تلقى فيها، قالت: إن لى إليك حاجـة، قال: ماهى؟ قالت: تجمع عظامى وعظام ولدى فى موضع، قال: ذاك لك لما لك علينا من الحق، قال: فأمر بهم فألقوا واحدًا واحدًا حـتى بلغ رضيعًا فـيهم، فقال: يا أمَّـه قعى ولا تقاعـسى، فإنك على الحق.

قـال: وتكلم أربعة فى المهـد وهم صغـار: هـذا وشـاهـد يوسف وصاحب جـريج وعيسى بن مريم عليـه السلام »[١] .

قلت: وهذه جريمة أخرى من جرائم فرعون تضاف إلى الجرائم السابقة .

* تعذيب السيدة آسية بنت مزاحم :

وهذا نموذج فريد من نماذج الصمود ضد البـاطل، تقوم به امرأة لتعطينا درسًا فى حسن الثبـات على المبدأ، فرفع الله عليهـا وسامًا مخلدًا، فنزلت آخر سـورة التحريم لتخلد ذكرها إلى يوم القيامة .

عن القاسم بن أبى نبرة قـال: كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فـيقال: غلب رب موسى وهارون، فتقول: آمنت برب موسى وهارون، فـأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فأن مضت على قـولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فـهى امرأتى، فلما أتوها رفعت بصـرها إلى السماء فأبصرت بيـتها فى الجنة، فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح .

وفى بعض الروايات: «كانت امرأة فرعون تعذب فى الشمس، فإذا انصرف عنها (أى فرعون) أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها فى الجنة »[١] .

قال قتادة: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فوالله ماضر امرأته كفرُ زوجها حين أطاعت ربها، ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدًا إلا بذنبه[٢] .

وفى بعض الروايات إن فرعـون: (أوتد لها أوتادًا فشـد يديها ورجليهـا فدعت آسية ربها فقالت: ﴿ **رب ابن لى عندك بيتًا فى الجنة** ﴾ فوافق ذلك أن حضرها فرعون، فضحـكت حين رأت بيتها فى الجنة فـقال فرعون ألا تعـجبون من جنونها إنا نعـذبها وهى تضحك، فقبض الله روحها فى الجنة رضى الله عنها)[٤] .

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة جـ (٢/ ١٢١) قال ابن كثـير: إسناد لا بأس به، ولم يخرجوه (تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٦) وقال: مسجدى فتحى السيد (حديث صحـيح). أخرجه أحمد (١/ ٣٠٩ ، ٣١٠) والطبرانى والبزار وابن حبان (٢٨٩٢، ٢٨٩٣) والصحيح من قصص النبى (جـ٣ صـ٥ ، ٦).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٦١٥ .

(٣،٤) تفسير ابن كثير (جـ ٤ صـ ٦١٥) .

※ فضلها رحمها الله تعالى :

(١) قال تعالى: ﴿ **وضرب الله مثلاً للذين ءامنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتًا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين**﴾ [التحريم: ١١].

قال العلماء: اختارت الجار قبل الدار .

(٢) عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثيـر ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عـمران وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[١].

※ الإبتلاء بالنقم بعد النعم :

وأعلن فرعون وقومه الحرب على موسى وقومه كما صور القرآن ذلك .

قال تعالى: ﴿ **وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وءالهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون**﴾ [الأعراف: ١٢٧]، فخاف بنو اسرائيل وشكوا لموسى فقال لهم موسى: ﴿ **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ※ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعلمون** ﴾ [الأعراف: ١٢٨-١٢٩] .

وتوجه موسى إلى ربه يدعو على فرعون وقومه وهارون يؤمن من وراءه فقال: ﴿**ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم**﴾ [يونس: ٨٨] .

فقال الله تعالى: ﴿**قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون**﴾ [يونس: ٨٩] .

(١) صحيح: رواه البخارى (٧/ ١٩٣). ومسلم (٧/ ١٣٢) .

* **وبدأ تأديب الطغاة :**

قال تعالى : ﴿ **ولقد أخذنا آل فرعون بـالسنين ونقصٍ من الثمرات لعلهم يذكرون** ﴾ [الأعراف : ١٣٠] .

والسنين : هى شدة الجوع ، وفى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ كان يستعيذ بالله من الجوع : « وأعوذ بك من الجوع فبئس الضجيج » ونقصٍ من الثمرات : محقت البركة وتمردت الأشجار على إعطاء الثمار ، قال كعب : « كانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة!! » .

قلت: فجمع الله عليهم بلاءين : « شدة الجوع مع قلة الرزق » .

وفى بعض الآثار : « أن الله إذا غضب على قوم نادى منادٍ بين السماء والأرض : يا بركةُ ارْتَفِعي ويا مَعِدةُ اتسِعي ويا نَفْسُ لا تَشْبَعِى» ثم تتابع البلاء عليهم .

قال تعالى : ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين** ﴾ [الأعراف : ١٣٣] .

أما الطوفان. قال المفسرون : هو فيضان النيل الذى أغرق الأرض وأهلك الزرع ومعه ماء المطر فى ظلمة شديدة لا يرون فيها شمسًا ولا قمرًا ، قيل لمدة ثمانية أيام .

وأما الجراد: فهو آفة تأكل الزرع والأشجار والأبواب وأسقف المنازل والثياب والأمتعة .

قلت: وفى عصرنا الحديث سمعنا عن النمل الأبيض الذى ظهر فى بعض البلدان ، قيل بأنه كان يأكل الحديد ، وكذلك البكتريا آكلة لحوم البشر ، والإيدز المسمى بطاعون العصر ، وإنما جاء هذا البلاء بسبب ظهور الفواحش وارتكاب المنكرات ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أما القمل: فهو صغار الجراد ، كان يأكل المحاصيل ويدخل بين ثوب الرجل وبدنه فيمص دمه .

قال سعيد بن جبير : «فأخذت فى أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى » .

أما الضفادع: فلقد أمر الله تعالى موسى أن يذهب إلى النيل ويشير بعصاه من النيل إلى قوم فرعون، ففعل موسى فخرجت الضفادع من النيل كالجيوش فملأت أفنيتهم وآنيتهم، فكان أحدهم لا يكشف ثوبًا ولا إناءً ولا طعامًا ولا شرابًا إلا وجد فيه الضفادع، وقيل: كانت الضفادع تتقيأ صديدًا فى الأطباق والأطعمة أمامهم .

وعن ابن عباس: « إن الضفادع كانت تقذف نفسها فى القدور وهى تغور وفى التنانير وهى مسجورة »، وصارت طرق المدينة والشوارع ملأى بجثث الضفادع وكذلك البيوت .

أما الدم: فكان أحدهم يرفع الإناء ليشرب منه فيتحول الماء إلى دم نجس فكانوا لا يشربون ماءً إلا وجدوا فيه الدم، ومن الغريب الذى يدل على قدرة الله تعالى أن قوم موسى لم يصابوا بأى نوع من هذا البلاء. ومع هذا فلم يفكروا يومًا فى اتباع الحق، بل ازدادوا طغيانا وقالوا لموسى: ﴿**مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين**﴾ [الأعراف: ١٣٢] .

* الغــرق :

أمر الله تعالى موسى أن يجمع بنى إسرائيل ويسير بهم ليلاً إلى أرض سيناء .

قال تعالى: ﴿ **فأسْرِ بعبادى ليلاً إنكم متبعون** ﴾ [الدخان: ٢٣] فجمع موسى عليه السلام بنى اسرائيل وانطلق بهم ليلاً، فلما علم فرعون بذلك جمع جيشه وانطلق خلف موسى ومن معه .

ووصل موسى بمن معه إلى شاطىء البحر، وعلمت بنو إسرائيل أن فرعون وجيشه من وراءهم فخافوا وقال لموسى: ﴿ **إنا لَمُدْرَكُون** ﴾ [الشعراء: ٦١] .

فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿ **كلا إن معى ربى سيهدين** ﴾ [الشعراء: ٦٢] وجاء التأييد الفورى لموسى عليه السلام .

قال تعالى: ﴿ **فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلُّ فِرْقٍ كالطود العظيم** ﴾ [الشعراء: ٦٣] .

وعبر موسى ومن معه البحر، ولما وصل فرعون إلى شاطىء البحر ووجده قد انفلق فقال: « لقد انشق البحر فَرَقًا منى ومهابةً من عظمتى!! » وعبر فرعون بجنوده

البحر خلف موسى ولما توسط الماء، عاد الماء لسيولته، وهنا لما أدركه الغرق أحب أن يمكر على الله فقال: ﴿ءَامنت أنه لا إله إلا الذى ءَامنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين﴾ [يونس: ٩٠] .

قلت: والتوبة عند الإحاطة التى فيها الهلكة لا تنفع ولا تقبل لأنها نظير الغرغرة عند لحظة الإحتضار .

عن ابن عباس عن النبى ﷺ: «قال جبريل: لو رأيتنى وأنا أخذُ مِنْ حَمَاءِ البحر- أى طينه- فأدسُّهُ فى فىِّ فرعون، مخافة أن تُدْركهُ الرحمة»(١) .

قال تعالى ردًا على شهادته: ﴿ **ءالآن وقد عصيتَ قَبلُ وكنت من المفسدين * فاليوم ننجيك بِبَدنكِ لتكون لمن خَلْفَك ءايةً وإن كثيراً من الناس عن ءاياتنا لغافلون**﴾ [يونس: ٩١-٩٢] .

وهكذا شاءت إرادة الله تعالى أن ينجى بدن فرعون من الإختفاء، ويلهم الفراعنة فن التحنيط ونرى جثتهم إلى اليوم، لتكون لنا عظة وعبرة ولنعلم أن الله يحكم ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

وهكذا تطوى صفحة من صفحات الظلم فى تاريخ البشرية .

قال تعالى: ﴿ **وجعلناهم أَئمةً يدعُون إلى النَّار ويَوْمَ القيامة لا يُنْصَرون * وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين** ﴾ [القصص: ٤١-٤٢].

وقال تعالى: ﴿ **كم تركَوُا من جنات وَعُيونٍ * وزرُوع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قومًا ءَاخرينً * فما بكت عليهم السماءُ والأرضُ وما كانوا منظرين** ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٩] .

وورث بنو إسرائيل قوم فرعون وأكلوا خيراتهم .

قال تعالى: ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يُسْتَضعفون مشَارِق الأرض ومغاربها التى باركْنَا فيها وتمتْ كلمتُ ربِّك الحُسْنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعونُ وقومُهُ وما كانوا يعرشون** ﴾ [الاعراف: ١٣٧] .

---

(١) صحيح: رواه الترمذى وأحمد فى المسند والحاكم والطيالسى والخطيب وانظر: [صحيح الجامع برقم٤٣٥٣] [والصحيحة برقم ٢٠١٥] .

(١٠) مصرع قارون عابد المال

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن هذا الدِّينار والدِّرْهمَ أهلكا من قبلكم وهما مهلكاكم »[1] .

وعن كعب بن عياض - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لكل أمةٍ فِتْنَة، وإن فِتْنَةَ أُمَّتِى المال »[2] .

وعن حكيم بن خزام قال: قال رسول الله ﷺ: « إن هذا المال خَضِرٌ حُلْوٌ فمن أَخَذَهُ بحقِّه بُورِكَ له فيه، ومَن أخذه بإشرافِ نَفْسٍ لم يُبارِك له فيه، وكان كالذى يَأْكُل ولا يَشْبع، واليَدُ العليا خير من اليدِ السُّفْلى »[3] .

وقال عمر بن الخطاب: « احذروا المال فإنه له ضرواة كضرواة الخمر » .

قلت: وصدق عمر رضى الله عنه، فكم من أقدام زلت بعد ثبوتها، وكم من قلوب قست بعد خشوعها، وكم من افئدة انقطعت عن الله بعد اتصالها، وبل وكم من نفوس كفرت بالله بعد إيمانها بسبب المال، وصدق النبى ﷺ: « تَعِس عَبْدُ الدِّرْهم تعس عبد الدينار » رواه البخارى .

هذا وقصة قارون هذه أدل دليل على طغيان المال الذى يعمى ويصم ويصد عن سبيل الله ويعمى الأفئدة قبل الأبصار .

قال تعالى: ﴿ **إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم** ﴾ [القصص:٧٦] .

قال ابن جرير: وقول أكثر أهل العلم أنه كان ابن عم موسى .

قال قتادة: كان يسمى بالمنور لحسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق « السامرى »[4] فأهلكه البغى لكثرة ماله، وقيل كان من السبعين رجلاً الذين اختارهم موسى للميقات[5] .

---

(١) صحيح: رواه البيهقى فى شعب الإيمان والطبرانى فى الكبير [وانظر صحيح الجامع ٢٢٤٥] .
(٢) صحيح: رواه الترمذى والحاكم [وانظر صحيح الجامع ٢١٤٨] .
(٣) صحيح: رواه أحمد فى المسند والترمذى والنسائى ومسلم .
(٤) سيأتى الحديث عنه فى الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .
(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (جـ ٢٣ صـ ٣١٥) .

قوله: ﴿ **فبغى عليهم** ﴾ تكبر عليهم وتطاول وتجاوز الحد، قال شهر بن حوشب: إزداد فى ثيابه طولاً ترفعًا على قومه(١) .

قال تعالى: ﴿**وءاتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأُ بالعصبةِ أولى القوة**﴾[القصص: ٧٦].

قال ابن كثير: إن مفاتحة كان يثقل حملها على الفئام من الرجال الشداد، وقد قيل إنها كانت من الجلود، وإنها كان تحمل على ستين بغلاً فالله أعلم، وعن ابن عباس: « كانت خزائنه يحملها أربعون رجلاً أقوياء » .

وقال أبو رزين: «يكفى الكوفة مفتاح»(٢) .

* ووجه الصالحون إليه خمس نصائح:

الأولى: ﴿ **لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** ﴾ والمعنى: لا تبطر بما أعطيت وتفخر على غيرك، والفرح المنهى عنه كما قال مجاهد: « الأشرو البطر. أى: الذى يدعو صاحبه إلى الوقوع فيما يغضب الله، وينسيه ذكره وشكره ا.هـ »(٣)

وقال ابن عباس: « إن الله لا يحب الفرحين.» أى المرحين .

وقال مجاهد: الأشرين البطرين الذى لا يشكرون الله على ما أعطاهم .

الثانية: ﴿ **وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة** ﴾ أى: استعمل المال فى طاعة الله لتحصل على الثواب الجزيل فى الدار الآخرة، والمراد أن يصرف المال إلى ما يؤديه إلى الجنة ويسلك طريقة التواضع(٤) .

الثالثة: ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ أى: مما أباح الله لك فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، والمناكح، فإن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزوارك عليك حقًا فأت كل ذى حق حقه .

وقيل لا تنس نصيبك من الدنيا، هو الكَفَن .

---

(١) تفسير ابن كثير (جـ ٣ صـ ٣٦٣) .
(٢) من أنباء الرسل (جـ ١ صـ ٢٨٩) .
(٣) الصراع بين النفس والمال للشيخ كشك (ص ٢٣) .
(٤) مفاتيح الغيب (جـ ٢٣ صـ ٣١٨) .

الرابعة : ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ أى: أحسن إلى خلقه بمالك كما أحسن هو إليك .

الخامسة : ﴿ولا تبغ الفساد فى الأرض﴾ أى: لا تسىء إليهم ولا تفسد فيهم، فتعاملهم ضد ما أمرت فيهم فيعاقبك ويسلبك ما وهبك .

فلم يسمع قارون لهذه النصائح، فتعاظم واختال، ونسى الكبير المتعال، وأرغى وأزبد وقال قولته التى قصمت ظهره : ﴿ **إنما أوتيته على علم عندى** ﴾ [القصص:٧٨].

قال قتادة ومقاتل والكلبى: كان قارون أقرأ بنى اسرائيل للتوراة، فقال إنما أوتيته لفضل علمى واستحقاقى لذلك .

وقال الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: « لولا رضى الله عنى ومعرفته بفضلى ما أعطانى هذا المال وهكذا يقول من لا علم عنده»[١] .

وقال الاستاذ عبد السلام بدوى فى كتابه من أنباء الرسل: « وكثيرًا ما نقول هذه العبارة ببساطة ونحن لا ندرى أبعادها ولا نسير أغوارها، كأن يقول أحدنا: لقد كونت ثروتى بذراعى، ونميت مالى بشطارتى، وهزمت أعدائى بشجاعتى ناسيًا أن الله هو المدبر والمُقَدِّر » .

فَرَدَّ الله تعالى عليه : ﴿ **أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدُّ منه قوة وأكثر جُمعًا ولا يُسئَل عن ذنوبُهم المجرمون** ﴾ [القصص:٧٨]، أى: من كثرتها فهم فى النار .

قال تعالى: ﴿ **فخرج على قومه فى زينته** ﴾ [القصص:٧٩] .

قال الحسن: «خرج فى الحمرة والصفرة » - خرج فى الخدم والمشير والعبيد والزينة، فلما رآه طلاب الدنيا على هذا الحال .

قال تعالى: ﴿ **قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم** ﴾ [القصص:٧٩]، ولكن أهل العلم النافع الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين

---

(١) تفسير ابن كثير (جـ ٣ صـ ٦٣٧) .

نظر الناس إلى ظاهرها قالوا كما قال تعالى: ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثوابُ الله خيرٌ لمن ءامن وعَمِل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون** ﴾ [القصص: ٨٠] .

قال صاحب الكشاف: (ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى)(١) .

وقوله: ﴿ **ولا يلقاها إلا الصابرون** ﴾ أى: لا يُوفَّق لها، وقال السُّدِّى: ولا يلقى الجنة إلا الصابرون، وقال ابن جرير: ولا يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون فى الدار الآخرة .

*** نهاية محتومة :**

قال تعالى: ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض** ﴾ [القصص: ٨١] .

وفى الحديث الصحيح: « بينما رجل يجر إزاره إذ خُسف به، فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة»(٢) .

﴿ **فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً** ﴾ [القصص: ٨١] أى: ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله، ولا كان هو فى نفسه منتصراً فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره(٣) .

ولما رأى طلابُ الدنيا ما أحل بقارون، رجعوا إلى أنفسهم وندموا على ما بَدَر منهم. قال تعالى: ﴿ **وأصبح الذين تَمَنَّوْا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يَبْسُط الرزق لمن يشاءُ من عباده ويقدر لولا أن مَنَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون** ﴾ [القصص: ٨٢] .

قال الإمام الفخر الرازي: أعلم أن (وى) كلمة مفصولة عن (كأن)، وهى كلمة مستعملة عند التنبه للخطأ وإظهار التندم - لما شاهدوا الخسف تنبهوا لخطئهم فقالوا: وى . ثم قالوا: كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته

---

(١) مفاتيح الغيب (جـ ٢٣ صـ ٣٢١) .

(٢) صحيح: رواه البخارى (٩/ ١٧٦)، ومسلم (١/ ١٢١) .

(٣) تفسير ابن كثير (جـ ٣ صـ ٦٣٩) .

وحكمته لا لكرامته عليه، ويضيق على من يشاء لا لهوان من يضيق عليه بل لحكمته وقضائه ابتلاءً وفتنة[١] .

وذكر الفراء أن معنى ويكأن (أى ويل اعلم) .

وقال قتادة: معناه (ألم تر أن الله) وقال ابن جرير: وهو أقوى الأقوال .

قلت: ثم وجهنا القرآن إلى الوجهة الحق وإلى الطريق الصواب وإلى الملك الذى لا يحول ولا يزول فقال تعالى: ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلوًا فى الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين** ﴾ [القصص:٨٣] .

عن على ابن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال: « إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها »[٢] .

وعلى ما تقدم فإنه يجب على السلم ألا يغتر بكثرة مال فإن المال إلى زوال وعليه بالرضا فى كل الأحوال يسعد ويفرح وفى الحديث الشريف: « إن الله تعالى يبتلى العبد فيما أعطاه، فإن رضى بما قسمه الله له بورك له فيه ووسَّعهُ، وإن لم يَرْضى لم يباركْ له، ولم يزد على ما كتب له »[٣].

* * *

(١١) السامريُّ وعاقبة المكر السيء

السامرى: هو موسى السامرى، وكان من بنى إسرائيل « من قوم موسى » قيل: بأنه وُلِدَ فِي نفس العام الذى ولد فيه موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ فأخذه أبوه وهَرَّبه من جنود فرعون خشية أن يقتلوه، وأدخله فى كهف فى الجبال، فكان جبريل ينزل عليه يرعاه ويظن أنه موسى ابن عمران النبى - حتى بلغ معه مبلغ السعى[٤] .

قلت: وهذا دليل صدق على أن علم الغيب تَفَرَّدَ به الله سبحانه وحده كما قال

(١) مفاتيح الغيب (جـ ٢٣ صـ ٣٢٣) .
(٢) نفس المرجع (جـ ٢٣ صـ ٣٢٤) .
(٣) صحيح: رواه أحمد فى المسند وانظر السلسلة الصحيحة برقم (١٦٥٨) .
(٤) القرطبى - (١٤٨) - الأعراف .

بعضهم: « والله ما موسى الكليم ولا المسيح ولا محمد عرفوا ولا النفس البسيطة لا ولا الروح المجرد كلا ولا جبريل وهو إلى مقام القرب يصعد من كنه ذاتك غير أنك أوحادى الذات سرمد »[١] .

ويصدق قول الشاعر .

فموسى الذى رباه فرعون مرسل ... وموسى الذى رباه جبريل كافر

وكان هذا الوليد هو موسى السامرىّ. . الذى استغل غياب موسى فى ميقات ربه على الطور يتلقى الألواح. . فصنع لهم عجلاً من حليهم. . وقال لهم : ﴿ **هذا إلهكم وإله موسى** ﴾ .

رأى موسى السامرىُّ هذا يوم انغلاق البحر لعبور بنى اسرائيل ـ كما تقدم ـ بعد أن وقف على الساحل. . ليرى ما يصنع فرعون وجنوده. . رأى جبريل بعمامته السوداء يخوض البحر. . بفرسه: « حيزوم ». . استدراجًا لفرس فرعون .

قال المفسرون: جاء جبريل على فرس الحياة. . وهى بلقاء أنثى. . لا تصيب شيئًا إلا حيى. بمعنى إذا مست التراب بحافرها دبت الحياة فى التراب .

فلما رآه السامرى على تلك الفرسة عَرِفَهُ. . وقال: إن لهذه الفرس لشأنًا عظيمًا. . وأخذ قبضه من التراب الحى. . لاستغلاله فى أغراضه السحرية. . وألاعيبه الخداعية. . ثم انطلق كالريح فلحق ببنى اسرائيل .

ولما صعد موسى بعد ذلك الجبل بنقبائه (أى يوم الميقات – على جبل الطور). . ولم يعد بعد انقضاء الأجل الذى واعدهم عليه. . وهو ثلاثون ليلة[٢] قال لهم السامرى: إنما أخلف موسى ميعادكم. . لما معكم من الحلى المسروقة من المصريين[٣]. . فهى حرام عليكم. . لأنكم حصلتم عليها بطرق غير مشروعة. . وطالبهم بالتخلص منها. . وإلقائها فى النار. . وألقوها فعلاً. . فصنع من تلك

---

(١) من أنباء الرسل (جـ ١ صـ ٢٧٨) .

(٢) كان الله سبحانه – قد واعد كليمه موسى ثلاثين ليلة – على جبل طور سيناء – لتلقى الألواح – ثم أتمها بعشر، فتم الميقات أربعين ليلة .

٣) كانت نساءُ بنى إسرائيل قد أخذن ذهبًا من نساء قوم فرعون عند خروجهم من أرض مصر إلى سيناء .

السبيكة عجلاً جسدًا[١] . . وألقى السامرى قبضة التراب الحى . . فى فم العجل الذى صنعه من حُليهم (أى من ذهبهم) . . فخار خوار البقر . . واستزلهم الشيطان - وغلبتهم طبيعة الوثنية - التى أشربوها فى قلوبهم . . فقالوا : هذا إلَـهنا . . نسيه موسى هنا . . وخرج للقائه على الجبل . . فعبدوه ورقصوا حوله . . وكانت أمنيتهم التى أبدوها لموسى - عليه السلام - يوم نجاتهم وهلاك فرعون . . عندما مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم . . وقالوا له : يا موسى : ﴿ **اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة** ﴾ .

اقرأ قوله تعالى : ﴿ . . **حُمِّلْنا أوزارًا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرىُّ * فأخرج لهم عجلاً جسدًا له خوار فقالوا هذا إلهُكم وإله موسى فنَسِىَ** ﴾[٢] [طه : ٨٧-٨٨] .

عن الحسن البصرى : أن اسم العجل بهموت . . وقد عكفوا على عبادته . . وأحبوه حبًا ما أحبوا شيئًا مثله . . فقال لهم هارون : ﴿ **يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى** ﴾ [طه : ٩٠-٩١] .

وكان موسى عليه السلام قد استخلف هارون قبل ذهابه للميقات .

قال تعالى : ﴿ **وقال موسى لأخيه هارون اخلُفْنى فى قومى وأصلح ولا تتبعْ سبيل المفسدين** ﴾ [الأعراف : ١٤٢] .

ولما أنكر هارون عليهم أشبعوه ضربًا حتى كادوا يقتلوه .

وقبل عوده موسى إليهم ، كان الله قد أخبره بعبادة قومه للعجل قال تعالى : ﴿ **قال فإنا قد فتناَ قومَكَ من بعدِك وأضلهم السامرىُّ** ﴾ [طه : ٨٥] .

وعاد موسى إلى قومه غضبان أسفا . بعد أن تلقى الألواح ، ورآهم موسى على البُعْدِ يعكفون على العجل يعبدونه . . ويرقصون حوله مكاءً وتصدية - فاستولى عليه غضب شديد . . وثار ثورة عارمة . . وألقى الألواح من يده على الأرض فى ثورته . . وقيل أنها كُسِرَت[٣] .

---

(١) القرطبى - (١٤٨) - الأعراف .

(٢) من أبناء الرسل (جـ صـ ٢٧٩) .

(٣) نفس المرجع (صـ ٢٨٠) .

وأقبل على قومه قائلا: ﴿ . . . **يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا أفطال عليكم العهدُ أم أردتم أن يحل عليكم غضبٌ من ربكم فأخلفتم موعدى** ﴾ [طه:٨٦] فقصوا على موسى ما حدث من السامرى وكيف صنع لهم عجلاً عبدوه .

فأقبل موسى على أخيه هارون فأمسك بلحيته وبرأسه بعنف وقسوة قائلاً: ﴿ **ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعن أفعصيت أمرى** ﴾ [طه: ٩٢-٩٣] .

فأجاب هارون: ﴿ . . . **قال ابن أُمَّ إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تُشْمِتْ بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين** ﴾ [الأعراف: ١٥٠] .

وفى سورة طه: ﴿ **قال يَبْنَؤُمَّ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسي إنى خشيت أن تقول فَرَّقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى** ﴾[طه: ٩٤] .

قلت: ونزلت هذه الكلمات على قلب موسى عليه السلام بردًا وسلامًا فهدأت نفسه و: ﴿ **قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين** ﴾ [الأعراف:١٥١] .

قال تعالى: ﴿ **إن الذين اتخذوا العجل سينالُهم غضبٌ من ربِّهم وذلةٌ فى الحياة والدنيا وكذلك نجزى المفترين** ﴾ [الأعراف:١٥٢] .

ثم انطلق موسى عليه السلام تجاه رأس الأفعى « السامرى » وقال: ﴿ **فما خطبك يا سامرىّ** ﴾ [طه:٩٥]. والمعنى: أى ما شأنك وما الذى حملك على ما صنعت ؟

﴿ **قال بَصُرْتُ بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتهُا وكذلك سولت لى نفسى** ﴾ [طه:٩٦] .

أراد بذلك أنه رأى جبريل على فرس الحياة فألقى فى ذهنه أن يقبض قبضة من أثر الرسول، وأن ذلك الأثر لا يقع على جماد إلا صار حيًا، ومعنى (فنبذتها) فطرحتها فى الحلىّ المذابة المسبوكة على صورة العجل، (وكذلك سولت لى نفسى) .

قال الأخفش: أى زينت .

فلما سمع موسى عليه السلام منه ذلك: ﴿ **قال فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لا مساس** ﴾ [طه:٩٧] .

أى اذهب من بيننا واخرج عنا فإن لك فى الحياة: أى مادمت حيًا (أن تقول لامساس)- ومعنى لامساس: أى لا يَمَسَّكَ أحدٌ ولا تمسَّ أحدًا، وكان إذا ماسه أحد حمَّ(١) الماس والممسوس، فلذلك كان يصيح إذا رأى أحدًا: لا مساس .

قلت: هذا فى الدنيا، أما فى الآخرة فقال له: ﴿ **وإن لك موعدًا لن تُخْلَفَه** ﴾ [طه:٩٧] وهو يوم القيامة، أى أن لك وعدًا لعذابك، وهو كائن لا محالة. قال الزجاج: أى يكافئك الله على ما فعلت فى القيامة والله لا يخلف الميعاد، ثم قال له: ﴿ **وانظر إلى الـهك الذى ظلت عليه عاكفًا لنُحَرِّقَنَّهُ ثُم لَنَنْسِفَنَّه فى اليم نَسْفًا** ﴾ [طه:٩٧] .

والمعنى: انظر إلى آلــهك الذى دمت وأقمت على عبادته لنحرقنه أى بالنار - قال ابن عباس (لنحرقنه) قال: بالنار، وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿**لنُحَرِّقَنَّهُ**﴾ خفيفة(٢) ويقول: إن الذهب والفضة لا تحرق بالنار، بل تسحل بالمبرد ثم تلقى على النار فتصير رمادًا: ﴿ **ثم لننسفنه فى اليم نسفًا** ﴾ النسف نقض الشىء ليذهب به الريح قال ابن عباس: « لنذريه فى البحر »(٣) .

وهكذا خسر الماكر الكذاب الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين: ﴿ **إن فى ذلك لآيةً لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يومٌ مشهود** ﴾ [هود:١٠٣] .

* * *

(١٢) بلعام بن باعوراء الشبيه بالكلب

عجيب أمر هذا الدنيا، كم من عاشق لها قتلت، وكم من مفتون بها خذلت، وكم أضلت قومًا بعد هدى كانوا عليه .

وصدق النبى ﷺ عندما قال: « فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء »(٤) .

---

(١) حمَّ: أى أصابته حُمىً شديدة .

(٢) قلت: أى تقرأ هكذا (لَنُحْرِقَنَّهُ) .

(٣) فتح القدير (جـ ٣ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤) باختصار .

(٤) رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى وهو صحيح .

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « ما ذئبان ضاريان فى حظيرة يأكلان ويفسدان بأرض فيها من حبِّ الشرف وحبِّ المال فى دين المرء المسلم »(١) .

ونقدم قصة بلعام كما صورها القرآن ليتبين لنا من خلالها أن العالِم الذى لا ينفعه علمه يصل إلى درجة يتساوى فيها مع الكلب فى أحسن حالاته وأحط صوره والعياذ بالله تعالى .

بلعام بن باعوراء حَبْر كبير من أحبار اليهود، تلقى العلم على يد موسى ابن عمران عليه السلام، وقيل كان عنده اسم الله الأعظم، وكان مجاب الدعوة، أرسله موسى إلى قوم مدين ليدعوهم إلى التوحيد الخالص، فلما ذهب إليهم ودعاهم، أغروه بالمال مقابل أن يترك دعوته، وقيل وعرض عليه الملك أن يزوجه بأحلى النساء، ولما رأى بلعام بريق المال وجمال النساء، سال لعابه، « فكر وقدر »، « ثم نظر » وقال فى نفسه: «الله أم الشيطان؟ موسى أم المال؟ الدنيا أم الآخرة؟ ووصل إلى مجال إنعدام الوزن، ثم هداه هواه إلى اختيار المال والشيطان، فهوى بعد أن اتبع الهدى، وزلت قدمه بعد ثبوتها، وأصبح فى الأرض حيران كالذى استهوته الشياطين، وتمرغ فى الطين بعد أن تربح على قبة الفلك»(٢) .

عزيزى القارىء: وأسوق إليك حديثًا ترتعد منه الفرائض، وتدمع منه العيون، وتوجل منه القلوب، نسأل الله الثبات على الدين إلى أن نلقاه .

عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: « إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت عليه بهجته، وكان عليه رداء الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله انسلخ منه ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك، قال: قلت يا نبى الله أيهما أولى بالشرك المرمىّ أو الرامى؟ قال: بل الرامى »(٣) .

وفى رواية أخرى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أخوف ما أخاف على أمتى ثلاث: رجل قرأ كتاب الله تعالى، حتى إذا رئيت عليه

(١) حسن: رواه البزار وقال المنذرى: « وإسناده حسن » وقوله: (فى حظيرة) أى فى حظيرة غنم كما فى رواية أخرى .

(٢) الصراع بين النفس والمال للشيخ كشك (صـ ٨) .

(٣) حديث جيد: رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده وجَوَّد إسناده ابن كثير فى التفسير (جـ٢ ص ٤٢٠) .

بهجته، وكان عليه رداء الإسلام أعاره الله إياه، اخترط سيفه، فضرب به جاره، ورماه بالشرك. قيل: يا رسول الله! الرامى أحق به أو المرمى؟ قال: الرامى - ورجل آتاه الله سلطانًا، فقال: من أطاعنى، فقد أطاع الله، ومن عصانى، فقد عصى الله، وكذب، ليس بخليفة أن يكون جنة دون الخالق - ورجل استخفَّته الأحاديث، كلما قطع أحدوثة، حدث بأطول منها، إن يدرك الدجَّال، يتبعه»[(١)] .

قلت: ولعل المقصود بالسلطان فى الحديث هو السلطان الجائر، وذلك لثبوت أحاديث صحيحة توجب السمع والطاعة للإمام العادل وللجائر أيضًا مالم يأمر بمعصية، أما الرجل الثالث وهو الذى استخفته الأحاديث وهو الرجل الذى يختلق الأحاديث ويرويها والله أعلم .

قال تعالى: ﴿ **واتل عليهم** ﴾ (يا محمد) نبأ (خبر): ﴿ **الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها** ﴾ [الأعراف:١٧٥] .

قال الشيخ كشك: « إن السلخ فى الأصل كشط الجلد عن اللحم، وهو يعطينا أنه لا عودة، فكما أن عودة الجلد إلى اللحم بعد سلخه أمر محال كذلك عودة هذا الذى أظلم قلبه بحب الدنيا، عودته إلى آيات ربه أمر محال »[(٢)] .

﴿ **فأتبعه الشيطان** ﴾ [الأعراف:١٧٥]. وفى قراءة: ﴿ **فاتَّبعه الشيطانُ** ﴾ أى: صار قائدًا للشيطان والشيطان خلفه كما قيل :

وكُنْتُ امْرءاً من جُنْدِ إبْليس فارْتَقَى بى   الحالُ حَتَّى صَارَ إبْليسُ مِنْ جُنْدى[(٣)]

﴿ **فكان من الغاوين** ﴾ [الاعراف:١٧٥]. أى: من الهالكين الحائرين العاملين بخلاف علمهم .

﴿ **ولو شئنا لرفعناه بها** ﴾ [الأعراف:١٧٦] .

أى: لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات، التى آتيناه إياها .

---

(١) حديث يصل لدرجة الحسن إن شاء الله رواه الطبرانى وانظر اتحاف الجماعة للتويجرى (جـ ١ صـ٣٢٥) .

(٢) الصراع بين النفس والمال (صـ ٩) .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

﴿ **ولكنه أخلد إلى الأرض** ﴾ [الأعراف:١٧٦] قال مقاتل: رضى بالدنيا قال أبو الراهوية: « تراءى له الشيطان على علوة من قنطرة بانياس فسجدت الحمارة لله!! وسجد بلعام للشيطان! وكذا قال عبد الرحمن بن جبير وغير واحد »(١) .

﴿ **واتبع هواه** ﴾ [الأعراف:١٧٦]. أى: آتخذه إلهًا يعبد. قال عطاء: أراد الدنيا وأطاع شيطانه .

*** الجـــزاء :**

قال تعالى: ﴿**فمثله كَمثل الكلب إن تحملْ عليه يلهثْ أو تتركه يلهث**﴾[الأعراف:١٧٦].

أقول: « ما أقبحه من منظر وما أعدله من عقاب: إنه تشبيه لحاله بالكلب فى أخس حالاته لا فى أمانته وحراسته، إنما فى تعبه وشقائه فهو دائمًا يلهث، أى يخرج لسانه ويتنفس بصعوبة فى كل حالاته سواء زجرته وقسوت عليه أم أرحته وعطفت عليه »(٢) .

وأعلم أن: « من خصال الكلب "أيضا" أنه دائمًا يشم دبره دون سائر أجزائه، ولا يحب أن يشاركه غيره فى جيفته ولو كانت تكفى مائة كلب »(٣) .

*** كلام قيم للإمام ابن القيم :**

قال رحمه الله: « فشبه الله سبحانه من آتاه كتابه، وعلمه العلم الذى منعه غيره. فترك العمل به واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق، بالكلب الذى هو من أخس الحيوانات، وأوضعها قدرًا، وأخسها نفسًا، وهمته لا تتعدى بطنه. وأشدها شرهًا وحرصًا. ومن حرصه أنه لا يمش إلا وخطمه فى الأرض يتشمم، ويتروح حرصًا وشرهًا. ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزاء جسمه وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته. وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان، وأرضاها بالدنايا، والجيفُ القذرة العذرة أحب إليه من

(١) تفسير ابن كثير (جـ ٢ صـ ٤٢٠) .

(٢) الصراع بين النفس والمال (صـ ١١) .

(٣) أمثال ونماذج بشرية من القرآن للأستاذ/ أحمد بن محمد طاحون (جـ ٢ صـ ٣٧٩) .

الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفى مائة كلب لم يدع كلبا يتناول معه منها شيئًا إلا هَرَّ عليه وقهره، لحرصه وبخله وشرهه .

ومن عجيب أمره وحرصه: أنه إذا رأي ذا هيئة رثة وثياب دنية، وحال رزيَّة نبحه، وحَمَل عليه، كأنه يتصور مشاركته له، ومنازعته فى قوته، وإذا رأى ذا هيأة حسنة وثَياب جميلة ورياسة، وضع له خطمه بالأرض، وخضع له، ولم يرفع إليه رأسه .

وفى تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه بالكلب فى حال لهثه سر بديع، وهو أن هذا الذى حاله مما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا، لإنقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة. فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم فى حال إزعاجه وتركه واللهف واللهث شقيقان وأخوان فى اللفظ والمعنى .

. . . فالكلب من أقل الحيوانات صبرًا عن الماء، وإذا عطش أكل الثرى من العطش وإن كان فيه صبر على الجوع. وعلى كل حال فهو أشد الحيوانات لهثًا يلهث قائمًا، وقاعدًا، وماشيًا، وواقفًا، وذلك لشدة حرصه، فحرارة الحرص فى كبده توجب له دوام اللهث. فهكذا مشبهه شدة الحرص وحرارة الشهوة فى قلبه توجب له دوام اللهث فإن حملت عليه بالموعظة والنصيحة فهو يلهث، وإن تركته ولم تعظه فهو يلهث .

قال مجاهد: ذلك مثل الذى أوتى الكتاب ولم يعمل به .

وقال ابن عباس: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها، وإن تتركه لم يهتد إلى خير، كالكلب إن كان رابضًا لهث، وإن طرد لهث .

وقال الحسن: هو المنافق لا يثبت على الحق، دعى أو لم يدع، وعظ أو لم يوعظ. كالكلب يلهث طردًا وتركًا .

وقال عطاء: ينبح إن حملت عليه أو لم تحمل عليه .

وقال أبو محمد بن قتيبة: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب، فإنه يلهث فى حال الكلال، وحال الراحة، وحال الصحة، وحال المرض

والعطش. فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته، وقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث[١] ا.هـ .

ونظيره قوله سبحانه: ﴿ **وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون** ﴾ .

قال تعالى: ﴿**ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾ [الأعراف:١٧٦] - أى: ذلك المثل الخسيس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود، بعد أن علموا بها وعرفوها. فحرفوا وبدلوا وكتموا صفة رسول الله ﷺ وكذبوا بها ﴿**فاقصص القصص**﴾ أى: فاقصص عليهم هذا القصص الذى هو صفة الرجل المنسلخ عن الآيات فإن حدثه المذكور كمثل هؤلاء القوم المكذبين من اليهود الذين تقص عليهم: ﴿ **لعلهم يتفكرون** ﴾ فى ذلك ويعملون فيه أفهامهم فيتزجون عن الضلال ويقبلون على الصواب[٢].

قال تعالى: ﴿ **ساءَ مثلاً القوم الذين كَذَّبوا بآياتنا** ﴾ [الأعراف:١٧٧] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: « أى ساء مثلهم أن شبهوا بالكلاب التى لا همة لها إلا فى تحصيل أكلة أو شهوة، فمن خرج عن حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه واتبع هواه صار شبيهًا بالكلب وبئس المثل مثله »[٣] .

وفى الحديث الشريف: « لَيْسَ لنا مَثَلُ السَّوْء، العـائِدُ فى هِبَتِهِ كالكلب يعُودُ فى قيئه »[٤] .

فتعوذ بالله من السلب بعد العطاء، ومن الضلالة بعد الهدى. آمين .

* * *

(١) التفسير القيم للإمام ابن القيم (صـ ٢٨٠) وما بعدها باختصار .

(٢) فتح القدير (جـ ٢ صـ ٢٦٦) .

(٣) تفسير ابن كثير (جـ ٢ صـ ٤٢٣) .

(٤) حديث صحيح: رواه البخارى (٣/ ٢١٥)، ومسلم (٥/ ٦٥)، وابن ماجة (٢/ ٧٩٩) وغيرهم.

(١٣) لقد كان لسبأ في مسكنهم آية

قال تعالى: ﴿ **وإذ تأذَّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد**﴾ [إبراهيم:٧] .

وقيل: «من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها»(١) وقوم سبأ، قوم ضُرب بهم المثل فى القرآن، إنهم قوم بدلوا نعمة الله كفرًا، فبدل الله عليهم بدلاً من النعمة نقمة، وبدلاً الأمن خوفًا: ﴿ **ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور** ﴾ [سبأ:١٧] .

قال علماء النسب ومنهم محمد بن إسحاق: إسم سبأ عبد شمس. قالوا: وكان أول من سبى من العرب فسمى سبأ لذلك، وكان يقال له الرائش لأنه كان يعطى الناس الأموال من قناعه .

قال السهيلى: ويقال أنه أول من تتوج، وذكر بعضهم أنه كان مسلمًا، وكان له شعر بشر فيه بوجود رسول الله ﷺ .

عن ابن عباس: « أن رجلاً سأل النبى ﷺ عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض قال بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة. فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير- وعربًا كلها- وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان»(٢) .

قلت: وسكن قوم سبأ بأرض اليمن، وأغدق الله عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة، وأصلح لهم البال والحال، وبارك لهم فى الأرض والمال، ووضع عنهم الأوزار والأحمال، ونقى لهم الهواء، ونزلت عليهم بركة السماء .

قال تعالى: ﴿ **لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية** ﴾ [سبأ:١٥] .

أى: علامة دالة على كمال قدرة الله وبديع صنعه .

---

(١) الجزاء من جنس العمل (جـ ١ ص ـ٢٧١) .

(٢) إسناده حسن: رواه أحمد فى المسند (١/ ٣١٦) قال ابن كثير: إسناده حسن. انظر البداية والنهاية (جـ ٢ صـ ١٩٢) .

قال الإمام عبدالرحمن بن زيد ـ رحمه الله ـ: «إن الآية التى كانت لأهل سبأ فى مساكنهم أنهم لم يروا فيها بعوضة ولا ذبابًا ولا برغوثًا ولا قملة ولا عقربًا ولا حية ولا غير ذلك وإذا جاءهم الركْبُ فى ثيابهم القُملّ ماتت عند رؤيتهم لبيوتهم»(١) .

﴿ **جنتان عن يمين وشمال** ﴾ [سبأ: ١٥] .

كان الماء يأتيهم بين جبلين وتجتمع إليه أيضًا السيول، فعمد ملوكهم الأقادم فبنوا بينهما سدًا عظيمًا محكمًا (**قلت**: وهو سد مأرب كما ذكرت الروايات الأخرى) حتى ارتفع الماء وحُكم على حافات تلك الجبلين فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار فى غاية ما يكون من الكثرة والحسن، فكانت الأشجار تثمر أجود وأنضج وأحلى الثمار بقدرة العزيز الغفار .

قال غير واحد من السلف منهم قتادة أن المرأة كان تمشى تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل وهو الذى تخترف فيه الثمار، فيتساقط من الأشجار فى ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه واستوائه .

قال الشوكانى: وهاتان الجنتان كانتا عن يمين واديهم وشماله قد أحاطت به من جهتيه، وكانت مساكنهم فى الوادى .

قال القشيرى: ولم يرد جنتين إثنتين، بل أراد من الجهتين يمنة ويسرة فى كل جهة بساتين كثيرة(٢) .

* ماذا طلب الله منهم على كل هذه النعم ؟

قال تعالى: ﴿ **كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور** ﴾ [سبأ: ١٥] لم يطلب الله تعالى منهم على كل هذه النعم سوى الشكر، والإقرار بأنه المنعم وحده وبيده كل شيء، فمع ذلك الزيادة والنماء والبركة وغفران الذنوب ودوام النعمة .

ذكر الإمام أحمد عن وهب(٢) قال: إن الربّ عز وجل قال فى بعض ما يقول

---

(١) فتح القدير (جـ ٤ صـ ٣٢٠) .

(٢) نفس المرجع (جـ ٤ صـ ٣٢٠) .

(٢) **قلت**: هو وهب بن منبه، قال الشيخ أبو شهبة (وهب بن منبه الصنعانى اليمنى، وهو: من خيار=

لبنى اسرائيل: « إنى إذا أطعت رضيت وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ولعنتى تبلغ السابع من الولد »[١] .

*** فماذا حَدَثَ منهم ؟**

قال تعالى: ﴿ **فأعرضوا** ﴾ [سبأ:١٦] .

قال القاسمي: «أي عن الشكر»[٢].

قال الشوكاني: عن الشكر وكفروا بالله وكذبوا أنبياءه.

*** فماذا كانت العاقبة ؟**

قال تعالى: ﴿**فأرسل عليهم سيل العرم**﴾ [سبأ: ١٦].

العرم الشديد. أى: مطرًا شديدًا وماءً كثيفًا .

قال مجاهد وابن أبى نجيح: العرم ماء أحمر أرسله الله فى السد فشقه وهدمه، وقال ابن الأعرابى: العرم السيل الذى لا يطاق .

وقال ابن الأعرابى أيضًا: العرم من أسماء الفأر .

قال العلامة ابن كثير: قال غير واحد أرسل الله على أصل السد الفأر وهو الجرذ فلما فطنوا لذلك أرصدوا عندها السنافير .

قال القرطبى فى تفسيره: قال وهب[٣] فلم يتركوا فرجه بين صخرتين إلا ربطوا إلى جانبها هرة ا.هـ فلم تغن شيئًا إذا حم القدر ولم ينفع الحذر كلا لا وزر، فلما تحكم أصله الفساد سقط وانهار فسلك الماء القرار فقطعت تلك الجداول والأنهار

=التابعين، ولد فى آخر خلافة عثمان - رضى الله عنه - روى عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى، وابن عباس، وابن عمر وغيرهم وأخرج له البخارى، ومسلم وأبو داود، والترمذى، والنسائى. وثقه الجمهور وكانت وفاته بصنعاء سنة عشر ومائة، الاسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبة (صـ١٠٥) .

(١) الجواب الكافى للإمام ابن القيم (ص ٣٨) .

(٢) محاسن التأويل (١٤/ ١٢) .

(٣) **قلت:** هو وهب بن منبه وتقدمت ترجمته .

وانقطعت تلك الثمار، وحادت تلك الزروع والأشجار وتبدلوا بعدها برديئ الأشجار والثمار كما قال العزيز الجبار: ﴿ **وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل** ﴾ [سبأ:١٦] .

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: خمط: هو الأراك - وأثل وهو الطرفاء[١] وقيل: خمط: ثمر مر لا يؤكل وأثل شجر لا ثمر له (وشىء من سدر قليل) قلة من شجر النبق.

قلت: أى نبق قليل فى شوك كثير: «لا يسمن ولا يغنى من جوع».

قال تعالى: ﴿ **ذلك جزيناهم بما كفروا** ﴾[سبأ:١٧]. أى: فالجزاء من جنس العمل .

قال تعالى :﴿ **وهل نجازى إلا الكفور** ﴾ [سبأ:١٧] .

قال الشوكانى ـ رحمه الله ـ: « وهل نجازى هذا الجزاء بسلب النعمة ونزول النقمة إلا لشديد الكفر المتبالغ فيه »[٢] .

وقال ابن كثير: « أى نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا، وكذب رسلنا، وخالف أمرنا، وانتهك محارمنا[٣] .

ثم فرقهم الله فى البلاد وأذلهم بين العباد وشردهم فى كل واد .

قال تعالى: ﴿ . . . **وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [سبأ:١٩] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وذلك لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا إلى أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها، فتفرقوا فى غور البلاد ونجدها أيدى سبأ شذر مذر»[٤] .

قال الشوكانى: « والمعنى جعلناهم ذوى أحاديث يتحدث بها من بعدهم تعجبًا

---

(١) البداية والنهاية (جـ ١ صـ ١٩٤) .
(٢) فتح القدير (٤/ ٣٢١) .
(٣) البداية والنهاية (جـ٢ صـ ١٩٤) .
(٤) البداية والنهاية (جـ ٢ صـ ١٩٤) .

من فعلهم واعتبارًا بحالهم وعاقبتهم، وفرقناهم فى كل وجه من البلاد كل التفريق ﴿إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ حض الصبار الشكور لأنهما المنتفعان بالمواعظ والآيات)(١) .

قال تعالى بعد ذلك: ﴿ولقد صَدَّق عليهم إبليسُ ظَنَّهُ فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين﴾ [سبأ: ٢٠] .

قال الحسن البصرى: « والله ما ضربهم بعصا ولا أكرههم على شىء، وما كان إلا غرورًا وأمانى دعاهم إليها فأجابوه » .

قلت: فهل يتعظ المفرطون فى نعم الله، الذين جحدوا نعمه واستخدموها فى محاربة المنعم ؟!!، وياللأسف إن منَّا من فعل فعل قوم سبأ ﴿ **فأعرضوا** ﴾ فأرسل الله علينا أمراضًا شربت الدم، وأكلت اللحم، وسوست العَظْم، وأذهبت بركة الأرض. ﴿ **ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور** ﴾ .

قال تعالى: ﴿ **ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب** ﴾ فما علينا إلا أن نؤدى شكر النعمة للمنعم سبحانه، وأن نعطى من أموالنا حق الفقير والمسكين واليتيم، وأن نرضى بقسمة الله تعالى وقد أحسن القائل :

إذا كُنْتَ فى نِعْمَةٍ فَارْعَها ... فإنَّ الذُّنُوبَ تُزيلُ النِّعم

وَحُطْها بِطاعةِ رَبِّ العِبَادِ ... فَرَبُّ العُبَادِ سَرِيعُ النِّقَم

وإيَّاكَ والظُلم مَهْمَا اسْتَطعْت ... فَظُلم العِبادِ شَدِيدُ الوَخم

وسافِرْ بَقَلْبِكَ بَيْن الوَرَى ... لِتُبْصِرَ آثَارَ مَنْ قَدْ ظَلَم

فتلك مساكنهُم بَعْدَهُم ... شُهُودٌ عَلَيْهِم ولا تَتَّهِم

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « ان للطاعِمِ الشَّاكر مِنْ الأَجْرِ، مِثْل ما للصَّائمِ الصَّابر »(٢) .

(١) فتح القدير (جـ ٤ صـ ٣٢٢) .

(٢) حديث صحيح: رواه الحاكم وأحمد فى المسند والترمذى وابن ماجة [وانظر صحيح الجامع/ ٢١٧٩].

وفى الحديث الشريف: «إن الله تعالى يَبْتلى العبدَ فيما أَعْطَاه، فإن رَضِى بما قَسَم اللهُ له بُورِك له فيه ووسَّعَهُ، وإن لم يرضَ لم يباركْ له، ولم يزد على ما كتب له»(١)

واحذر أخى المسلم من طغيان المال وعبادة المادة فقد يحولها الله عليك عذابًا .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أُعطى رضى، وإن لم يُعط سخط، تعسِ وانْتكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَش(٢)، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسِه في سبيل الله، أشعثَ رأسُهُ، مغبرةً قدماه، إن كان فى الحراسة، كان فى الحراسة، وإن كان فى الساقة كَانَ فى السَّاقَة إن استأذن لم يُؤْذَنَ لَه، وإن شفع لم يُشفَّع »(٣) .

وقال الإمام الحسن: « إن الله لَيُمَتِّعُ بالنعمة ما شاء، فإذا لم يُشْكَر قَلَبَها عليهم عذابًا» .

قال الإمام القشيرى عن إهلاكِ قوم سبأ: « ما عوملوا إلا بما استوجبوا، وما وقعوا إلا فى الوَهْدَةِ التى حَفَروها، وما قتلوا إلا بالسيف الذى صَنَعُوا ! » [لطائف الإشارات ٣/ ١٨١] .

* * *

(١٤) مصرع أصحاب السبت

قال ﷺ: « المكْرُ والخَديعة فى النّار »(٤) .

من الصفات المرذولة التى تأصلت فى اليهود، صفات المكر والخداع، والتضليل، والدهاء، والتحايل، لتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، ولذلكم حذر النبى ﷺ أمته من هذه الصفات.

---

(١) حديث صحيح: رواه أحمد فى المسند وانظر [صحيح الجامع/ ١٨٦٩]، [والصحيحة برقم/ ١٦٥٨] .

(٢) وإذا شيك فلا انتقش: دعاء من النبى ﷺ عليه إذا دخلت شوكة فى جسده لا تخرج حتى تهلكه .

(٣) صحيح: رواه البخارى وابن ماجه [وانظر صحيح الجامع برقم/ ٢٩٦٢] .

(٤) صحيح: راه البيهقى وابن عدى فى الكامل، وقال الحافظ فى الفتح: وإسناده لا بأس به، وصححه الألبانى برقم (١٠٥٧) فى السلسلة الصحيحة .

فعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل »(١) .

ومع هذا التحذير إلا أن الكثير وقع فيما وقعت فيه بنو إسرائيل فغيروا أسماء بعض المحرمات، وزين لهم الشيطان أن تغيير الأسماء يغير أحكام الله تعالى!! والحقيقة أبدًا فليس معنى أن نسمى الرشوة: « إكرامية » تصير بذلك حلالاً!! وليس معنى تسمية الربا: «فائدة» أن يصير الربا حلالاً. أبدًا فتغير الأسماء لا يغير الأحكام، وهذا ما حذر النبى ﷺ فى حديث آخر من الوقوع فيما وقعت فيه اليهود .

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله: « لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جُحْر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه »(٢).

قلت: ولقد ذكر الله تعالى لنا هذه القصة: « قصة أصحاب السبت » ليحذرنا من الوقوع فيما وقع فيه اليهود من التحايل على شرع الله، وأنه يجب علينا أن ننكر المنكر، ونضرب على يد الظالم ـ بالشروط التى وضحها الإسلام ـ وألا نجامل فى الحق ونَدَع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى ننجو مع الناجين .

وقعت أحداث هذه القصة فى قرية تسمى: « أيلة »(٣) وتقع على شاطىء بحر القلزم(٤). وكان ذلك فى زمن داود عليه السلام .

قال ابن عباس ووهب بن منبه: « أن قومًا من بنى إسرائيل فى زمن داود عليه السلام سكنوا قرية على شاطىء البحر بين مصر وحطين يقال لها أيلة ».

* أحداث القصة وذكر عاقبة الماكرين :

قال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ: «إن الله إنما افترض على بنى اسرائيل اليوم

---

(١) إسناده جيد: رواه ابن بطة وانظر إرواء الغليل (٥/ ٣٧٥) وعزاه الألبانى لابن بطة، وقال ابن كثير: وهذا إسناد جيد .

(٢) صحيح: رواه الحاكم والبزار [صحيح الجامع/ ٥٠٦٧] .

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدِّى وغيرهم .

(٤) تفسير ابن كثير (جـ ٢ صـ ٤٠٨) .

الذى افترض عليكم فى عيدكم يوم الجمعة فخالفوا إلى السبت، فعظموه وتركوا ما أمروا به، فلما أَبَوْا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه، فحرم عليهم ما أحل لهم فى غيره. . . . فحرم الله عليهم فى السبت الحيتان صيدها وأكلها، وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعًا إلى ساحل بحرهم، حتى إذا ذهب السبت، ذهبن فلم يَرَوْا حوتًا صغيرًا ولا كبيرًا، حتى إذا كان يوم السبت أتين سرًا، حتى إذا ذهب السبت، ذهبن فكانوا كذلك، حتى طال عليهم الأمد وقرموا إلى الحيتان، عمد رجل منهم فأخذ حوتًا سرًا يوم السبت، فخرمه بخيط ثم أرسله فى الماء وأوتد له وتدًا فى الساحل فأوثقه ثم تركه، حتى إذا كان الغد جاء فأخذه، أى إنى لم آخذه فى يوم السبت، فانطلق به فأكله، حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك، ووجد الناس ريح الحيتان، فقال أهل القرية، والله لقد وجدنا ريح الحيتان ثم عثروا على صنع ذلك الرجل، قال: ففعلوا كما فعل، وصنعوا سرًا زمانًا طويلاً فلم يعجل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانية وباعوها بالأسواق» .

قال الشوكانى ـ رحمه الله ـ: « فاحتالوا لصيدها، وحفروا الحفائر وشقوا الجداول، فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصيدونها. . يوم الأحد »(١) .

قال ابن عباس: « فقالت طائفة منهم من أهل البقية: ويحكم اتقوا الله، ونهوهم عما كانوا يصنعون، وقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنه القوم عما صنعوا ـ: ﴿ **لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا معذرة إلى ربكم**﴾ ـ بسخطنا أعمالهم ـ ﴿**ولعلهم يتقون**﴾ فبينما هم على ذلك، أصبحت تلك البقية فى أنديتهم ومساجدهم ففقدوا الناس فلم يروهم « **قلت**: فى بعض الروايات أن الطائفة الآمرة الناهية بنت جدارًا ليحجز بينهم وبين العصاة »(٢) .

قال: فقال بعضهم لبعض: إن للناس شأنًا، فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون فى دورهم، فوجدوها مغلقة عليهم، وقد دخلوها ليلاً فغلقوها على أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم، فأصبحوا فيها قردة، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبى بعينه وإنه لقرد(٣) .

---

(١) فتح القدير (جـ ١ ص ٩٦) . (٢) تفسير الكشاف والقرطبى .

(٣) تفسير ابن كثير (جـ ١ ص ١٦٠)، وقال قتادة « فصار القوم قردة تعاوى، لها أذناب » .

قال الإمام القرطبى: « فـجعل القرد يأتى قريبه.. فيشم ثيـابه ويبكى... فيقول ألم أنهك... فيقول برأسه بلى »[(١)] .

وقال الأسـتاذ/ عـبد السلام بدوى: « ومعنى هذا أنهم كانوا فى أجـساد القرود بعقول البشر وفى هذا حقًا عذاب بئيس »[(٢)] .

قال الإمـام الجليل الحسن البصـرى: « أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلهـا أثقلها خزيًا فى الدنيا.. وأطولها عذابًا فى الآخرة »[(٣)] .

قلت: وهكذا تفعـل شهوة البطن بأهلهـا وعُبَّـادها، فكم من أكلة أفسـدت الدنيا وأوبقت الآخرة، وصدق القائل: «ابن آدم إنما بطنك شبر فى شبر فلم تدخلك النار».

قال ابن كثير رحمه الله: « فلما فعلوا ذلك، مسخهم الله إلى صورة القردة وهى أشبه شىء بالأناس فى الشكل الظاهـر وليست بإنسان حقيقـة، فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لما كانت مشابهة للحق فى الـظاهر ومخالفة له فى الباطن، كان جزاؤهم من جنس عملهم »[(٤)] .

ومكثوا ثلاثة أيام على حـالتهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يـتناسلون، ثم أماتهم الله تعالى وأبادهم ﴿ **وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى** ﴾ .

قال ابن عباس: « ولم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولـم ينسل.. وكذلك يفعل الله بمن يشاء كما يشاء ويحوله كما يشاء » .

قلت: ولقد وقفت على حـديث صحيح، فى صحيح الجـامع يؤيد ما ذهب إليه ابن عباس رضى الله عنه .

فعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله لم يجعلْ لمسخٍ نَسْلاً، ولا عَقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك »[(٥)] .

---

(١) القرطبى (١٦٥/ الأعراف) .

(٢) من أنباء الرسل (صـ ٣٣٤ جـ ١) .

(٣) من أنباء الرسل (صـ ٣٣٤ جـ ١) .

(٤) تفسير ابن كثير (جـ ١ صـ ١٥٨) .

(٥) صحيح: رواه مسلم والإمام أحمد. صحيح الجامع (١٨٠٧) .

قال تعالى: ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ [البقرة: ٦٥] .

ولقد علمتم: أى عرفتم .

اعتدوا: اجترعوا فى السبت بصيد السمك .

قردة خاسئين: قال ابن عباس: ذليلين .

قال تعالى: ﴿ **فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين**﴾ [البقرة: ٦٦] .

نكالاً. النكال: الزجر والعقاب، والنكل: القيد لأنه يمنع صاحبه (لما بين يديها وما خلفها) ليتعظ بها من حولهم من القرى ومن يأتى بعدها .

وقال تعالى: ﴿ **وأسألهم** ﴾ أى يا محمد : سل اليهود الموجودين .

﴿ **عن القرية التى كانت حاضرة البحر** ﴾ أى: بقرب البحر .

﴿ **إذ يَعْدُون فى السبت** ﴾ أى يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت .

﴿ **إذ تأتيهم حيتانهم يومَ سبتهم شرعًا** ﴾ أى: ظاهرة على الماء، وقيل رافعة رءوسها ﴿**ويوم لا يسبتون لا تأتيهم** ﴾ أى: عند خروج السبت لا تأتيهم الحيتان. ﴿**كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون** ﴾ يدل على أن السبب المباشر لابتلاءهم هو فسوقهم عن أمر الله ﴿ **وإذ قالت أمةٌ منهم لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبُهُم عذابًا شديدًا** ﴾ الأمة: الجماعة. أى قالت جماعة من صلَحاء القرية لآخرين ممن كانوا يجتهدون فى وعظ المتعدين فى السبت حين يأسوا من قبولهم للموعظة، وإقلاعهم عن المعصية. ﴿**قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون**﴾ أى: حتى لا يؤاخذنا بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذين أوجبهما علينا: ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين يَنْهَوْن عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** ﴾ [الأعراف: ١٦٥] .

قال ابن كثير: « والمقصود هنا أن الله أخبر أنه أهلك الظالمين ونجى المؤمنين المنكرين وسكت عن الساكتين، وقد اختلف فيهم العلماء على قولين فقيل: إنهم من الناجين، وقيل: أنهم من الهالكين. والصحيح الأول عند المحققين وهو الذى رجع إليه ابن عباس إمام المفسرين » ا.هـ .

﴿ فلما عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عنه قلنا لهم كونوا قردةً خاسئين ﴾ [الأعراف:١٦٦] .

قال الشوكانى: «أى أمرناهم أمرًا كونيًا لا أمرًا قوليًا» أى: مسخناهم قردة[١] .

* * *

(١٥) صاحبُ الجنتين

جُبلت القلوب على حب المال قال تعالى: ﴿وإنَّه لحُبِّ الخَيْر لَشَديد﴾ [العاديات:٨] والخير فى الآية هو المال، ولكن الخطر أن يصل هذا الحب إلى درجة العبودية له من دون الله تعالى، كما قال النبى ﷺ: « تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار. . . »[٢] والإنسان فى هذه الحياة يشيب إلا فى اثنتين، فى حب العيش وفى حب المال. ومصداق ذلك ما جاء فى الحديث الشريف عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « قلب الشيخ شابٌّ على حب اثنتين: حُبِّ العيش، والمال »[٣] .

وفى رواية عنه قال ﷺ: « قَلْبُ الشَّيْخِ شابٌّ على حُبِّ اثنتين؛ طول الحياة، وكثرة المال »[٤] .

ومن الناس فى هذه الحياة الدنيا من يعمل للآخرة ومنهم من يعمل للدنيا كما قال عز وجل: ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ فالعامل للآخرة بلاشك من الفائزين الرابحين، والعامل للدنيا من الخاسرين البائرين، والانسان الحصيف هو الذى يبيع دنيا زائلة بآخرة باقية، ويبيع ما يغنى بما يبقى « ولا يلقاها إلا الصابرون » .

والقرآن الكريم ضرب لنا مثلاً رجلين أحدهما مؤمن يريد الدار الآخرة، والآخر كافر لا يؤمن بالبعث ولا بالحساب ولا يرى إلا الدنيا فقط، بل ويعتقد أن الذى يؤمن بالبعث من السفهاء البلهاء الذين لا عقل لهم: ولكل واحد منهما قصة .

ذكر محمد بن الحسن المقرى قال: اسم الخيرِّ منهما: «تمليخا» والآخر: «قرطوش»

---

(١) فتح القدير (جـ ٢ صـ ٢٥٧) .

(٢) حديث صحيح: عند البخارى وغيره وقد تقدم قريبًا .

(٣) صحيح: رواه مسلم وغيره وانظر صحيح الجامع (٤٤٠٧) .

(٤) صحيح: رواه أحمد فى المسند والترمذى والحاكم وغيرهم صحيح الجامع (٤٤٠٨) .

قلت: وفى رواية: المؤمن يسمى: « يهوذا » والآخر: « براطوس »[١] ولا تهمنا الأسماء فى قليل ولا فى كثير فالعبرة بما حدث منهما .

وأنهما كانا شريكين ثم اقتسما المال فصار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار، فاشترى المؤمن منهما عبيدًا بألف وأعتقهم، وبالألف الثانية ثيابًا فكسا بها العراة، وبالألف الثالثة طعامًا فأطعم الجُوَّع، وبنى مساجد وفعل خيرًا، وأما الآخر فنكح بماله النساء ذوات اليسار، واشترى دوابًا وبقرًا فاستنتجها فنمت له نماءً مفرطًا، واتَّجرَ بباقيها فربح حتى فاق أهل زمانه غنى، وأدركت الأول الحاجة (الفقر) فأراد أن يستخدم نفسه فى جنة يخدمها فقال: لو ذهبت لشريكى وصاحبى فسألته أن يستخدمنى فى بعض جناته رجوت أن يكون ذلك أصلح بى، فجاءه فلم يكد يصل إليه من غِلْظِ الحُجَّاب. فلما دخل عليه وعرفه وسأله حاجته قال له: ألم أكن قاسمتك المال نصفين! فما صنعت بمالك؟ قال: اشتريت به من الله تعالى ما هو خير وأبقى. فقال إنك لمن المصدِّقين (أى بالبعث والنشور)، ما أظن الساعة قائمة! وما أراك إلا سفيهًا وما جزاؤك عندى على سفاهتك إلا الحرمان[٢] .

قال تعالى: ﴿ **واضرب لهم مثلا رجلين** ﴾ [الكهف: ٣٢] .

يعنى لكفار قريش فى عدم اجتماعهم بالضعفاء والفقراء وازدرائهم بهم وافتخارهم عليهم. قال ابن كثير: «قال بعض الناس هذا مثل مضروب ولا يلزم أن يكون واقعًا والجمهور أنه أمر قد وقع»[٣] وقال: «والمشهور أن هذين كانا رجلين مصطحبين وكان أحدهما مؤمنًا والآخر كافرًا»[٤] .

﴿**جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخلٍ وجعلنا بينهما زرعًا**﴾[الكهف: ٣٢]

والمعنى: جعلنا للكافر جنتين من أعناب، وجعلنا النخل محيطًا بالجنتين من جميع جوانبهما، كما يحيط رمش العين بالعين .

والجنة: هى البستان لاستتار ما يستتر فيها بظل الأشجار .

---

(١) المبشرون بالنار للشيخ الصايم نقلاً عن القرطبى (جـ ٦ صـ ٤٠١٦) .

(٢) البداية والنهاية (جـ ٢ صـ ١٣٩) .

(٣، ٤) البداية والنهاية (جـ ٢ صـ ١٣٩) .

وقوله: ﴿ وجعلنا بينهما زرعًا ﴾ أى: بين النخل زرعًا، والمقصود أن الأرض جامعة للأقوات والفواكه وهذا يدل على سعتها .

﴿ كلتا الجنتين ءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئًا وفجرنا خلالهما نَهَرًا ﴾ [الكهف: ٣٣] .

والمعنى: أى كلتا الجنتين لم تنقص من أكلها شيئًا، وكان النهر يجرى فى داخل تلك الجنتين، وقوله: « خلالهما » أى: وسطهما وبينهما .

﴿ وكان له ثَمَرٌ ﴾ [الكهف: ٣٤] .

أى كان لصاحب الجنتين أنواع من الأموال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقرأها ابن عباس (ثُمرُ) وقال: هى أنواع المال .

﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرًا ﴾ [الكهف: ٣٤] .

يحاوره (يراجعه فى الكلام) أنا «كلمة ابليس » أكثر منك مالاً وأعز نفرًا تعبيرًا له بالفقر، وفخرًا عليه بالمال والجاه والأنصار والحشم. قال قتادة: تلك هى والله أمنية الفاجر كثرة المال والعشيرة .

﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ﴾ [الكهف: ٣٥] .

أى دخل الكافر جنة نفسه وأخذ بيد أخيه المسلم فأدخله جنته يطوف به فيها ويريه عجائبها، ﴿ وهو ظالم لنفسه ﴾ .

قال قتادة: كفور لنعمة ربه، وقال الزمخشرى: وهو العجب بما أوتى مفتخر به، كافر لنعمة ربه. معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم. . وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم، فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه[١] .

قال ابن كثير: ﴿ وهو ظالم لنفسه ﴾ أى: وهو على غير طريقة مرضية[٢].

﴿ قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا ﴾ [الكهف: ٣٥] .

وذلك لما رأى من اتساع أرضها، وكثرة مائها، وحسن نبات أشجارها، قال ذلك لفرط غفلته وطول أمله .

---

(١) الكشاف: (٢/ ٧٢١) . (٢) البداية (جـ ٢ صـ ١٤٠) .

﴿ **وما أظن الساعة قائمة** ﴾ [الكهف: ٣٦] .

فوثق بزهرة الحياة الدنيا الفانية وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة .

﴿ **ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرًا منها منقلبًا** ﴾ [الكهف: ٣٦] .

وذلك لأنه اغتر بدنياه، واعتقد أن الله لم يعطه ذلك فيها إلا لحبه له وحظوته عنده.

قلت: ظن الغافل بأن متاع الدنيا دليل على حب الله للعبد، ولو كان ذلك كذلك لكان أغنى البشر الأنبياء والرسل، فقد يكون ذلك الغنى استدراج من الله تعالى للعبد كما قال عز من قائل: ﴿**فلما نَسُوا ما ذُكِّروا به فَتَحْنا عليهم أبوابَ كلِّ شىء* حتى إذا فَرِحُوا بما أُوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مُبْلِسون * فَقُطِعَ دابَرُ القومِ الذين ظلموا والحَمدُ لله ربِّ العالمين**﴾ .

﴿ **قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً** ﴾ [الكهف: ٣٧] .

والمعنى: قال المؤمن له بعدما رآه ينكر البعث: « إن القادر على الابتداء قادر على الإعادة، وهكذا المؤمن يغار على دين الله فلا يطاطئ رأسه لمخلوق من أجل الحصول على دراهم معدودة فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين» .

﴿ **لكنَّاْ هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدًا** ﴾ [الكهف: ٣٨] .

أى: لا أعبد سواه، واعتقد أنه يعيد الأموات، ويجمع العظام الرفات .

واستمر المؤمن فى عظاته له، يلفحه بالمواعظ لعله يفيق من غفوته وسكرته فقال له :

﴿ **ولولا إذا دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالاً وولدًا** ﴾ [الكهف: ٣٩] .

قال الحافظ ابن كثير: « أى هلا إذا عجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: ما شاء

الله لا قوة إلا بالله، ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله[١] .

قال أشهب: قال مالك: ينبغي لكل من دخل منزله أن يقول هذا، وقال ابن وهب قال لى حفص بن ميسرة: رأيت على باب وهب بن منبه مكتوبًا: « ما شاء الله لا قوة إلا بالله »[٢] .

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال له: « ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة - أو قال: كنز من كنوز الجنة؟ » . قلت : بلى قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله إذا قالها العبد قال الله عز وجل: أسلم عبدى واستسلم» .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن يحيى بن سليم الطائفى عمن ذكره قال: «طلب موسى من ربه حاجة فأبطأت عليه فقال: ما شاء الله، فإذا حاجته بين يديه. فقال يارب إنى أطلب حاجتى، منذ كذا وكذا أعطيتها الآن، فأوحى الله إليه: يا موسى، أما علمت أن قولك ما شاء الله أنجح ما طلبت به الحوائج » .

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من رأى شيئًا فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره عين »[٣] .

﴿ **فعسى ربى أن يؤتين خيرًا من جنتك ويرسل عليها حُسْبَانًا من السماء فتُصْبِحَ صعيدًا زلقًا** ﴾ [الكهف: ٤٠] .

﴿**خيرًا من جنتك**﴾ أى: فى الآخرة، ﴿**حسبانًا**﴾ قال ابن عباس: أى عذابًا من السماء وكذا قال الضحاك وقتادة، وقال ابن الأعرابى: « الحسبانة » الصاعقة، وقال الأخفش: ﴿**حسبانًا**﴾ أى: مرامى من السماء .

قال العلامة الشوكانى: والمعنى يرسل عليها مرامى من عذابه إما برد وإما حجارة أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب[٤] .

قال ابن كثير: «والظاهر أنه المطر المزعج الباهر الذى يقتلع زروعها وأشجارها»

---

(١) تفسير ابن كثير (جـ ٣ صـ ٨٤) .
(٢) صحيح: رواه الترمذى (١٣/ ٩٠)، وأحمد (٢/ ٣٣٣) وصححه الألبانى بشواهده .
(٣) تيسير المنان (جـ ٣ صـ ١١٠) نقلاً عن الكلم الطيب (صـ ١٩٩) .
(٤) فتح القدير (جـ ٣ صـ ٢٨٧) .

﴿فتصبح صعيداً زلقًا﴾ أي: جرداء ملساء لا زرع فيها ولا نماء. والصعيد الزلق: التراب الأملس .

قال الشوكاني: أرضًا لا نبات فيها تزل فيها الأقدام علامتها .

﴿ أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلبًا ﴾ [الكهف: ٤١] .

أي: تصير عادمة الماء ، أي: غار ماؤها في الأرض .

* نزول العذاب :

قال تعالى: ﴿وأحيط بثمره﴾ [الكهف: ٤٢] . أحاط بها عذاب الله من كل جوانبها.

قلت: سبحان الله كانت النخيل هي التي تحيط بها من ذي قبل، فصار العذاب بدلاً منه، أحاطت البقية بدلاً من النعمة: ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وفي مسند أحمد عن النبي ﷺ: « وإنَّ العَبْدَ لَيُحْرَمَ الرزّق بالذَّنْبِ يُصِيبُه »[١].

ودمر الله تعالى جنتيه تدميرًا، فلما ذهب الكافر في الصباح ورآها وقد دُمِّرت، ضرب كفًا على كف ندمًا كما قال تعالى : ﴿ **فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ليتني لم أشرك بربي أحداً** ﴾ [الكهف: ٤٢] .

يضرب إحدى يديه على الأخرى وهو كناية عن الندم .

قال قتادة: يصفق، على ما أنفق فيها في عمارتها وإصلاحها وهي خاوية على عروشها، ساقطة على دعائمها، ويقول:

﴿ياليتني لم أشرك بربي أحدًا﴾، تمنى التوحيد من أجل الحفاظ على الجنة: « وهل ينفع الندم بعد أن زلَّ القلب والقدم »[٢] .

قال تعالى: ﴿ **ولم تكن له فئةٌ ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً** ﴾ أي: لم ينفعه ماله ولا حشمه عندما نزل به بأس ربنا الذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

﴿ **هنالك الولاية لله الحق هو خيرٌ ثوابًا وخيرٌ عقبًا** ﴾ [الكهف: ٤٤] .

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع .

(٢) المبشرون بالنار للشيخ الصايم (صـ ٨١) .

والمعنى: أى فى ذلك المقام النصرة لله وحده لا يقدر عليها غيره هو سبحانه خير ثوابًا لأوليائه فى الدنيا والآخرة ﴿ **وخير عقبًا** ﴾ أى: عاقبة لمن رجاه وآمن به .

قلت: وصدق الشاعر :

سَالَمتْكَ اللَّيالَى فاغْتَرَرْتِ بها وعَنْد صَفْوِ اللَّيالِيَ يَحْدُث الكَدَر

* عاقبة المؤمن وجزاء الكافر فى الآخرة:

قلت: ولقد أكمل الله تعالى لنا بقية هذه القصة فى سورة « الصافات[1] » فأخبرنا تعالى أنه أعطى المؤمن ما يريد وهى الجنة فى الآخرة، وأدخل صاحبه الكافر النار وبئس القرار، فبعد أن دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، تذكر أهل الجنة ما كان منهم فى دار الدنيا، فقال الرجل المؤمن لإخوانه فى الجنة: ﴿ **إنى كان لى قرين** ﴾ أى صاحب: ﴿ **يقول أءنَّك لمن المصدقين * أءذا متنا وكنا تُرابًا وعظامًا أءنا لمدينون** ﴾ [الصافات: ٥١-٥٣] .

فقال الله تعالى لهم: ﴿ . . **هل أنتم مطلعون** ﴾ [الصافات: ٥٤] أى على أهل النار: ﴿ **فاطلع** ﴾ أى: المؤمن. ﴿ **فرآه فى سواء الجحيم** ﴾ [الصافات: ٥٥] قال الزجاج: سواء كل شيء وسطه .

وأخرج ابن أبى شيبة وهناد وابن المنذر عن ابن مسعود فى قوله: ﴿ **فاطلع فرآه فى سواء الجحيم** ﴾ قال: اطلع ثم التفت إلى أصحابه فقال: لقد رأيت جماجم القوم تغلى، فلما رأى المؤمن صاحبه فى النار نادى عليه وقال: ﴿ **تالله إن كدت لتردين** ﴾ [الصافات: ٥٦]. أى: لتهلكنى بالإغواء قال مقاتل: والله لَقْد كِدتَ تَغوينى فأنزل منزلتك.

﴿ **ولولا نعمة ربى لكنْتُ من المحضرين** ﴾ [الصافات: ٥٧] .

أى: ولولا رحمة ربى وإنعامه علىَّ بالإسلام وهدايتى إلى الحق وعصمتى من الضلال لكنت من المحضرين معك فى النار .

(١) انظر فتح القدير (جـ ٤ صـ ٣٩٦) وتفسير سورة الصافات لابن كثير يتضح لك صحة ما توصلنا إليه ولله الحمد والمنة .

﴿ **أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين** ﴾ [الصافات: ٥٨، ٥٩] .

هو من تمام كلامه ثم قال مشيرًا إلى ما هم فيه من النعيم: ﴿ **إن هذا لهو الفوزُ العظيم* لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ [الصافات: ٥٩، ٦٠] .

أى لمثل هذه العطاء والفضل العظيم فليعمل العاملون، فإن هذه هى التجارة الرابحة، لا العمل للدنيا الزائلة فإنها صفقة خاسرة نعيمها منقطع وخيرها زائل، وصاحبها عن قريب راحل(١) .

*** من فوائد القصة :**

قال العلامة ابن كثير معقبًا على القصة: « وهذه القصة تضمنت أنه لا ينبغى لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يغتر بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه فى كل حال نصب عينيه، وليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده. وفيها أن من قدم شيئًا على طاعة الله والإنفاق فى سبيله عُذِّب به، وربما سُلِب منه معاملة له بنقيض قصَده، وفيها أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق وأنه مخالفته وبال ودمار على من ردَّ النصيحة الصحيحة. وفيها أنه الندامة لا تنفع إذا حان القدر ونفذ الأمر الحَتْم »(٢) .

* * *

(١٦) أصحابُ الجنة وعاقبة مانع الزكاة

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « إياكم والمعاصى إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقًا قد كان هيئ له » ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿**فطاف عليها طائف من ربِّك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم** ﴾(٣) .

قال ابن القيم – رحمه الله –: « من عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا لسبب ذنب ولا حلت به نقمة إلا بذنب كما قال على ابن أبى طالب رضى الله عنه: ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة وقد قال

(١) فتح القدير (جـ ٤ صـ ٣٩٧) .

(٢) البداية والنهاية (جـ ٢ صـ ١٤٢) .

(٣) رواه ابن أبى حاتم – تفسير ابن كثير (جـ ٤ صـ ٦٣٥) .

تعالى: ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ .

. . . فإذا غَيَّر غُيِّرَ عليه جزاء وفاقًا وما ربك بظلام للعبيد فإن غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز[١] .

وهذه قصة حقيقية ذكرها ربُّ العزة سبحانه فى كتابه الكريم، فى سورة القلم، وقعت أحداثها على أرض اليمن وبالتحديد فى قرية يقال لها: « ضروان »[٢] على ستة أميال من صنعاء .

عاش فى هذه القرية: « ضروان » أحدُ الصالحين الأغنياء وكان من أهل المعروف قال ابن كثير: « وقد كان يسير فيها سيرة حسنة أى: «فى جنته التى كان يمتلكها » فكان يستغل منها ويرد فيها ما تحتاج إليه (أى من زرعها) ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا: لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئًا للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب الله بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شىء[٣] .

قال تعالى: ﴿ **إنا بَلَوْنَاهُم** ﴾ أى: اختبرناهم. قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة .

وقال الشوكانى: « أنا بلوناهم » يعنى: كفار مكة، فإن الله ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله ﷺ، والإبتلاء الإختبار. والمعنى: أعطيناهم الأموال ليشكروا لا ليبطروا، فلما بطروا ابتليناهم بالجوع والقحط[٤] .

﴿ **كما بلونا أصحاب الجنة** ﴾ [ن:١٧] .

قال ابن كثير: وهى البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه .

---

(١) الجواب الكافى (صـ ٥٥) .

(٢) روى ذلك سعيد بن جبير رضى الله عنه - تفسير ابن كثير (جـ ٤ صـ ٦٣٦) .

(٣) فتح القدير (جـ ٥ صـ ٢٧١) .

(٤) فتح القدير (جـ ٥ صـ ٢٧١) .

وقال الشوكاني : « المعروف خبرهم عندهم، وذلك أنها كانت بأرض اليمن على فرسخين من صنعاء لرجل يؤدى حق الله منها، فمات وصارت إلى أولاده، فمنعوا الناس خيرها، وبخلوا بحق الله فيها. قال الواحدى: هم قوم من ثقيف كانوا باليمن مسلمين ورثوا من أبيهم ضيعة، فيها جنات، وزرع ونخيل وكان أبوهم يجعل مما فيها من كل شيء حظًا للمساكين عند الحصاد، والصرام، فقالت بنوه: المال قليل، والعيال كثير، ولا يسعنا أن نفعل كما كان يفعل أبونا، وعزموا على حرمان المساكين، فصارت عاقبتهم إلى ما قَصَّ الله فى كتابه. قال الكلبى: كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بأن حرق جنتهم وقيل هى جنة كانت، بصوران، وصوران على فراسخ من صنعاء، وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى بيسير[1] .

﴿ إذ أقسموا ليَصْرِمُنَّها مصبحين ﴾ [القلم: ١٧] .

أى: حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلاً لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشىء .

﴿ ولا يَسْتَثْنُون ﴾ [القلم:١٨] .

قال الشوكانى: يعنى ولا يقولون إن شاء الله، وقيل المعنى: ولا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذى كان يدفعه أبوهم إليهم، قال عكرمة .

﴿ فطاف عليها طائفٌ من ربك وهم نائمون ﴾ [القلم:١٩] .

أى طاف على تلك الجنة طائف من جهة الله سبحانه، والطائف قيل هو نار أحرقتها حتى صارت سوداء، كذا قال مقاتل، وقيل الطائف: جبريل اقتلعها[2] .

وقيل: أجابتها آفة سماوية، وقال الكلبى: إن الله أرسل عليها نارًا من السماء فاحترقت وهم نائمون[3] .

﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ [القلم:٢٠] .

قال ابن عباس: أى كالليل الأسود، قال ابن كثير: وهذه معاملة بنقيض المقصود.

(١، ٢) فتح القدير جـ ٥ (صـ ٢٧١) .

(٣) حاشية البداية والنهاية (جـ ١ صـ ١٤٢) .

وقال الفرّاء: كالصريم كالليل المظلم. والمعنى: أنها حرقت فصارت كالليل الأسود.

وقال الحسن: صرم منها الخير. أي: قطع.

﴿ **فتنادَوْا مصبحين** ﴾ [القلم: ٢١].

أي لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضًا ليذهبوا إلى الجذاذ. أي: القطع.

﴿ **أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين** ﴾ [القلم: ٢٢].

أي: تريدون الصرام. قال مجاهد: كان حرثهم عنبًا.

﴿ **فانطلقوا وهم يتخافتون** ﴾ أي يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسِّمِعون أحدًا كلامهم.

﴿ **أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** ﴾ [القلم: ٢٤].

والمعنى: أن لا يدخل هذه الجنة اليوم عليكم مسكين، فيطلب منكم أن تعطوه منها ما كان يعطيه أبوكم.

قوله تعالى: ﴿ **وغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرين** ﴾ [القلم: ٢٥].

قال قتادة ومقاتل والكلبي والحسن ومجاهد: الحرد هنا بمعنى القصد، لأن القاصد إلى الشيء حارد، وروى عن قتادة ومجاهد أيضًا أنهما قالا: على حرد أي على حسد، وقال السدّي وسفيان والشعبى (على حرد) على غضب، وقال مجاهد أي جد، وقال عكرمة: **على** غيظ، ومعنى (قادرين) قال الشعبى: يعنى قادرين على المساكين، وقال قتادة: قادرين على جنتهم عند أنفسهم.

﴿ **فلما رأَوْها قالوا إنا لضالُّون** ﴾ [القلم: ٢٦].

أي: لما رأوا جنتهم وشاهدوا ما قد حَلَّ بها من الآفة التى أذهبت ما فيها قال بعضهم لبعض: قد ضللنا طريق جنتنا وليست هذه، ثم لما تأملوا وعلموا أنها جنتهم، وأن الله سبحانه قد عاقبهم بإذهاب ما فيها من الثمر والزرع قالوا: ﴿ **بل نحن محرومون** ﴾ [القلم: ٢٧].

أي: حرمنا جنتنا بسبب ما وقع منا من العزم **على** منع المساكين من خيرها.

﴿ **قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون** ﴾ .

﴿ **قال أوسطهم** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: أى أعدلهم وأفضلهم وخيرهم ﴿ **ألم أقل لكم لولا تسبحون** ﴾ .

قال مجاهد وغيره: أى لولا تستثنون، قال السدّى: وكان استثناؤهم فى ذلك الزمان تسبيحًا، وقال ابن جرير: وهو قول القائل إن شاء الله، وقيل معناه هَلاَّ يسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم .

﴿ **قالوا سبحان ربنا إنَّا كُنَّا ظالمين** ﴾ [القلم: ٢٩] .

أى: تنزيهًا له عن أن يكون ظالمًا فيما صنع بجنتنا، فإن ذلك بسبب ذنبنا الذى فعلناه، وقيل معنى تسبيحهم الاستغفار أى: نستغفر ربنا من ذنبنا إنا كنا ظالمين لأنفسنا فى منعنا للمساكين. أتَوْا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينجع .

﴿ **فأقبل بَعْضُهم على بَعْضٍ يتلاومون** ﴾ [القلم: ٣٠] .

أى: يلوم بعضهم بعضًا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الإعتراف بالخطيئة والذنب .

﴿ **قالوا يا ويلنا إنا كُنَّا طاغين** ﴾ [القلم: ٣١] .

أى: عاصين متجاوزين حدود الله بمنع الفقراء وترك الاستثناء. قال ابن كيسان: أى طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها أبونا من قبل، ثم رجعوا إلى الله وسألوه أن يعوضهم بخير منها فقالوا :

﴿ **عسى ربُّنا أن يُبْدِ لنَا خيراً منها إنا إلى ربِّنا راغبون** ﴾ [القلم: ٣٢] .

قيل إنهم تعاقدوا فيما بينهم وقالوا: إن أبدلنا الله خيرًا منها لنصنعن كما صنع أبونا ﴿ **إنا إلى ربِّنا راغبون** ﴾ أى طالبون منه الخير راجون لعفوه .

﴿ **كذلك العذاب** ﴾ [القلم: ٣٣] .

أى: مثل ذلك العذاب الذى بلوناهم به نبتلي أهل مكة (وبلونا أهل مكة عذاب الدنيا) .

﴿ **ولعذابُ الآخرةِ أكبرُ لو كانوا يعلمون** ﴾ [القلم: ٣٣] .

أى: أشد وأعظم لو كان المشركون يعلمون أنه كذلك ولكنهم لا يعلمون[١] وعن على بن أبى طالب قال: أن رسول الله ﷺ: «نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل»[٢] رواه البيهقى .

*** من فوائد القصة :**

(١) أن أصحاب الجنة لما أتوا بهذا القدر اليسير من المعصية، دمر الله جنتهم، فكيف يكون الحال فى حق من عاند الرسول وأصر على الكفر والمعصية ومنع الزكاة طوال عمره .

(٢) قال القرطبى: قال بعض العلماء على من حصد زرعًا أو جَذَّ ثمره أن يواسي منه من حضره، وذلك معنى قوله: ﴿ **وآتُوا حَقَّهُ يوم حصاده** ﴾ [الأنعام: ١٤١] وأنه غير الزكاة[٣] .

(٣) أن مواساة الفقير وإعطاء المسكين من المال حصن حصين ودرع واقى من الآفات والبلاء .

كما جاء فى الحديث: « داووا مَرْضاكُم بالصَّدَقة وحَصِّنُوا أموالكَم بالزَّكَاة » .

* * *

(١٧) رأس نبي تتكلم بعد موتها!!

الثبات على المبدأ من صفات أهل الإيمان، والمؤمن الحق يقول الحق ولو كان مرًا، لا يهاب ظالمًا، ولا يحنى جبهته لمخلوق، ولا يطأطئ رأسه لبشر، مهما كان سلطانه، ومهما كانت مكانته .

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: «بايَعْنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة فى العُسْر واليُسْر، والمنشط والمَكرَه، وعلى أَثَرةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر

(١) فتح القدير باختصار (جـ ٥ صـ ٢٧٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (جـ ٤ صـ ٦٣٥) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٦٧١٨) .

أهله إلا أن تَرَوْا كفراً بَوَاحًا عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول الحق أينما كُنَّا، لا نخاف فى الله لومة لائم »(١) .

وعن أبى سعيد الخُدْرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قـال: « أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍ عند سلطانٍ أو أميرٍ جائرٍ »(٢) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «سَيِّدُ الشهداءِ حمزةُ ابن عبد المطلب، ورَجَلٌ قام إلى إمام جائرٍ فأمره ونهاه فقتله»(٣) .

والأنبياء صلوات ربى وسلامه عليهم، أعطونا المثل الأعلى فى هذا النوع من الجهاد وكذلك الصالحون رضى الله عنهم، ومن الأنبياء الذين جهروا بكلمة الحق وتصدوا للفساد نبى الله يحيى بن زكريا عليهما السلام - ذلك النبى الذى دفع حياته ثمنًا للثبات على الحق وعدم خشية الناس .

قال الحافظ ابن كثير: روى الحافظ ابن عساكر فى المستقصى فى فضائل الأقصى ـ عن قاسم مولى معاوية، قال: كان ملك هذه المدينة (يعنى: دمشق) هداد بن هدار وكان قد زوج ابنه بابنة أخيه أربل ملكة صيدا، وقد كان من جملة أملاكها سوق الملو؛ بدمشق وهو الصاغة العتيقة، قال: وكان قد حلف بطلاقها ثلاثًا ثم أنه أراد مراجعتها، فاستفتى يحيى بن زكريا ـ فقال: لا تحل لك حتى تنكح زوجًا غيرك . فحقدت عليه وسألت من الملك رأس يحيى بن زكريا، وذلك بإشارة أمها، فأبى عليها، ثم أجابها إلى ذلك، وبعث إليه ـ وهو قائم يصلى فى مسجد: « جيرون » ـ من أتاه برأسه فى صينية، فجعل الرأس يقول: لا تحل له، لا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره، فأخذت المرأة الطبق، وحملته على رأسها، وأتت به أمها، وهو يقول كذلك، فلما تمثلت بين يدى أمها خسف بها إلى قدميها، ثم إلى حقويها (الكَشْحُ)، وجعلت أمها تولول، والجوارى يصرخن ويلطمن وجوههن، ثم خسف بها إلى منكبيها، فأمرت أمها السياف أن يضرب عنقها، لتتسلى برأسها، ففعل، فلفظت

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجة والترمذى وقال: حديث حسن غريب .

(٣) رواه الترمذى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد .

الأرض جثتها عند ذلك، ووقعوا فى الذل والفناء، ولم يزل دم يحيى يفور حتى قدم بختنصر فقتل عليه خمسة وسبعين ألفًا[١] .

فكان جزاؤها من جنس عملها: « وقد خاب من افترى » .

قلت: وقصة الكلام بعد الموت أو القتل حدثت فى أمة النبى محمد ﷺ من بعض الصحابة والعلماء الصالحين فمن ذلك :

(١) قصة زيد بن خارجة الأنصارى[٢] :

فلقد أخرج البيهقى عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج رضى الله عنه توفى فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه، فسجى بثوبة ثم إنهم سمعوا جلجلة[٣] فى صدره (وفى رواية للطبرانى: إذ سمعوا صوتًا من تحت الكساء يقول: أيها الناس - مرتين! فحسر[٤] عن وجهه وصدره) ثم قال: أحمد أحمد فى الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله فى الكتاب الأول ، صدق صدق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ القوى الأمين فى الكتاب الأول ، صدق صدق عثمان ـ رضى الله عنه ـ على منهاجهم، مضت أربع وبقيت ثنتان أتت بالفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم عن جيشكم خبر بئر أريس وما بئر أريس قال يحيى قال سعيد[٥]: ثم هلك رجل من بنى خطمة فسجى بثوبة فسمع جلجلة فى صدره ثم تكلم فقال: إن أخا بنى الحارث بن الخزرج صدق صدق[٦] .

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٥١) .

(٢) حياة الصحابة (جـ ٣ ص ٥٩٥) وما بعدها .

(٣) الجلجلة: الصوت .

(٤) فحسر عن وجهه: أى كشفه بنفسه .

(٥) من رواة هذه الرواية .

(٦) أخرجه البيهقى عن الحاكم - فذكره بإسناده وقال: هذا إسناد صحيح وله شواهد، ورواه ابن أبى الدنيا والبيهقى أيضًا من وجه آخر وصححه البيهقى .

(٢) قصة أحمد بن نصر الخزاعى :

قال الإمام ابن الجوزى: (يكنى أبا عبد الله. كان من كبار العلماء الآمرين بالمعروف وسمع الحديث من مالك بن أنس وحمّاد بن زيد وهشيم وغيرهم. امتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول إنه مخلوق. فقتله فى يوم السبت غُرّة رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائتين. فصلب جسده وأنفذ رأسه إلى بغداد فنصبه فلم يزل كذلك ست سنين. ثم حُطّ وجُمع بين رأسه وبدنه ودُفن بالجانب الشرقىّ من بغداد فى المقبرة المعروفة بالمالكية فى يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وثلاثين ومائتين .

وعن داود بن سليمان قال: حدثنى أبى قال: سمعت أحمد بن نصر الخزاعى يقول: رأيت مُصابًا قد وقع فقرأت فى أذنه، فكلمتى الجنية من جوفه: يا أبا عبد الله بالله دعنى أخنقه فإنه يقول: القرآن مخلوق .

وعن أبى بكر المروزى قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وذكر أحمد بن نصر، فقال: رحمه الله ما كان أسخاه، لقد جاد بنفسه .

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصر خِلّى فلما قُتل فى المحنة وصُلب أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن: فمضيت وبتّ بقربٍ من الرأس مشرفًا عليه. وكان عنده رجّالة وفرسان يحفظونه. فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ: ﴿**ألم. أحَسِبَ الناسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون**﴾ [العنكبوت: ١، ٢] فأقشعر جلدى ثم رأيته بعد ذلك فى المنام وعليه السندس والإستبرق، وعلى رأسه تاج فقلت: ما فعل الله بك يا أخى؟ قال: غفر لى وأدخلنى الجنة، إلا أنى مغمومًا ثلاثة أيام.

قلت: ولِمَ؟ قال: كان رسول الله ﷺ مرّ بَى فلما بلغ خشبتى حوّل وجهه عنى. فقلت بعد ذلك: يا رسول الله قُتلتُ على الحق أو على الباطل؟ فقال: أنت على الحق، ولكن قتلك رجل من أهل بيتى فإذا بلغت إليك أستحى منك .

وعن إبراهيم بن الحسن قال: رأى بعض أصحابنا أحمد بن نصر فى النوم بعد ما

قُتل فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إلىَّ. رحمه الله(١).

* * *

(١٨) مصرع برصيصا « العابد الجاهل »

قال تعالى: ﴿ **كَمَثَلِ الشيطان إذ قال للإنسان اكْفُرْ فلما كَفَر قال إنِّى برىء منك إنى أخاف الله ربَّ العالمِينَ * فكانَ عاقبَتُهما أنهمَا فى النار خَالَدْين فيها وذلكَ جزآءُ الظالمين** ﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

الشيطان يستخدم المرأة لصيد قلوب الرجال، فالنساء حبائل الشيطان، ومن وقع فى حبائله قلَّما يفيق من سكرته، إنه لا يفيق إلا فى عسكر الموتى نادمًا مع النادمين، والشيطان يستغل العابد الجاهل ليلعب به كما يلعب الصبى بالكرة ولذلك قيل: « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » لأن الفقيه أعلم بمداخل الشيطان من غيره فهو مسلح بالحصانة العلمية، ولذلك حض الإسلام على طلب العلم، كما حذر الإسلام من فتن الشيطان وطرق إضلاله ـ وتقدم بعضها فى الحديث عن إبليس ـ وحذر الإسلامَ وكذلك من فتنة النساء وتوافرت النصوص منها:

(١) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « الْمرْأَةُ عَوْرَة، فإذا خَرَجت اسْتَشْرفَها الشَّيْطان »(٢).

(٢) وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: « ما تركت بعدى فتنة أضرَّ على الرجال من النساء »(٣).

(٣) وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « إن المرأة إذا أقبلت، أقبلت فى صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته، فليأت أهله، فإن الذى معها مِثلُ الذى معها »(٤).

---

(١) صفة الصفوة (جـ ٢ صـ ٢٣٧ ، ٢٣٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذى، صحيح الجامع (٦٦٩٠)، المشكاة (٣١٠٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم وأحمد فى المسند والترمذى والنسائى، صحيح الجامع (٥٥٩٧).

(٤) صحيح: رواه الترمذى وصححه ابن حبان، صحيح الجامع (١٩٣٩)، الصحيحة (٢٣٥).

وفى رواية أخرى: «إن المرأة تقبل فى صورة شيطان، وتدبر فى صورة شيطان»(١).

(٤) وعن أبى بكرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « هلكت الرجال إذا أطاعت النساء، هلكت الرجال إذا أطاعت النساء، ثلاثًا »(٢).

(٥) وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: « لم يكفر من كفر ممَّن مضى إلا مِنْ قِّبَلِ النساء، وكفر من بقى من قِّبَلِ النساء »(٣).

(٦) وعن ابن عباس أيضًا قال: « إنما هلكت نساءُ بنى إسرائيل من قِّبَلِ أرجلهن، وتهلك نساء هذه الأمة من قبل رؤوسهن »(٤).

(٧) وعن على بن أبى طالب مرفوعًا: « يأتى على الناس زمان: همتهم بطونهم، وشرفهم متاعهم، وقبلتهم نساؤهم، ودينهم دراهمهم "دنانيرهم" أولئك شرار الخلق لا خلاق لهم عند الله »(٥).

وها نحن نلتقى مع عابد جاهل من عُبّاد بنى إسرائيل استحوذ عليه الشيطان فأوقعه فى شر أعماله فدمر عبادته، وسلبه إيمانه - فكفر بعد إيمان، وهوى بعد أن اتبع الهوى إنه: «برصيصا العابد » وإليكم قصته كما ذكرها أهل العلم.

أخرج عبد الرزاق وابن راهوية وأحمد فى الزهد وعبد ابن حميد والبخارى فى تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى الشعب والحاكم وصححه عن علىّ بن أبى طالب أن رجلاً كان يتعبد فى صومعة وأن امرأة كانت لها إخوة، فعرض لها شىء فأتوه بها فزينت له نفسها فوقع عليها فحملت، فجاءه الشيطان فقال: اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت فقتلها ودفنها، فجاءوه فأخذوه وذهبوا به، فبينما هم يمشون إذا جاءه الشيطان فقال: إنى أنا الذى زينت لك فاسجد لى سجدة أنجيك. فسجد له فذلك قوله: ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر** . . ﴾ الآية(٦).

(١) صحيح: رواه مسلم وأحمد فى المسند صحيح الجامع (١٩٤٠).

(٢) رواه أحمد والطبرانى والحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

(٣) إسناده حسن: رواه الحسن بن عرفة (إتحاف الجماعة جـ ١ صـ ٣٣٨).

(٤) رواه عبد الرزاق فى المصنف ورجاله رجال الصحيح (اتحاف الجماعة جـ ١ صـ ٣٤٣).

(٥) رواه الديلمى.

(٦) فتح القدير (جـ ٥ صـ ٢٠٦).

وقال ابن جرير: عن عبدالرحمن بن زيد، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية: ﴿ **كمثل الشيطان** ﴾ . . . الآية قال ابن مسعود: « وكانت امرأة ترعى الغنم وكان لها إخوة أربعة وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب. قال: فنزل الراهب ففجر بها فحملت، فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فإنك رجل تصدق ويسمع قولك، فقتلها ثم دفنها قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فَجَر بإختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدرى أقصها عليكم أم أترك. قالوا: لا بل قصها علينا قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك. قالوا فوالله ما هذا إلا لشيء فانطلقوا فاسْتَعْدُوا مَلِكَهم (رأى استعانوا به فأنصفهم منه) على ذلك الراهب فأتوهْ فأنزلوه ثم انطلقوا به فأتاه الشيطان، فقال: إني أنا أوقعتك في هذا، ولم ينجيك منه غيرى فاسجد لي سجدةً واحدةً وانجيك مما أوقعتك فيه. قال فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل».

وهكذا روى عن ابن عباس وطاووس ومقاتل بن حيان نحو ذلك[١] .

وقد روى عن على ابن أبى طالب بسياق آخر. فقال ابن جرير. . . .عن أبى اسحاق، سمعت عبد الله بن نهيك، سمعت عليًا "أى ابن أبى طالب" يقول: إن راهبًا تعبد ستين سنة، وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنها[٢] ولها إخوة فقال لأخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال: فجاؤوا بها إليه فداواها وكانت عنده، فبينما هو يومًا عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك إنك أعييتنى أنا صنعت هذا بك فأطعنى أُنجك مما صنعت بك اسجد لى سجدة، فسجد له قال: « إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين » فذلك قوله: ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر...**﴾ الآية[٣] .

---

(١) البداية والنهاية (جـ ٢ صـ ١٦٢) .

(٢) أجنها: أى مَسَّها فأحدث لها جنونًا .

(٣) البداية والنهاية (جـ ٢ صـ ١٦٣) .

*** من فوائد القصة :**

(١) الخلوة بالنساء من أكبر الأسباب التى تؤدى إلى الوقوع فى الزنا، ولذلك حذر النبى ﷺ من ذلك .

فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يَخْلُونَّ أحدُكم بامرأةٍ إلا مَعَ ذى مَحْرَم » رواه البخارى ومسلم .

وفى رواية: « لا يخلونَّ رجلٌ بأمَّرأة إلا كان ثَالِثُهَما الشيطان » .

وعن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: « ما مِنْ صَبَاح إلا وَمَلَكان يناديان: ويلٌ للرجال من النساء، وويل للنساءَ من الرجال » رواه ابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد .

(٢) التحذير من ترك النساء عند مُدّعى العلاج الروحانى سواء كان ذلك فى الكنائس أو عند ضُلاَّل الصوفية، وللأسف فإننا نسمع عن بعض الرجال الذين يتركون زوجاتهم عند أحد المشايخ أيامًا بحجة علاجها روحانيًا وهذا هو الضلال بعينه فتأمل.

* * *

(١٩) [يَرْجمُونَ قَبْرَهَ بَعْدَ موتِه]

« أبو رغال » إسم تكرر فى التاريخ مرتين، مرة فى عهد صالح عليه السلام والمرة الثانية فى حادث الفيل، الأول رجم الناسُ قبرَه والثانى كذلك، وإنما فعل الناس بهما كذلك بسبب عداءهما لله تعالى .

*** أبو رغال الأول :**

عن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنه ـ قال: لما مر رسول الله ﷺ: «بالحِجْرِ[1]» قال: « لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت - يعنى الناقة - تَرِد من هذا: "الفج"[2] وتصدر عن هذا الفج: ﴿ **فعتَوْا عن أمر ربهم فعقروهَا** ﴾ وكانت تشرب

(١) المكان الذى سكنت فيه قبيلة ثمود قوم صالح عليه السلام - وقد تقدم الحديث عنهم .

(٢) الفج: « المكان أو الطريق » .

ماءهم يومًا ويشربون لبنها يومًا، فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان فى حرم الله. فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: "هو أبو رغال" فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه »(١).

وعن إسماعيل بن أمية أن النبى ﷺ مر بقبر أبى رغال فقال: «أتدرون من هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا قبر أبى رغال، رجل من ثمود، كان فى حرم الله من عذاب الله. فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا، ودفن معه غصن من ذهب، فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن »(٢).

وقد جاء من وجه آخر متصلاً كما ذكره محمد بن إسحاق فى السيرة عن إسماعيل ابن أمية عن بجير بن أبى بجير قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر، فقال: «إن هذا قبر أبى رغال. وهو أبو ثقيف، وكان من ثمود، وكان بهذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج منه أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه عنه، فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن »(٣).

*** أبو رغال الثانى :**

عندما مر أبرهة الحبشى بثقيف وهو يريد هدم الكعبة .

قال ابن إسحاق: « بعثت ثقيف معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة- فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله بالمغمس- على ثلثى فرسخ من مكة- فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب. فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمس».

قال ابن كثير: « والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن إسحاق أن أبا رغال هذا المتأخر

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٣/ ٣٩٦) وتفرد به. قال ابن كثير: وهذا الحديث على شرط مسلم وليس هو فى شىء من الكتب الستة .

(٢) قال ابن كثير: هذا مرسل من هذا الوجه .

(٣) رواه أبو داود قال ابن كثير: قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى رحمه الله: هذا حديث حسن عزيز (البداية والنهاية جـ ١ صـ ١٥٨) .

وافق اسمه اسم جده الأعلى ورجم الناس قبره كما رجموا قبر الأول أيضًا والله أعلم »(١).

* * *

(٢٠) أصحاب الأخدود

قال تعالى: ﴿. . قتل أصحاب الأخدود﴾ إلى قوله: ﴿الفوز الكبير﴾ [البروج ٤-١١].

روى مسلم فى صحيحه عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: « كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر فلما كَبِرَ قال للملك: إنى قد كبرت فابعث إلىَّ غلامًا أعلمه السحر، فبعثَ إليه غلامًا يعلمه، فكان فى طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب، وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب، فقال إذ خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى، وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر، فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أى بنى أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علىّ، وكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرصَ ويداوى الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هَاهُنا لك أجمع إن أنت شفيتنى. فقال: إنى لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربى. قال: ولك رب غيري؟ قال: ربى وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فجىء بالغلام فقال له الملك: أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل .

فقال: إنى لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجىء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار

(١) البداية والنهاية (جـ ٢ صـ ٢١٣) .

فى مفـرق رأسه فشقه حـتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فـقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فـشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفـر من أصحابه فقال اذهبوا به إلى جبل كذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجـبل. فقال: اللهم اكفنيهم بمَ شئت، فرجف بهم الجـبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: مـا فَعَلَ أصحابك؟ قال: كفانيـهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبـوا به فاحملوه فى قُرقور[1] فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بم شئت. فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله: فقال للملك: إنك لست بقـاتلى حتى تفعل ما آمرك به، قال: ومـا هو؟ قال: تجمع الناس فى صعـيد واحـد؟ وتصلبنى على جذع، ثم خـذ سهمًـا من كنانتى، ثم ضع السهم فى كبد[2] القوس، ثم قل: باسم الله ربِّ الغلام، ثـم ارمنى، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى، فـجمع الناس فى صعيد واحـد وصلبه على جذع، ثم أخذ سـهمًا من كنانتـه، ثم وضع السهم فى كـبد القـوس، ثم قال: باسم الله ربِّ الغـلام، ثم رماه فوقع السهم فى صَدْغِه فوضع يده فى صدغـه فى موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمـنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فـأتى الملك فقـيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بـك حَذَرك قد آمن الناس، فأمر بالأخـدود فى أفواه السكك فخـدت، وأضرم النيران. وقال: مـن لم يرجع عن دينه فَأَقْحـموهُ فيهـا أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام يا أمَّه اصبرى فإنك على الحق »[3].

وفى رواية للإمام أحمد: « فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع فى النار، فقال الصبى: اصبرى يا أماه فإنك على الحق »[4].

---

(١) القرقور: ضربٌ من السفن، وقيل هى السفينة العظيمة أو الطويلة.

(٢) كبد القوس: أى فى وسطه.

(٣) رواه مسلم (١٨/ ١٣٠ - ١٣٣) الزهد - وابن حبـان (٣/ ١٥٤ - ١٥٧) رقم (٨٧٣) من الإحسان فى تقريب - صحيح ابن حبان.

(٤) مسند الإمام أحمد (جـ ٦/ ١٦ - ١٧ - ١٨).

قلت : وهذه الرواية صحيحة بلا شك - غير أنه لم يثبت من طريق صحيح، اسم الملك المذكور ، أو اسم المكان أو الجماعة المؤمنة التى إبتليت بهذا البلاء قال القفال: «ذكروا فى قصة أصحاب الأخدود روايات مختلفة وليس فى شيء منها ما يصح إلا أنها متفقة فى أنهم قوم من المؤمنين خالفوا قومهم أو ملكًا كافرًا كان حاكمًا عليهم فألقاهم فى أخدود حفر لهم، وأظن أن تلك الواقعة كانت مشهورة عند قريش فذكر الله تعالى ذلك لأصحاب رسوله تنبيهًا لهم على ما يلزمهم من الصبر على دينهم واحتمال المكاره فيه فقد كان مشركو قريش يؤذون المؤمنين، على حسب ما اشتهرت به الأخبار من مبالغتهم فى إيذاء عمار وبلال »(١) .

قال الأستاذ/ أحمد فريد: هذه القصة البديعة سجل الله عز وجل خاتمتها فى كتابه، وبين النبى ﷺ بدايتها وسياقها يظهر فيها بجلاء قوة الإيمان، وكيف أن العبد إذا وجد طعم الإيمان وذاق حلاوته، فإن ذلك يشغله عما يتعرض له الجسد من إيلام وعذاب، فالقلب يأسر الإيمان لموافقته للفطرة السليمة فيحتمل المؤمنون أشد ألوان الأذى ويكون أيسر على المؤمن أن تخرج روحه من جسده، ولا يخرج الإيمان من قلبه. . . فأهل الإيمان يكافؤون على إيمانهم بمزيد من أسباب الإيمان، وأهل الطغيان يعاقبون على طغيانهم بمزيد من الخذلان. . . ومن آداب الداعية التنزه عن أغراض الدنيا، والرضا بالله عز وجل وثوابه، وفيه حرص الداعية على إيمان قومه ولو كان بسبب هذا الإيمان ذهاب نفسه وخروج روحه، وفى القصة إثبات كرامة الأولياء، وكيف أنها من أسباب ثبات المؤمنين، وزيادة إيمانهم .

وفى القصة أيضًا: أن السحر بالتعلم .

وفى القصة كذلك: ابتلاء الدعاة إلى الله، ووجوب الصبر على ذلك، وتفاوت درجات الناس فى ذلك .

وفيها أيضًا: اسناد الفعل إلى الله (إنما يشفى الله) .

---

(١) مفاتيح الغيب مجلد (١٦/ ٣١٨) .

وفيها: التضحية بالنفس فى سبيل الدعوة[١] .

قلت: وفيها أن الشفاء قد يكون بدعاء أحد الصالحين .

وفيها: جواز الكذب فى الحرب، فإنها خدعة. وكذلك جواز الكذب لنجاة المؤمن الضعيف من المنافق أو الكافر القوى .

شرح معانى الآيات :

قال تعالى: ﴿ **قُتِلَ أصحاب الأخدود** ﴾[٢] قال القرطبى: أى لُعن، قال ابن عباس: كل شىء فى القرآن (قُتِلَ) فهو لعن .

﴿**النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود** ﴾ أى: عند النار، وكان الملك وأصحابه جلوسًا على الكراسى عند الأخدود يعرضون المؤمنين على الكفر، فمن أبى ألقوه .

﴿ **وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود** ﴾ أى: حضور .

﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يُؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد** ﴾ [البروج: ٨، ٩] .

قال الشوكانى: ﴿ **وما نقموا منهم** ﴾ أى: ما أنكروا عليهم ولا عابوا منهم ﴿ **إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ أى: إلا أن صدقوا بالله الغالب المحمود فى كل حال. قال الزجاج: ما أنكروا عليهم ذنبًا إلا إيمانهم ﴿ **الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد** ﴾ أى: لا يخفى عليه منه خافيه، وفى هذا وعيد شديد لأصحاب الأخدود .

قوله تعالى: ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذابُ الحريق** ﴾ [البروج: ١٠] .

أى: حرقوهم بالنار، **والعرب** تقول: فتنت الشىء أى: أحرقته، وفتنت الدرهم والدينار: إذا أدخلته النار لتنظر جودته، وقيل معنى فتنوا المؤمنين: محنوهم فى دينهم

---

(١) من كتاب تيسير المنان مع حذف وإضافة دون إخلال بالمعنى إن شاء الله .

(٢) الأخدود: الشق العظيم المستطيل فى الأرض كالخندق .

ليرجعوا عنه، ثم لم يتوبوا من قبيح صنعهم ويرجعوا عن كفرهم وفتنتهم، فلهم عذاب جهنم أى: لهم فى الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق، أى: ولهم عذاب آخر زائد على عذاب كفرهم، وهو عذاب الحريق الذى وقع منهم للمؤمنين، وقيل: إن الحريق اسم من أسماء النار كالسعير، وقيل: إنهم يعذبون فى جهنم بالزمهرير ثم يعذبون بعذاب الحريق، فالأول عذاب ببردها، والثانى عذاب بحرِّها .

وقال الربيع بن أنس: إن عذاب الحريق أصيبوا به فى الدنيا، وذلك أن النار أرتفعت من الأخدود إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم. وبه قال الكلبى .

قلت: وعلى هذا القول يكون الله تعالى حرّقهم بالنار مرتين، مرة فى الدنيا ومرة فى الآخره وصدق ربنا: ﴿ **وكذلك نجزى المفترين** ﴾ .

والجزاء من جنس العمل .

قال الشوكانى: « فأما الغلام فإنه دفن، ثم أخرج، فيذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل »(١) .

قال ابن إسحاق: حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلاً من أهل "نجران"(٢) كان فى زمن عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته، فوجد «عبد الله بن التامر»(٣) تحت دفن فيها قاعدًا واضعًا يده على ضربة فى رأسه ممسكًا عليها بيده، فإذا أخذت يده عنها تنبعث دمًا، وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمها وفى يده خاتم مكتوب فيه ربى الله، فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره فكتب عمر إليهم أن أقروه على حاله وردوا عليه الذى كان عليه ففعلوا »(٤) .

---

(٢) فتح القدير (جـ ٥ صـ ٤١٧) .

(٢) وذلك على حسب قول من ذهبوا إلى أن المؤمنين كانوا من أهل نجران .

(٣) عبد الله بن التامر هو اسم الغلام وقيل اسمه: « فيمون » فالله أعلم .

(٤) تفسير ابن كثير (جـ ٤ صـ ٧٨٠) .

قلت : وقصة بقاء أجساد بعض الصالحين دون أن تبلى ويأكلها التراب حدثت لبعض أصحاب النبى ﷺ .

مثل عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح ـ رضى الله عنهما ـ وذلك أنهما استشهدا فى أُحد، وفى عهد معاوية رضى الله عنه استخرجوا جثتهما بسبب جريان عين من ماء فوجد الناس جثتهما كما هى !! .

* * *

(٢١) مصرع أبرهة الحبشي

عن ابن إسحاق(١): أن أبرهة الأشرم - بنى كنيسة بصنعاء [أى باليمن]، وكان نصرانيًا وسماها: القليس ـ وأراد حج الناس إليها، وأراد بذلك صرف الناس عن الحج إلى البيت [الحرام] ـ فصرف الله عنها الناس، وأوقد الحريق فيها.

[**قلت**: وروى بعضهم أن بعض العرب كان يتغوط فيها!!] فاشطاط غضبًا وجهز جيشًا يريد هدم الكعبة المشرفة ـ يتقدم جيشه فيلٌ عظيم. . . وبعثت ثقيف أبا رغال مع أبرهة، ليدله على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله بالمغمس، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك، فرجمت قبره العربُ، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمس [وقد تقدم ذكر ذلك قريبًا] .

ولما وصل أبرهة بجيشه إلى مكة، وحدث ما حدث بينه وبين عبد المطلب جَد النبى ﷺ، واستعد أبرهة للهجوم على الكعبة يريد هدمها .

وقف الفيل فى مكانه ولم يستطع السير ، وأنزل الله تعالى بأسه عليه قال ابن إسحاق: أرسل الله عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها، حجر فى منقاره، وحَجَران فى رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك، وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التى جاءوا. . . فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل

---

(١) كلام ابن إسحاق هنا سقناه مختصرًا، وما بين المعكوفين من توضيحنا، مع بعض الزيادات الطفيفة ليستقيم المعنى .

مهلك، وأصيب أبرهة فى جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة اتبعتها منه مدَّة تمثّ قيحًا ودمًا، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون(١) .

أما قائد الفيل وسائسه: روى ابن إسحاق عن عائشة قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان .

وقال ابن عباس عن الطير المرسلة على أبرهة وقومه: « كانت طيرًا لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب » .

قال الأستاذ/ سيد قطب: « ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعزّ بالفيل - وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسمًا - ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر، ولا يدرك بالبصر، حيث ساقه القدر لا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر »(٢) .

* شرح معانى الآيات :

قال تعالى: ﴿ **ألم تر** ﴾ قال الفراء: المعنى ألم تخبر، وقال الزجاج: ألم تعلم. والخطاب لرسول الله ﷺ .

﴿ **كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل** ﴾ الذين قصدوا تخريب الكعبة من الحبشة .

والمعنى: قد علمت يا محمد، أو علم الناس الموجودون فى عصرك ومن بعدهم بما بلغكم من الأخبار المتواترة من قصة أصحاب الفيل وما فعل الله بهم فما لكم لا تؤمنون ؟

﴿ **ألم يجعل كيدهم فى تضليل** ﴾ أى: ألم يجعل مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة واستباحة أهلها فى تضليل عما قصدوا إليه حتى لم يصلوا إلى البيت ولا إلى ما أرادوه بكيدهم .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥٠) وما بعدها بتصرف .

(٢) الظلال (٦/ ٣٩٧٦) .

﴿ **وأرسل عليهم طيرًا أبابيل** ﴾ .

ومعنى أبابيل: أى جماعات من ههنا وههنا، قال سعيد بن جبير: كانت طيرًا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها، وقال قتادة: هى طير سود جاءت من قبل البحر فوجًا فوجًا مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجران فى رجليه، وحجر فى منقاره لا يصيب شيئًا إلا هشمه. وقيل كانت طيرًا خضرًا خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع. وقيل كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكفّ كأكف الكلاب[١] .

﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل** ﴾ قال الزجاج: ﴿ **من سجيل** ﴾ أى: مما كتب عليهم العذاب به. قال فى الصحاح قالوا: هى حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم. قال عبد الرحمن بن أبزى: ﴿ **من سجيل** ﴾ من السماء، وهى الحجارة التى نزلت على قوم لوط. قال عكرمة: كانت ترميهم بحجارة معها، فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدرى، وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة[٢]، وقيل: (ترسل الواحدة على رأس الرجل فيسيل لحمه ودمه ويبقى عظامًا خاوية لا لحم عليها ولا جلد ولا دم)[٣] .

﴿ **فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ أى: جعل أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدّوابّ فرمت به من أسفل، قال ابن عباس: ﴿ **كعصف مأكول** ﴾ كالتبن .

ورحم الله الإمام « الحسن البصرى » عندما قال :

« إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين إنَّ ذلَّ المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلاّ أنْ يَذِلَّ منْ عصاه »[٤].

❊ ❊ ❊

---

(١) فتح القدير (جـ٥ صـ ٤٩٥) .

(٢) نفس المرجع .

(٣) روى أبو نعيم ذلك عن ابن عباس (فتح القدير جـ ٥ ص ٤٩٦) .

(٤) الداء والدواء لابن القيم صـ ٦٩ .

(٢٢) مصرع أبي لهب وزوجته

قال تعالى: ﴿ **تبت يدا أبى لهب وتب* ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارًا ذات لهب * وامرأته حمّالة الحطب * فى جيدها حبل من مسد** ﴾ [سورة المسد] .

أبو لهب هذا الذى أفرد الله ذِكْرَه من كفار قريش، وهو أحد أعمام رسول الله ﷺ ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عتبة، وإنما سمى أبا لهب، لإشراق وجهه، ولتلهب وجنتيه، وكأن كنيته من جنس عمله ومآله إلى ذات اللهب (جهنم وبئس المصير) وامرأته أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وهى أخت أبى سفيان، ولقد كان أبو لهب كثيرا الآيذاء لرسول الله ﷺ والبغض له والإزدراء به والتنقص له ولدينه، وانظر إلى نموذج من نماذج كيد أبى لهب لدعوة الرسول الله ﷺ التى عاداها من اليوم الأول للدعوة .

روى الإمام أحمد عن ربيعة بن عبَّاد، وكان جاهليًا فأسلم - قال: رأيت النبى ﷺ فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول: « يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضئ الوجه أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب .

وروى البخارى عن ابن عباس: أن النبى ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش فقال: « أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقونى؟ قالوا: نعم. قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًا لك فأنزل الله تعالى: ﴿ **تبت يدا أبى لهب وتب** . . ﴾» .

قلت: وكذلك كانت امرأته العوراء أم جميل شديدة العداوة لله ولرسوله قال ابن كثير : « ولم يقض الله له ولا لامرأته أن يؤمنا، ولا لواحد منهما لا ظاهرًا ولا باطنًا، ولامُسرًا ولا معلنًا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة »[١] فهى دليل واضح على النبوة .

---

(١) تفسير ابن كثير (جـ ٤ صـ ٩٠٢) .

ولما أجمع بنو هاشم بقيادة أبى طالب على حماية النبى ﷺ ولو لم يكونوا على دينه، تلبية لدافع العصبية القبلية، خرج أبو لهب على إخوته، وحالف عليهم قريشًا وكان قد خطب بنتى الرسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم لولديه قبل البعثة، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما، حتى يثقل كاهل محمد بهما !

وعن عطاء: نزلت فى أبى لهب: ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ وذلك حين مات ابن الرسول « إبراهيم » فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال: بتر محمد الليلة - فأنزل الله فى ذلك: ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾.

*** نهايته :**

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: «رماه الله (أى رمى أبا لهب) "بالعدسة"[(١)] فقتله، فلقد تركه[(٢)]. . . بعد موته ثلاثًا، فما دفناه حتى انتن، وكانت قريش تتقى هذه العدسة، كما تتقى الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكما: ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة، فقال: إنطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ماغسلوه إلا قذفًا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رخموا عليه بالحجارة!! »[(٣)] .

أما ما حدث لزوجته فسوف يأتى فى شرح آيات السورة .

شرح معانى آيات سورة: « المسد » .

قال تعالى: ﴿ **تبت يدا أبى لهب وتب** ﴾ .

معنى تبت: هلكت. وقال مقاتل: خسرت، وقيل خابت .

وخص اليدين بالتباب ، لأن أكثر العمل يكون بهما ، وقيل المراد باليدين نفسه كما فى قوله تعالى : ﴿ **بما قدمت يداك** ﴾ وكقولهم : أصابته يد الدهر، وأصابته

---

(١) مرض من الأمراض الفتاكة المعدية التى تشبه الطاعون .

(٢) بياض بالأصل ولعل تكملته (فلقد تركه أولاده بعد موته) حتى يستقيم المعنى .

(٣) الجزاء من جنس العمل (جـ ١ صـ ٢٥١) .

يد المنايا ﴿ **وَتَبَّ** ﴾ أى: هلك. قال الفراء: الأول دعاء عليه والثانى خبر، كما تقول: أهلكه الله، وقد هلك .

﴿ **ما أغنى عنه ماله وما كسب** ﴾. أى: ما دفع عنه ما حلّ به من التباب وما نزل به من عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب من الأرباح والجاه .

وقال مجاهد: ﴿ **وما كسب** ﴾ وما كسب من ولد.. وولد الرجل من كسبه[١] .

﴿ **سيصلى نارًا ذات لهب** ﴾. والمعنى: سيصليه الله نارًا ذات اشتعال وتوقد، وهى نار جهنم .

﴿ **وامرأته حَمَّالة الحطب** ﴾. أى: وتصلى امرأته نارًا ذات لهب، وهى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان، وكانت تحمل الغضى والشوك فتطرحه بالليل على طريق النبى ﷺ، كذا قال ابن زيد والضحاك والربيع بن أنس ومرَّة الهمدانى، وقال مجاهد وقتادة والسُّدِّى: إنها كانت تمشى بالنميمة بين الناس. والعرب تقول: فلان يحطب على فلان: إذا نَمَّ به .

وقال سعيد بن جبير: معنى حمالة الحطب أنها حمالة الخطايا والذنوب - كما فى قوله تعالى: ﴿**وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم..** ﴾ وقيل المعنى: ﴿**حمالة الحطب فى النار** ﴾، قال ابن كثير: « يعنى تحمل الحطب فتلقى على زوجها ليزداد على ما هو فيه[٢] فتكون يوم القيامة عونًا عليه فى عذابه فى نار جهنم »[٣] .

﴿**فى جيدها حبل من مسد**﴾. الجيد: العنق، والمسد الليف الذى نفتل فيه الحبال.

قال الضحاك وغيره: هذا فى الدنيا، كانت تُعيّر النبى ﷺ بالفقر وهى تحتطب فى حبل تجعله فى عنقها فخنقها الله به فأهلكها، وهو فى الآخرة حبل من نار .

وقال مجاهد وعروة بن الزبير: هو سلسلة من نار تدخل فى فيها وتخرج من أسفلها، وعن الثورى: هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعًا .

---

(١) ذكر عن ابن مسعود أن رسول الله لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخى حقًا فإنى أفتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى فأنزل الله تعالى « ما أغنى عنه ماله وما كسب » .

(٢، ٣) تفسير ابن كثير (جـ ٤ صـ ٩٠١) .

وأخـرج ابن أبى حاتم وأبو زرعـة عند أسمـاء بنت أبى بكر قـالت: لما نزلت: **﴿تبت يدا أبى لهب﴾** أقبلت العوراء أم جمـيل ولها ولولة، وفى يدها « فهر »[1] وهى تقول: مذممًا أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا .

ورسول الله ﷺ جالـس فى المسـجد ومعـه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، فقال رسول الله ﷺ: إنها لن ترانى وقرأ قرآنًا اعتصم به كما قال تعالى: **﴿ وإذا قرأت القرآن جـعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًـا مستورًا ﴾** [الإسراء: ٤٥]، فأقـبلت حتى وقـفت على أبى بكر ولم تر رسول الله ﷺ، فقـالت: يا أبا بكر إنى أخبرت أن صاحـبك هجانى، قال: لا وربّ البيت ما هجاك[2]، فولت وهى تقول: قد علمت قريش أنى ابنة سيدها[3] .

قلت : وفى رواية للحـافظ البـزار فى آخرها: « فلمـا ولت. قـال أبو بكر: أى للنبى: ما رأتك؟ قال: أى النبى ﷺ : لا مازال ملك يسترنى حتى ولت».

وصدق ربنـا عز وجل: **﴿ إنَّ الذين يُحـادُّونَ اللهَ وَرسـولَهُ أولـئكَ فى الأذَلِّين ﴾** [المجادلة: ٢٠] .

* * *

(٢٣) مصرع ابن أبي لهب

« اللهَّم سَلِّطْ عليه كَلْبًا مِنْ كِلاَبك »

روى الطبرانى عن قتـادة قال: تزوج أم كلثوم ـ بنت رسول الله ﷺ ـ عتـيبة بن أبى لهب، فلم يبن بها، حتى بعث النبى ﷺ فلما نزل قوله: **﴿ تبتْ يدا أبى لهب ﴾** [المسد: ١] .

قال أبو لهب لابنيـه عتبـة وعتيبـة: رأسى من رأسيكما حـرام إن لم تطلقا ابنتى

(١) الفهر : هى الحجارة .

(٢) قلت: وَصَدَق أبو بكر فالنبى ﷺ لم يهجها ولكن الله تعالى الذى أنزل السورة .

(٣) قال الشوكانى: وأخـرجه البزار بمعناه، وقال: لا نعلمه يروى بأحـسن من هذا الإسناد (فتح القدير جـ ٥ صـ ٥١٣) .

قلت: وهى الرواية التى ذكرنا آخرها عقب هذه الرواية .

محمد، وقالت أمهما بنت حرب بن أمية - وهى حمالة الحطب - طلقاهما يا بنى، فإنهما صبأتا، فطلقاهما ولما طلق (عتيبة)[١] أم كلثوم جاء إلى النبي ﷺ حين فارقها فقال: كفرت بدينك، أو فارقت ابنتك لا تجيئنى ولا أجيئك، ثم سطا عليه فشق قميص النبى ﷺ وهو خارج نحو الشام تاجراً فقال النبى ﷺ: «أما إنى أسأل الله أن يسلط عليك كلبه» .

وفى رواية لابن عساكر عن هبار بن الأسود أن عتيبة قال: والله لأنطلقن إلى محمد، ولأوذينه فى ربه ـ سبحانه ـ فانطلق حتى أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد، هو يكفر بالذى دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى. فقال النبى ﷺ: « اللهم ابعث إليه كلبًا من كلابك » .

وفى رواية أخرى أن عتيبة هذا: تفل فى وجه رسول الله ﷺ فدعا عليه النبى: « اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك » وكان أبو طالب حاضرًا، فوجم لها وقال : ما كان أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة، فرجع عتيبة إلى أبيه فأخبره[٢] .

يقول الراوى فسرنا حتى نزلنا الشراة: (صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ) وهى مأسدة (أى كثير الأسود)، فنزلنا إلى صومعة راهب، فقال: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد، فإنها تسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم، فقال لنا أبو لهب. إنكم قد عرفتم كبرسنى وحقى وإن هذا الرجل قد دعا على ابنى دعوة، والله ما آمنها عليه، فأجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابنى عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا فجاء الأسد فشمّ وجوهنا، فلما لما يجد ما يريد. تقبض،

---

(١) قال القاسمى: قال الشهاب: والذى صححه أهل الأثر أن أولاده - لعنه الله - ثلاثة معتب، وعتبة، وهما أسلما، وعتيبة - مصغرًا - وهو الذى دعا عليه النبى ﷺ. لما جاهر بإيذائه وعداوته، وردّ ابذته وطلقها » .

قلت: وهذا يرد على من ذهب إلى أن الذى دعا عليه النبى ﷺ هو عتبة - فإن عتبة وأخوه معتب اسلما يوم الفتح وشهدا مع النبى حنينًا والطائف) انظر كشف اللثام عَمَّا فى كتب التفسير من الأوهام للدكتور: أبو عمر نادى بن محمود الأزهرى (صـ ٥٢ ، ٥٣). ولذلك صوبنا الاسم فى رواية ابن عساكر ولله الحمد والمنة .

(٢) القرطبى (٩/ ٦٢٥٣) وبقيتها انفال أبو لهب: يا بنى ما قلت له؟ فذكر ما قال له، قال: فما قال لك؟ قال: قال: اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك، قال يا بنى والله ما آمن عليك دعاءه) تفسير ابن كثير لسورة النجم .

فوثب فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه (أى عتيبة) ثم هزمه هزمة (أى ضربه ضربة) ففضح رأسه (أى شدخها) فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا يفلت من دعوة محمد .

وهكذا شُدخت الرأس التى بصقت فى وجه رسول الله ﷺ وفيها اللسان الذى كفر بالله الواحد الديان، والجزاء من جنس العمل، ولا يغنى حذر من قدر، وإذا جاء القدر عمى البصر، وإذا نزل القضاء ضاق الفضاء، ولا يكفى الإنسان أرضٌ ولا سماء.

* * *

(٢٤) نزلت عليه صاعقة من السماء فأحرقته

عن أنس - رضى الله عنه - قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى، فقال: إيش ربك الذى تدعونى إليه؟! من حديد هو؟! من نحاس هو؟ من فضة هو؟! من ذهب هو؟! - فأتى النبى ﷺ فأخبره فأعاده النبى ﷺ الثانية فقال مثل ذلك فأتى النبى فأخبره فأرسله الثالثة فقال مثل ذلك فأتى النبى ﷺ فأخبره فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقته فقال رسول الله ﷺ: « إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته » فنزلت هذه الآية: ﴿ ... **ويُرسِلُ الصواعق فيصيبُ بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال** ﴾[١] [الرعد: ١٣] .

أقول: وإرسال الصواعق دليل على غضب الرب تبارك وتعالى، ولذلك ثبت فى أحاديث صحيحة إن الصواعق تكثر عند اقتراب الساعة، عند ما يفشو المنكر، وتستحل الفروج، وينتشر الفجور .

فعن أبى سعيد الخدرى قال: أن رسول الله ﷺ قال: « تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة، حتى يأتى الرجلُ القوم، فيقول: من صعق قبلكم الغداة؟ فيقولون: صعق فلان وفلان »[٢].

---

(١) أخرجه البزار فى كشف الأستار (٣/ ٥٤) بإسناد صحيح (معجزات النبى صـ ٤٠) للشيخ/ مصطفى ابن العدوى حفظه الله تعالى .

(٢) رواه الأمام أحمد واللفظ له، ورواه الحاكم بلفظ مقارب وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، قال الذهبى «قلت: عمارة ثقة لم يخرجوا له » انظر اتحاف الجماعة (جـ٢ ص٢٣٧، ٢٣٨).

وروى نعيم بن حَـمَّاد فى الفتن عن أبى هريرة رضى الله عنـه أنه قال: « يوشك أن لا تجدوا بيوتًا تُكِنـكُمُ، تهلكها الرواجف، ولا دواب تبلغوا عليهـا فى أسفاركم، تهلكها الصواعق » .

* * *

(٢٥) رفضت الأرض استقبال جثته

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه أن رجلاً كان يـكتب للنبى ﷺ وقد كان قرأ البقـرة وآل عمران، وكـان الرجل إذا قرأ البـقرة، وآل عمـران جد فيـنا، فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، فمات. فقال النبى ﷺ :

« إن الأرض لا تقبله »[1] فحفروا له، فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له، فواروه، فـأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحـفروا له، فواروه فأصبحت الأرض قـد نبذته على وجهها، فتـركوه منبوذًا. قال أنس: فأخبرنى أبو طلحة أنه أتى الأرض التى مات فيها، فوجده منبوذًا، قال أبو طلحة: ما شأن هذا؟ فقالوا: قد دفناه مرارًا، فلم تقبله الأرض .

وفى لفظ آخر قال أنس: « كـان رجلاً نصرانيًا فأسلم، وقرأ البـقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبى ﷺ فعاد نصـرانيًا، فكان يقول: ما يدرى محمـد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فـقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشـوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقـوه خارج القبر، فـحفروا له وأعمـقوا له فى الأرض مـا استطاعـوا ، فـأصبـح قد لفظتـه الأرض ، فـعلمـوا أنه ليس من الناس فألقوه»[2].

* * *

(١ ، ٢) حديث صحيح أخرجه البخارى (٣٦١٧) ومسلم (٢٧٨١) وغيرها.

فائدة: تدور عظة القصة النبوية حول شدة عقـوبة الله تعالى لمن ارتد، وبيان معجزة لإخباره ﷺ بأمر عينى لم يشهده، ولم يسمع به من قبل، وبينه وبينه المسافات الشاسعة الكثير والكثير (انظر الصحيح من قصص النبى جـ ٤ صـ ٣٦) للأستاذ/ مجدى فتحى السيد .

(٢٦) « وضع رِجْلَهُ على عنق النبي ﷺ فَقُطعتْ»

إنه الشقى عقبة بن أبى معيط الذى آذى رسول الله ﷺ، وانفرد بما لم يفعله أحد، ووضع رجله على عنق أطهر الخلق رسول الله، فقُطِعَت عُنِقهُ جزاء وفاقًا .

قال ابن إسحاق فى أسرى بدر[١]، وعقبة بن أبى معيط وكيف قتل صبرًا قال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد[٢]؟ قال: « النار ». وكان الذى قتله عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح، وكذا قال موسى بن عقبة فى مغازيه .

ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ أى وهو يريد قتله ـ قال: يامعشر قريش علام أقتل من بين مَنْ هنا؟ قال: على عداوتك لله ورسوله .

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبى قال: لما أمر النبى ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يامحمد من بين قريش؟ قال: نعم، أتدرون ما صنع هذا بى؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عينيّ ستندران (أى ستخرجان من مكانهما) وجاء مرة أخرى بسلاشاه (أى بأمعاء شاة) فألقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى .

وفى رواية أنه قال للنبى ﷺ تقتلنى من بين هؤلاء؟ قال: نعم بما بزقت فى وجهى فأنزل الله تعالى فى عقبة : ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذتُ مع الرسول سبيلاً**...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **وكان الشيطان للإنسان خذولاً** ﴾[٣] [الفرقان: ٢٧-٢٩] .

* * *

(١) كان عقبة قد اشترك فى غزوة بدر مع المشركين فأُسر فيمن أسر بأيدى المسلمين .

(٢) يقصد من يعول أولاده من بعده .

(٣) أورده السيوطى فى الدر المنثور وعزاه إلى ابن مردويه وأبى نعيم فى الدلائل وصحح إسناده.
قال الشيخ / مصطفى بن العدوى والعهدة فى تصحيح الاسناد على السيوطى (معجزات النبى صـ ٤٠).

(٢٧) « لو بَصَقَ عليَّ محمدٌ لَقَتَلَنَي »

« أُبَيُّ بن خلف » إذا قرأت عنه أو سمعت اسمه فاهتف من أعماق قلبك قائلاً «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » فإن هذا الكافر من أئمة الضلال ومن رؤوس الكفر، الذين هم فى الدرك الأسفل من النار - نعوذ بالله منها .

فمن هو أُبىّ بن خلف هذا وما هى قصته ؟

قال ابن إسحاق: كان أبىّ بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يامحمد، إن عندى العَوذَ، فرسًا أعلفه فى كل يوم فرقًا[١] من ذرة، أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: « بل أنا أقتلك إن شاء الله » .

ومرت الأيام ودارت عجلة الزمن، وتلاحم المسلمون مع المشركين فى بدر الكبرى، وكان النصر حليفًا للمسلمين فأذلوا الشرك وأهله ـ ولما جاءت غزوة أحد، أحب أبى بن خلف أن يوفِ بوعده ويقتل النبى ﷺ على فرسه الذى رباه من أجل ذلك .

قال ابن إسحاق وهو يقص وقائع غزوة أحد: « . . . لما أسند رسول الله ﷺ فى الشِّعْب أدركه أبى بن خلف وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ. فقال القوم: يا رسول الله، يعطف عليه رجل منا، فقال رسول الله ﷺ: « دعوه » فلما دنا منه، تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصُّمّة فقال بعض القوم ـ كما ذكر لى ـ فلما أخذها رسول الله انتفض انتفاضة تطايرنا عنه، تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله رسول الله ﷺ، فطعنه فى عنقه تدأدأ[٢] منها مرارًا»[٣].

فلما رجع إلى قومه، وقد خدشه الرسول بالحربة خدشًا غير كبير، قال: قتلنى والله محمد. قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله مابك من بأس قال: إنه قد كان قال بمكة: « أنا أقتلك فوالله، لو بَصَقَ علىَّ لقتلنى » فكان هذا الشقى الوحيد الذى قتله

---

(١) بفتح الراء وإسكانها: مكيال يسع تسع عشر منًا وقيل اثنا عشر مِنًا .

(٢) تدأدأ: عدا أشد العَدْو .

(٣) البداية والنهاية (جـ ٤/ ٣٣ ، ٣٤) .

رسول الله ﷺ بيده الكريمة[١] (فمات إلى النار) ﴿ **فَسُحْقًا لأصحاب السعير** ﴾[١] .

قلت : وفى بعض الروايات : « أن أُبَىّ بن خلف هذا لما طعُن لم يخرج من طعنته دم»، وأخبرنا النبى ﷺ أن هذا الشقى فى الدرك الأسفل من النار .

فعن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « من حافظ عليها - أى الصلاة - كانت له نوراً وبرهانًا ونجاة يوم القيامة من لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهانًا ولا نجاه يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبى بن خلف »[٣] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتل نبيًا أو قتله نبىٌ، أو رجل يُضلُّ الناس بغير علم، أو مصور يصوِّر التماثيل »[٤] .

أقول : فهل يعقل الذين يتجرأون على الفتيا بغير علم، والذين يبيحون صناعة التماثيل بحجة أن الناس فى مأمن من عبادتها هذا الحديث الصحيح الصريح يا سادة إنه لا اجتهاد مع النص، ولا يجوز لمسلم أن يرفع صوته فوق صوت النبى وإلا حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين .

* * *

(٢٨) أَقْماكَ الله عز وجل

« عبد الله بن قميئة » أتعرفون هذا الإسم؟ إنه من أعداء الله ورسوله، وله قصة مع نبينا ﷺ فى غزوة أحد، قال ابن حجر: « ومجموع ما ذكر الأخبار أنه شُجَّ وجهه، وكسرت رباعيته، وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها، ووهى منكبه من ضربة ابن قميئه »[٥] .

---

(١) سلسلة معارك الإسلام: أُحد (١٦٣) .

(٢) الجزاء من جنس العمل (جـ ١ صـ ٢٦١ ، ٢٦٢) .

(٣) رواه أحمد بإسناد جيد وابن حبان فى صحيحه والطبرانى فى الأوسط والكبير .

(٤) حديث حسن: رواه أحمد فى المسند والطبرانى واللفظ له وانظر صحيح برقم (١٠٠٠) .

(٥) فتح البارى (٧/ ٤٣١)، حكى ابن حجر ما حدث للنبى فى غزوة أحد .

وعند ابن هشام من حديث أبى سعيد الخدرى: أن عبد الله بن قميئة جرحه فى وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المِغْفَر فى وجنته ﷺ .

قال عبد الرحمن بن زيد: عن جابر أن الذى رمى رسول الله بأحد فجرحه فى وجهه، قال: خذها منى وأنا ابن قميئة، فقال: (أقماك الله) قال: فانصرف إلى أهله، فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل، فدخل فيها فشد عليه تَيْسُها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطع .

وفى الطبرانى من حديث أبى أمامة قال: رمى عبد الله بن قميئة رسول الله يوم أحد، فشج وجهه وكسر رباعيته، فقال: خذها وأنا ابن قميئة، فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: (مالك أقماك الله، فسلط الله عليه تَيْس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة) ا.هـ. وذلك تحقيرًا لشأنه وإنتقامًا لنبيه .

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه - يشير إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله فى سبيل الله »[١].

* * *

(٢٩) « أَمَرَ النبي ﷺ أن تُضْرَبَ رأسه بين حَجَرَيْن »

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: عدا[٢] يهودى على عهد رسول الله ﷺ على جارية فأخذ أوضاحًا[٣] كانت عليها، ورضخ رأسها[٤]، فأتى بها أهلها رسول الله ﷺ وهى فى آخر رمق[٥] وقد أصمتت[٦] فقال رسول الله ﷺ: من قتلك؟ فلان؟ لغير الذي قتلها، فأشارت برأسها: أن لا. قال: فقال لرجل آخر غير الذى قتلها، فأشارت: أن لا. فقال: « ففلان؟ » لقاتلها، فأشارت أن نعم. فأمر به

---

(١) صحيح: رواه البخارى ومسلم .

(٢) عدا: من الإعتداء .

(٣) أوضاحًا وحُلى فضة، وسميت أوضاحًا لبياض لونها .

(٤) رضخ رأسها: أى كسر رأسها .

(٥) آخر رمق: هو بقية الحياة والروح .

(٦) أصمتت: أى وقع بها الصمت، وهو خرس فى لسانها مع حضور ذهنها .

رسـول الله ﷺ فرضـخ رأسه بين حَـجَـرَيْن. وفى رواية أخـرى: فلم يزل به حـتى أَقَرَّ(١)، ما فَرُضِخَ رأسه بالحجارة(٢) .

*** من فوائد وعظات القصة :**

(١) فى هذه القصـة يتبين لنا مدى العزة والكرامـة والسيادة التى كان يتـمتع بها المسلمون الأوائل فلقد عـاقب النبى ﷺ اليهودى بمثل ما اعـتدى به على المرأة المسلمة والآن كم من رجال تذبح، وأطفـال تقتل، ونساء تنتـهك أعراضهن ولا تتحـرك فينا شعرة ولا تغار فينا ذرة. فأين غيرتنا، وأين عزتنا، وأين رجولتنا ؟!!

(٢) وفى القصة أن الرجل يقتل بالمرأة، كما تقتل المرأة به .

(٣) جواز سؤال الجـريح من جرحك؟ وفائدة السؤال أن يعـرف المتهم ليطالب، فإذا أقر ثبت عليه القتل، وإن أنكر فالقـول قوله مع يمينه، ولا يلزمه شىء بمجرد قول المجروح .

* * *

(٣٠) مصرعُ أبي جهل (فرعون هذه الأمة)

أبو جهل إمام كبير بن أئمة الضلال، عاند الدعوة الإسلامية فى بكورتها، وعَذَّب المؤمنين عذابًـا أليمًا، وقـتل السيدة سـميـة بنت خياط أم عـمار بن ياسـر بحربة فى أحشائها، وعذب عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عذابًا شديدًا، ولم يقف هذا الطاغية عند هذا الحد، ولكنه لم يألوا جهدًا فى محاولة إطفاء نور الإسلام، والقضاء على الدولة الإسلامـية الناشئة ومحـاولة إذلال المسلمين، فهو الذى استنـفر المشركين لحرب المسلمين، وخرج على رأس ألف مقاتل بعتـادهم وعدتهم وقال قولته المشهورة «والله لا نرجعَ حتى نرد بدرًا - فنقيم ثلاثًا، فننحـر الجزور، ونطعم الطعام، ونُسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العـرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً » قـال هذا الكلام عندمـا حاول أبو سـفيـان بن حـرب أن يصرفـهم عن قتـال

---

(١) أقر: اعترف .

(٢) رواه البخارى(٥٢٩٥)، ومسلم(١٦٧٢) وغيرهما. الصحيح من قصص النبى(جـ ٦ ص٦٠) .

المسلمين، لما سلِمتْ تجارته من أيدى المسلمين، ولكن أبا جهل أصر على العدوان، ونفخ نفسه، كما قال القرآن: ﴿ **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط * وإذ زيَّن لهم الشيطان أعمالهم** . . . ﴾ الآيات [الأنفال: ٤٧، ٤٨] .

ولما علم النبى ﷺ بذلك، تحرك فى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه، وبدأ القتال كما حكت السيرة وسطر المسلمون أروع ملاحم البطولة والفداء، وتساقطت رءوس المشركين على الأرض تحت ضربات أهل الإيمان، ونزلت الملائكة لتشارك الموحدين من أصحاب محمد ﷺ فى صنع الانتصار كما صور القرآن ذلك .

ونقتطف مشهداً من مشاهد الغزوة، المشهد الخاص بأبى جهل .

روى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ قال: إنى لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن، فكأنى لم آمن لمكانهما إذا قال لى أحدهما سراً من صاحبه: يا عم، أرنى أبا جهل. فقلت: يا ابن أخى، ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه - وقال لى الآخر سراً من صاحبه مثله. قال: فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين، حتى ضرباه وهما ابنا عفراء. وياليتنا نربى أطفالنا على هذه العزة، ونغرس فيهم روح الجهاد فى سبيل الله تعالى، وحب لقاء الله والإشتياق للجنة، بدلاً من تربيتهم على التقليد الأعمى للغرب، مع طمس هويتنا، ومعالم ديننا .

وفى الصحيحين من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « من ينظر ماذا صنع أبو جهل؟ » قال ابن مسعود أنا يا رسول الله فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء، حتى برد. قال: فأخذ بلحيته - قال: فقلت: أنت أبو جهل؟ قال الحافظ فى الفتح[١]: والتقدير أنت المقتول يا أبا جهل؟ وخاطبه بذلك مَقِّرعًا له ومستشفيًا منه، لأنه كان يؤذيه بمكة أشد الأذى. فقال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو قال: قتله قومه،

---

(١) فتح البارى (٧/ ٣٤٢) .

وعند البخارى: عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال: هل أخزاك الله؟ فقال: هل أعمد من رجل قتلتموه .

وعن ابن إسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال: انتهيت إلى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة، ومعه سيف جيد، ومعى سيف ردئ فجعلت أنفق رأسه بسيفى (أنفق: أى أضرب)، وأذكر نقفًا كان ينقف رأسي بمكة، حتى ضعفت يده، فأخذت سيفه، فرفع رأسه فقال: على من كانت الدائرة لنا أو علينا؟ أو لست رويعينا بمكة[١]؟ قال: فقتلته ثم أتيت النبى ﷺ فقلت: قتلت أبا جهل - فقال: (آلله الذى لا إلٰه إلا هو؟ فاستحلفنى ثلاث مرات، ثم قام معى إليهم فدعا عليهم)[٢] .

❊ عذابه فى القبر لعنه الله :

(١) خرَّج الطبرانى من طريق عبد الله بن محمد بن المغيرة - وهو ضعيف - عن مالك بن مغول عن نافع عن ابن عمر قال: بينما أنا أسير بجنبات بدر إذ خرج رجل من حفرة إلى حفرة فى عنقه سلسلة فنادى يا عبد الله اسقنى. . . . فأتيت النبىّ ﷺ مسرعًا فأخبرته فقال: « أو قد رأيته؟ » فقلت: نعم. قال: « عدو الله أبو جهل وذلك عذابه إلى يوم القيامة »[٣] .

(٢) وخرّج ابن أبى الدنيا من طريق خالد عن الشعبى أن رجلاً قال للنبى ﷺ إنى مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب فى الأرض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مرارًا فقال رسول الله ﷺ: « ذلك أبو جهل ابن هشام يعذب إلى يوم القيامة »[٤] .

وصدق ربنا سبحانه: ﴿ **وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربِّه ولعذاب الأخرةِ أشدُّ وأبقى** ﴾ [طه:١٢٧] .

❊ ❊ ❊

(١) رويعنا: تصغير لراعى (وكان عبد الله بن مسعود يرعى غنما لهم بمكة) .

(٢) الجزاء من جنس العمل (جـ ١ صـ ٢٤٨ وما بعدها) نقلاً عن البداية والنهاية .

(٣،٤) أهوال القبور لابن رجب (صـ ٦٣) وذكرهما الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/ ٥٧) وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه عبد الله بن محمد بن المغيرة وهو ضعيف .

(٣١) جزاءُ المفسدين في الأرض

عن سعيد بن أبى عروبة عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رهطًا من عكل وعرينة أتَوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود أن يخرجوا فيها فليشربوا من ألبانها وأبوالها، فقتلوا راعى رسول الله ﷺ واستاقوا الذود فبعث رسول الله عليه السلام فى آثارهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وثمل(١) أعينهم فتركوا فى الحرة حتى ماتوا على حالهم .

قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فيهم :

﴿ إنما جزاءُ الذين يحاربون الله ورَسولَهُ ويسَعْون فى الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأَرجُلُهُم من خلاف أو يُنْفَوْا من الأرض ذلك لهم خزىٌ فى الدنيا ولهم فى الآخرة عِذابٌ عظيمٌ * إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤] والحديث رواه مسلم .

قال ابن عباس فى قطاع الطريق: « إذا قَتلوا وأخذوا المال قُتلوا وصُلِبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال. قُتِلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يَقْتُلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نُفوا من الأرض » واختلفوا: هل يصلب حيًّاً ويترك حتى يموت بمنعه من الطعام والشراب، أو يقتل برمحٍ أو نحوه، أو يقتل أولاً ثم يصلب تنكيلاً وتشديداً لغيره من المفسدين، وهل يصلب ثلاثة أيام ثم يترك أو تبرك حتى يسيل صديده؟ فى ذلك كله خلاف(٢).

* * *

---

(١) ثَمَل: أى فقأ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٨١

(٣٢) نهاية العاص بن وائل « المكذب بالبعث »

قال تعالى: ﴿ **ويقول الإنسان إذا ما مت لسوف أخرج حيًّا * أولا يذكر الإنسانُ أنا خلقناه من قَبْلُ ولم يكُ شيئًا * فوربِّك لنحشرنهم والشياطين * ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا** ﴾ [مريم: ٦٦-٦٨] .

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ أيحيي الله هذا بعد ما أرم[١] فقال رسول الله ﷺ: « **نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم** » قال: ونزلت الآيات من آخر يس[٢] .

قلت: ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى تطاول فيها هذا الكافر على قدرة الله، فقد روى البخارى وغيره عن مسروق عن خباب (بن الأرت) قال: كنت قينًا[٣] فى الجاهلية، وكان لى على العاص بن وائل دَيْن فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث، قال: دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالاً وولدًا فأقضيك[٤] فنزلت: ﴿ **أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولدًا * أطَّلَعَ الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدًا. . .** ﴾ [مريم: ٧٧-٧٨] .

قال ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ **أم اتخذ عند الله عهدًا** ﴾ قال: لا إله إلا الله يرجو بها. والمعنى : أم اتخذ عند الله عدًا؟ أم قال لا إلـه إلا الله فأرحمه بها ، وقيل المعنى: أم قَدّم عملاً صالحًا فهو يرجوه: ﴿ **كلا سنكتبُ ما يَقُول ونَمُد له مِنَ العَذَابِ مَدًّا** ﴾ [مريم:٧٩] .

---

(١) أرم: من الرحيم: أى تفتت وتحلل وبَلىَ .

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم فى المستدرك (جـ ٢ صـ ٤٢٩) من طريق عمرو بن عون عن هشيم به وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وانظر الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ/ مقبل الوادعى (ص ١٧٤) .

(٣) أى يعمل بصناعة السيوف .

(٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى وقال: حديث حسن صحيح وغيرهم .

* آيات وأحاديث تتكلم عن البعث :

الآيات والأحاديث التى تتكلم عن بعث الأجساد بعد موتها كثيرة يضيق المقام عن حصرها منها :

قال تعالى : ﴿ **ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** ﴾ [الزمر:٦٨] .

وقال تعالى : ﴿**إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون**﴾ [يس:٥١].

وقال تعالى : ﴿**أيحسب الإنسان ألَّن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوى بنانه**﴾ [القيامة: ٣-٤] .

وقال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع . . وأول مشفع » رواه مسلم[1] .

وقال ﷺ : « إنكم محشورون حفاة عراة غرلا » ثم قرأ: ﴿ **كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين** ﴾[2] [الأنبياء:١٠٤] .

« تقتضى حكمة الله وعدله أن يبعث الله عباده ليجزيهم بما قدموا، فالله خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الطريق الذى يعبدونه به، فمن العباد من استقام على طاعة الله، وبذل نفسه وماله فى سبيل ذلك، ومنهم من رفض الاستقامة على طاعة الله، وطغى وبغى، أفيليق بعد ذلك أن يموت الصالح والطالح ولا يجزى الله المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته » ﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين. مالكم كيف تحكمون** ﴾[3] [القلم: ٣٥-٣٦] .

« إن الكفرة الضالين هم الذين يظنون أن الكون خلق عبثًا وباطلاً لا لحكمة، وأنه لا فرق بين مصير المؤمن المصلح والكافر المفسد، ولا بين مصير التقى والفاجر . ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويلٌ للذين كفروا من النار**﴾[4] [ص: ٢٧] .

---

(١) كتاب فضل نسب النبى ﷺ (٤/ ٢ -١٧٨).

(٢) إسناده صحيح : متفق عليه .

(٣, ٤) القيامة الكبرى د/ عمر الأشقر (صـ ٨٦) .

(٣٣) رفض أمر النبي ﷺ فَشُلَّتْ يدُه

روى مسلم فى صحيحه عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال "أى النبى ﷺ": كل بيمينك. قال: لا أستطيع. قال "أى النبى ﷺ": لا استَطعتَ. ما منعه إلا الكِبْر: قال: فما رَفعَها إلى فيه.

قلت: شُلْت يده بسبب التكبر على سنة رسول الله ﷺ، وبسبب دعاء النبى عليه، ولو كان الأكل باليمين واتباع النبى بالأمر الهين لما استحق هذا الرافض لأمر النبى ﷺ هذه الدعوة التى شُلَّتُ يدهُ بسببها فتأمل، وهذا الحديث يبين أهمية السنة فى الإسلام، ويحذر من إهمالها أو التهاون فى تطبيقها، أو الحط من شأنها كما يحدث فى عصرنا ممن ينعقون ليل نهار بالسخرية منها، ويضعون تطبيقها حجر عثرة فى طريق الدعوة!! « سبحانك هذا بهتان عظيم » وهذا الحديث المتقدم يضرب على أيدى هؤلاء العابثين الذين رفضوا صورة النبى ﷺ، وتشبهوا بالأجانب فى زيهم وأكلهم، وشربهم وكان هَدْيِ الكفار أقرب إلى قلوبهم من هدى نبيهم فإلى الله المشتكى.

* تعظيم الاسلام لشأن السُّنَّة :

(١) قال تعالى: ﴿ ... **فليحذر الذين يخالِفُون عن أمرِه أن تُصيبَهم فتنةٌ أو يصيبهم عذابٌ أليم** ﴾ [النور: ٦٣].

(٢) وقال تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧].

(٣) وأخرج الترمذى عن أنس بن مالك - رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: « يا بنى! إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل، ثم قال يا بنى : وذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة » والأدلة على ذلك كثير وفيما قدمنا كفاية لمن أراد الهداية.

* تعظيم السلف لأمر السُّنَّة :

(١) قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى -: « لا رأى لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ » [إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٢٨٢)].

(٢) وعن أبى قلابة قال: « إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله فاعلم أنه ضال » [طبقات ابن سعد (٧/ ١٨٤)] .

(٣) وقال أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ : «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به وإنى لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ» علق ابن بطة على هذا بقوله: «هذا يا إخوانى الصِّدِّيق يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه ﷺ. فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته. نسأل الله العصمة من الزلل والنجاة من سوء العمل »[١] .

(٤) وقال الإمام الذهبى: « إذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد وهات العقل فاعلم أنه أبو جهل»[٢] .

(٥) وقال الشافعى: «أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد»[٣] .

(٦) وقال أحمد بن حنبل: «من رد حديث النبى ﷺ فهو على شفا هلكة» [طبقات الحنابلة (٢/ ١٥)] .

(٧) ذكر الحافظ فى الفتح : «أن ابن عبد البر قد أخرج بسند جيد عن أبى داود (صاحب السنن) أنه كان فى سفينة فسمع عاطسًا على الشط حمد[٤]، فاكترى[٥] قاربًا بدرهم، حتى جاء إلى العاطس فشمته ثم رجع، فسئل عن ذلك، فقال: لعله يكون مجاب الدعوة، فلما رقدوا سمعوا قائلاً يقول فى أهل السفينة: إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم»[٦].

---

(١) تعظيم السنة وموقف السلف ممن عارضها أو استهزأ بشىء منها لعبد القيوم السجيبانى (ص ٢٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٢) .
(٣) أعلام الموقعين (٢/ ٢٨٢) .
(٤) حَمِدَ: أى حمد الله تعالى بعد عطاسه .
(٥) أكترى: استأجر .
(٦) السلوك الأجتماعى للشيخ/ حسن أيوب (ص ٣٦٢) مكتبة القدس نقلاً عن فتح البارى .

(٨) لَمَّا حضرت أبا بكر الشبلى[١] الوفاةُ قال لخادمة: قد كان علىَّ درهم مظلمة فتصدقت عن صاحبه بألوف، ومع هذا ما على قلبى شغل أعظم منه - ثم أمره بأن يوضئه فوضأه وترك تخليل لحيته - فرفع الشبلى يده - وقد كان اعتقل لسانه[٢]. فجعل يخلل لحيته .

قلت: فانظر رحمك الله إلى مدى حرص هذا العبد الصالح على أدب من آداب الإسلام وهو أدبَ تخليل اللحية، ولا ينساه حتى عند لحظات الاحتضار فتأمل .

(٩) عن سالم بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها». قال: فقال بلال بن عبد الله. والله لنمنعهن. قال فأقبل عليه عبد الله فسبه سبًا سيئًا ما سمعته سبه مثله قط .

وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن[٣] وفى بعض الروايات أن ابن عمر - رضى الله عنه - خاصمه فلم يكلمه إلى أن مات!! فانظر رعاك الله، كيف كانوا يوقرون كلام نبيهم ويحترموا أوامره، ويغضبوا إذا انتهكت، وقارن بين ما كانوا عليه وبين هذا الزمان!!

* حكم الإسلام فيمن سَخِرَ واستهزأ بشيءٍ من الدين :

قال الإمام الذهبى - رحمه الله تعالى -:

(فائدة): فيها من كلام الناس ما هو كفر، صرحت به العلماء منه. ما لو سَخِرَ باسم من أسماء الله، أو بأمره أو وعده أو عيده، كفر ولو قال: لو أمرنى الله بكذا ما فعلت، كفر، ولو صارت القبلة فى هذه الجهة ما صليت إليها، كفر. ولو قيل له: لا تترك الصلاة فإن الله يؤاخذك فقال: لو آخذنى بها ما فىّ من المرض والشدة لظلمنى كفَرَ، ولو قال: لو شهد عندى الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت، كفر. ولو قيل له: قلم أظافرك فإنها سنة، فقال: لا أفعل وإن كانت سنة، كفر. ولو قال: فلان فى

---

(١) أحد مشايخ الصوفية، من شبلة بخراسان، كان من أئمة القوم، ذكر له أحوال وكرامات وترجم عليه الإمام ابن كثير (انظر ترجمته والقصة المذكورة فى البداية والنهاية (صـ٢٧٧ - ٢٧٨) المجلد (٦).

(٢) اعتقل لسانه أى: وقف عن الحركة والكلام لشدة الاحتضار .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه .

عيني كاليهودي[(١)]. كفر. ولو قال: إن الله جلس للإنصاف أو قام[(٢)] للإنصاف، كفر. وجاء في وجه، ومن قال لمسلم: لا ختم الله لك بخير، أو سلبك الإيمان كفر. وجاء أيضًا: أن من طلب يمين إنسان، فأراد أن يحلف بالله، فقال: أريد أن تحلف بالطلاق، كفر. ولو قال: لو كان فلان نبيًا ما آمنت به، كفر، ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالاً كفر، ولو قال: لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغنى من جوع، كفر، ولو قال: لا أخاف القيامة كفر، ولو جلس على مكان مرتفع، تشبيهًا بالخطيب، فسألوه المسائل وهم يضحكون، أو قال أحدهم: قصعة ثريد خير[(٣)] من العلم، كفر. ولو ابتلى بمصائب فقال: أخذت[(٤)] مالي وولدى وماذا تفعل؟ كفر. ولو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل: ألست بمسلم؟ فقال: لا - متعمدًا - كفر، ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم، كفر. ولو قال: النصراني خير من المجوس، كفر[(٥)]...

ثم قال الذهبي: «ويخشىَ على العبد بها سلب الإيمان والخلود في النار[(٦)].

* * *

(٣٤) مَصْرَعُ مُسيلمةَ الكذَّاب

قال تعالى: ﴿ **ويوم القيامة ترى الذين كَذَبوا على الله وجوهُهم مُسْوَدَّةٌ أليس في جَهَنَّمَ مثوىً للمتكبرين** ﴾ [الزُّمَر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ **ومن أظْلَمُ ممَّن افترى على الله كَذِبًا أو قال أُوحِيَ إلىَّ ولم يُوحَ إليه شيءٌ وَمَن قال سأُنزِلُ مِثلَ ما أنزل الله...** ﴾ [الأنعام: ٩٣].

---

(١) وكان هذا الرجل مسلمًا.

(٢) لأنه شبه الله تعالى بمخلوقاته، فقال: قام وجلس، مما لم يرد به نص صريح.

(٣) فيه إشارة إلى توقير العلم والعلماء وعدم ازدرائهم والاستخفاف بهم فتنبه.

(٤) أي: مخاطبًا ربه.

(٥) **قلت:** لعله يقصد أن النصارى كانوا أصحاب كتاب سماوي وهو الأنجيل أما المجوس فليست لهم رسالة سماوية.

(٦) انظر كتاب الكبائر للذهبي (الكبيرة ٤١ - التكذيب بالقدر) بتصرف يسير.

وقال تعالى: ﴿ **ومن أظلمُ ممن افترى على الله كذبًا أولئك يُعرضون على ربهم ويقول الأشهادُ هؤلاء الذين كَذَبُوا على ربهم ألا لعنةُ الله على الظالمين** ﴾ [هود:١٨].

مسيلمة الكذاب، هو كذاب اليمامة، ادعى النبوة فى عهد رسول الله ﷺ فشانه الله وفضحه بكذبه، ثم أخذ يهذى بكلمات تثير الضحك والسخرية وادعى أنها قرآنا من السماء!! مثل :-

« يا ضفدع بنت الضفدعين، نقى لكم نقين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، رأسك فى الماء وذنبك فى الطين » .

« والمبذرات زرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا، إهالة وسمنًا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر،رفيقكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والناعى فواسوه».

« والفيل، وما أدراك ما الفيل، له زلوم طويل ».

« والليل الدامس، والذئب الهامس. . . » إلى آخر هذا الهراء السخيف .

وفد عمرو بن العاص فى أيام جاهليته على مسيلمة، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم فى هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وما هى؟ قال: أنزل عليه « والعصر. . . » قال: ففكر مسيلمة ساعة، ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل علىَّ مثلها، فقال له عمرو: وما هى؟ فقال مسيلمة: « يا وبر يا وبر، إنما أنت إيراد وصدر، وسائرك حفر نقر. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله، إنك لتعلم أنى أعلم أنك تكذب» .

وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبه بالنبى ﷺ، بلغه أن رسول الله ﷺ بصق فى بئر فغزر ماؤه، فبصق فى بئر فغاض ماؤه بالكلية، وفى أخرى فصار ماؤه أجاجًا. وتوضأ وسقى بوضوئه نخلاً فيبست وهلكت .

وأتى بولدان يبّرك عليهم فجعل يمسح رؤوسهم، فمنهم من قرع رأسه، ومنهم مَنْ لثغ لسانه .

ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع فى عينيه فمسحهما فَعَمِى .

قدم هذا اللعين المدينة وافدًا إلى رسول الله ﷺ، وقد وقف عليه رسول الله

ﷺ، فسمعه وهو يقول: إن جعل لى محمد الأمر من بعده اتبعته. فقال له: لو سألتنى هذا العود - لعرجون فى يده - ما أعطيتكه، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، إنى لأراك الذى أريت فيه ما أريت. وكان رسول الله ﷺ قد رأى فى المنام كأن فى يديه سوارين من ذهب، فأهمه شأنهما، فأوحى الله إليه فى المنام: انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولهما بكذابين يخرجان، وهما صاحب صنعاء[١]، وصاحب اليمامة، وهكذا وقع فإنهم ذهبا وذهب أمرهما، أما الأسود فذبح فى داره، وأمّا مسيلمة فعقره الله على يدى وحشى بن حرب، رماه بالحربة فأنفذه كما تعقر الإبل، وضربه أبو دجانة على رأسه ففلقه، وذلك بعقر داره فى حديقة الموت[٢]، وقد قتل قبله وزيراه: محكم ابن الطفيل، والرّجال بن عتفوة.

روى البخارى أن مسيلمة كتب إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم.

من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك.

أما بعد.. فإنى قد أشركت معك فى الأمر، فلك المدر ولى الوبر- ويروى فلكم نصف الأرض، ولنا نصفها ـ ولكن قريشًا قوم يعتدون.

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب.

سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: « فإن الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ».

لما مات. رسول الله ﷺ زعم أنه استقل بالأمر من بعده، واستخفّ قومه فأطاعوه، فلم يمهله الله بعد وفاة رسوله ﷺ، حتى سلّط الله عليه سيفًا من سيوفه، وحتفًا من حتوفه، فَعجّ بطنه، وفلق رأسه، وعَجّل الله بروحه إلى النار، فبئس القرار[٣].

---

(١) هو: الأسود العَنَسى لعنه الله.

(٢) كان ذلك فى موقعة اليمامة.

(٣) البداية والنهاية [٦/ ٣٤٥].

(٣٥) مصرع حُيِيٍّ بن أخطب « زعيم يهود بني النصير »

حُـيَيٍّ بن أخطب: هو رأس الأفعى اليـهودى - زعـيم يهـود بني النضيـر الذين حاولوا قتل رسول الله ﷺ بإلقاء صخرةٍ عليه، ولكنَّ الله أوهن كيد الكافرين، ونَجَّى رسوله الأمين، فأجـلاهم النبى ﷺ عن المدينة بعد أن قطع نخيلهم، وحـرق بيوتهم كما قال تعالى: ﴿ **ما قطعتم من لينة أو تركـتموها قائمة على أصولها فـبإذن الله وليخزى الفاسقين** ﴾ [الحشر: ٥] .

ولم تقرَّ أعينهم بعد الجـلاء فوصلـوا حبالهم بالقبائل المجـاورة وسَعَوْا بكل حيلة أن يشاركـوا فى استئـصال شأفة المسلـمين، وعلى رأسهم اليهـودى اللعين « حُيِيٍّ بن أخطب »، والذى كان سـببًا فى نقض العهـد الذى أُبرم بين النبى ﷺ وبين يهود بنى قريظة والذى نَصّ عـلى الدفاع المشتـرك عن المدينة عند اعتـداء أيّ عدو ـ وذلك في غزوة الخندق ـ ولما حكم الله تعالى في يهود بني قريظة بقتل رجالهم وسلب أموالهم، وسبى ذراريهـم، كان هذا اللعين فى حـصونهم يقوى شـوكتـهم، ويشحـذ هممهم. فأخرجهم النبى ﷺ أرسالاً - أى طائفة بعد طائفة - فضرب أعناقهم -- وكانوا ما بين الثمانمائة والتسعمائة[١] - فلم يزل ذلك الـدأب حـتى فـرغ منهم. وأُتى بُـحَيىّ بن أخطب وعليه حُلّة له فقاحية[٢] قد شقهـا عليه من كل ناحية قد أنمله، لئـلا يُسْلَبها، ومجموعـة يداه إلى عنقه بَحبْل. فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قـال: «أمّا والله ما لمتُ نفسى فـى عداوتك، ولكنه من يُخْـذَلِ اللهَ يَخْذُلَ. ثم أقـبل على الناس فقـال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقَدَر وملحمـة، كتبها الله على بنى إسرائيل. ثم جلس فضربت عنقه » .

فقال جبل بن جوّال الثعلبى[٣] :

---

(١) البداية والنهاية [٣/ ٢٧٨] ط. دار الفكر .

(٢) فقاحية: أى تميل إلى الحمرة .

(٣) هو: ابن جوال من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وكان يهوديًا فأسلم، وكانت له صحبة. (راجع الروض والاستيعاب) .
وانظر القصة فى البداية والنهاية (٣/ ٢٨١) .

لَعَمْرُكَ مَا لاَمَ ابْنُ أَخْطَب نَفْسَهُ وَلكنَّـــهُ مــنَ يَخْذُل اللهَ يُخْذَلِ

لجَاهــدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَفْسَ عُذْرَهَا وَقَلْقَــل يَبْغى العِزَّ كُلَّ مُقَلْقَلِ

قلت: وهذه حيل اليهود فى كل عصر، والواقع خير شاهد .

قال الشيخ/ محمد الغزالى :

« ومسلك بنى إسرائيل بإزاء المعاهدات التى أمضوها قديمًا وحديثًا يجعلنا نجزم بأن القوم لا يدعون خستهم أبدًا، وأنهم يرعون المواثيق ما بقيت هذه المواثق متمشية مع أطماعهم ومكاسبهم وشهواتهم، فإذا وقفت تطلعهم الحرام نبذوها نبذ النواة، ولو تركت الحَميرُ نهيقها، والأفاعى لدغها، ترك اليهود نقضهم للعهود. وقد نبه القرآن إلى هذه الخصلة الشنعاء فى بنى إسرائيل، وأشار إلى أنها أحالتهم حيوانًا لا أُناسى، فقال :

﴿ إن شَرَّ الدوابّ عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون * الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرةٍ وهم لا يتقون ﴾[1] ا. هـ [الأنفال: ٥٥، ٥٦] .

* * *

(٣٦) أصابتني دعوةُ سعد

عن جابر بن سُمرة رضى الله عنه: شكى أهل الكوفة سعدًا - يعنى سعد بن أبى وقاص - إلى عمر- أى ابن الخطاب - رضى الله عنه، فَعَزَله، واستعمل عليهمَ عمَّارًا رضى الله عنه. فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن الصلاة[2]، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن الصلاة .

قال سعد: أمَّا أنا، والله، فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلى صلاة العشاء، فأركد فى الأولين، وأخف فى الأخرين .

قال عمر: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق .

---

(١) فقه السيرة (ص ٣٢٤ ، ٣٢٥) .

(٢) أى لا يصلى كما أمر النبى ﷺ!! وهذا غاية الافتراء والاجتراء على هذا الصحابى الجليل .

فأرسل معه رجلاً أو رجالاً إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدًا لبنى عبس، فقال رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة، يُكنّى: أبا سعدة، قال: إذ نشدتنا، فإن سعد كان لا يسير بالسرية - أى لا يسير مع الجيش للقتال - ولا يقسم بالسويَّة، ولا يعدل فى القضية .

قال سعد: أما - والله - لأدعونَّ بثلاث :

اللهَّم إن كان عبدك كاذبًا وقام رياءً وسمعةً، فأطِلْ عمره، وأطِلْ فقره، وعرضه للفتن .

قال: فكان بعد ذلك إذا سئل، يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتون، أصابتنى دعوةُ سعد .

قال عبد الملك بن عُميْر: فأنا رأيته بعد أن سقط حاجباه على عينيه من الكبَر، وإنَّه ليتعرَّض للجوارى فى الطُّرق يغمزهنَّ[1] .

* * *

(٣٧) جعل الله قبرها تحت قدمها

فى زمن بنى أمية وقعت لسعيد بن زيد - أحد العشرة المبشرين بالجنة - حادثة ظل أهل يثرب يتحدثون بها زمنًا طويلاً .

ذلك أن أُروى بنت أويس زعمت أن سعيد بن زيد قد غصب شيئًا من أرضها وضمها إلى أرضه، وجعلت تلوك ذلك - أى تردد ذلك - بين المسلمين وتتحدث به، ثم رفعت أمرها إلى مروان بن الحكم والي المدينة، فأرسل إليه مروان أناسًا يكلمونه فى ذلك، فصعب الأمر على صاحب رسول الله، وقال :

يروننى أظلمها!! كيف أظلمها؟! وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من ظلم شبرًا من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرَضَين »[2]. اللهم إنها قد زعمت أنى ظلمتها، فإن كانت كاذبة، فأعم بصرها وألقها فى بئرها الذى تنازعنى فيه، وأظهر من حقى نورًا يُبيِّن للمسلمين أنى لم أظلمها. فلم يمض على ذلك غير قليل، حتى

---

(١) خبر صحيح: رواه البخارى ومسلم والبيهقى .

(٢) حديث صحيح: رواه مسلم فى كتاب المساقة، باب: تحريم الظلم .

سال العقيق(١) بسيل لم يَسِيل مثله قط، فكشف عن الحَدِّ الذى كانا يختلفان فيه، وظهر للمسلمين أن سَعِيدًا كان صادقًا. ولم تَلْبث المرأة بعد ذلك شهرًا حتى عميت، وبينا هى تطوف فى أرضها تلك، سقطت فى بئرها .

قال عبد الله بن عمر : فكنا ونحن غلمان نسمع الإنسان يقول للإنسان : أعماك الله كما أعمى الأروى .

* * *

(٣٨) هتك الله ستره وقطع يده

جاء فى كتاب « البداية والنهاية » للحافظ ابن كثير - رحمه الله - :

« أن أعين بن ضبيعة المجاشعى اطلع فى الهودج - أى على السيدة عائشة رضى الله عنها أيام موقعة الجمل يريد أن ينظر إليها، وكان من أرباب الفتن - فقالت: إليك لعنك الله، فقال: والله ما أرى إلاّ حميراء، فقالت: هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عودتك. فقتل بالبصرة وسُلب وقطعت يده ورمى عريانًا فى خربة من خرابات الأزد »(٢) .

ومن أحسن ما قيل :

وإذَا رُمَيْتَ من الزَّمَانِ بِشدَّةٍ ... وأصَابَك الأمْرُ الأَشقُّ الأَصْعَب
فاضْرَع لِربِّك إنَّهُ أدْنَى ... لِمَنْ يَدْعُوه مِنْ حَبْلِ الوَرِيد وأَقْرَب
واحْذَرْ من المَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا ... واعْلَم بأنْ دعاءَه لا يُحْجَب

* * *

(١) العقيق: وادٍ فى المدينة يجرى فيه السيل .
(٢) البداية والنهاية (٥/ ٣٤١) ط. دار الفكر .

(٣٩) من رآني فلا يظلمن أحدًا

« مما حُكى »[١] :-

قال بعضهم: رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادى: من رآنى فلا يظلمن أحدًا. فتقدمت إليه فقلت له: يا أخى ما قصتك؟ قال: يا أخى قصتى عجيبة وذلك أنى كنت من أعوان الظلمة فرأيت يومًا صيادًا وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتنى، فجئت إليه فقلت: أعطنى هذه السمكة؛ فقال: لا أعطيكها أنا آخذ بثمنها قوتًا لعيالى، فضربته وأخذتها منه قَهْرًا، ومضيت بها - قال: فبينما أنا أمشى بها حاملها إذا عضت على إبهامى عضة قوية فلما جئت بها إلى بيتى وألقيتها من يدى ضربت علىّ إبهامى وآلمتنى ألمًا شديدًا حتى لم أنم من شدة الوجع والألم وورمت يدى، فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم فقال: هذه بدء الأكلة[٢]!! اقطعها وإلا نقطع يدك[٣]، فَقَطَعْتُ إبهامى، ثم ضربت علىّ يدى فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم، فقيل لى اقطع كفك فقطعتُه، وانتشر الألم إلى الساعد وآلمنى ألمًا شديدًا ولم أطق القرار[٤] وجعلت أستغيث من شدة الألم، فقيل لى: اقطعها إلى المرفق فقطعتها، فانتشر الألم إلى العضد، وضربت علىّ عَضُدى أشد من الألم الأول، فقيل: اقطع يدك من كتفك، وإلاّ سَرَى إلى جسدك كلّه، فقطعتها. فقال لى بعض الناس: ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة، فقال لى: لو كُنْتَ رجعت فى أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضوًا فاذهب الآن إليه واطلب رضاه، قبل أن يصل الألم إلى بدنك. قال: فلم أزل أطلبه فى البلد حتى وجدته فوقعت على رجليه أقبلها[٥] وأبكى وقلت له: يا سيدى سألتك بالله إلا عفوت عنى. فقال لى: ومن أنت؟

---

(١) ذكرها الإمام الذهبى فى كتابه « الكبائر » (ص ١٢٤)، كبيرة رقم (٢٦)، وابن حجر فى الزواجر (٢/ ٢٤).

(٢) الآكلة: داء فى العضو يتآكل منه [انظر ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح ١/ ١٦٥].

(٣) فى الزواجر: هذه بدو أكله اقطعها وإلا تلفت يدك كلها (٢/ ١٢٤).

(٤) فى الزواجر: فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم.

(٥) فى الزواجر: « على رجليه أقبلهما » (٢/ ١٢٥).

قلت: أنا الذى أخذت منك السمكة غَصْباً وذكرت ما جرى وأريته يدى فبكى حين رآها ثم قال: يا أخى قد أحللتك(١) منها لما رأيته بك من هذا البلاء. فقلت: يا سيدى بالله هل كُنْتَ قد دَعَوْتَ عَلىَّ لَمّا أخذتهاُ؟ قال: نعم. قلت: « اللَّهُمَّ إنَّ هذا تقوّى علىّ بقوّته على ضَعْفِى على ما رزقتنى ظُلْمًا فأرنى قدرتَكَ فيه » .

فقلت: يا سيدى قد أراك الله قدرته فىَّ وأنا تائب إلى الله عزّ وجل عَمَّا كنت عليه من خدمة الظلمة ولا عُدْتُ أقف لهم على باب، ولا أكون من أعوانهم ما دُمْتُ حياً إن شاء الله » .

قلت: وفى القصة تحذير شديد لمن أعان ظالمًا، وأن دعوة المظلوم مجابة .

قال عبد الله بن سلام(٢): « إن الله تعالى لَمّا خلق واستووا على أقدامهم رفعوا رءوسهم إلى السماء، وقالوا: يا رب مع مَنْ أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدّى إليه حقه .

وقال مكحول الدمشقى(٣): « ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم؟ فما يبقى أحدٌ مَدَّ لهم حِبرًا أو حَبَّر لهم دواة أو بَرى لهم قَلَمًا فما فوق ذلك إلا حضر معهم، فيجمعون فى تابوت من نار فيلقون فى جهنم » .

* * *

(٤٠) [يري جبلين من نار عند الموت!!]

عن « مالك بن دينار »(٤) قال: دخلتُ على جَارٍ لى وقد نزل به الموتُ، وهو يقول: جبلين من نار، جبلين من نار. قلتُ: ما تقولُ؟ قال: يا أبا يحيى كان لى مكيالان كُنتُ أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر. وقال مالك بن دينار: فقمت فجعلت

(١) أحللتك: أى سامحتك وعفوت عنك فأنت فى حِلّ .

(٢) عبد الله بن سلام: من الخزرج، ومن أحبار اليهود الذين أسلموا، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، أسلم عند قدوم النبى ﷺ المدينة، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس، ومات بالمدينة سنة ٤٣ هـ [التفسير والمفسرون للدكتور الذهبى] .

(٣) مكحول الدمشقى: مفتى أهل دمشق وعالمهم (الميزان ٤/ ١٧٧) .

(٤) مالك بن دينار: الولى المشهور، ذو الإيمان الوثيق، والورع الدقيق، كان عالمًا زاهدًا ورعًا، لا يأكل إلا من كسبه، توفى سنة ١٢٧ هـ وقيل غير ذلك [تهذيب التهذيب ١٠/ ١٤] .

أضرب أحدهما بالآخر، فقال: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالآخر إزداد الأمر عظمًا وشدة، فمات فى مرضه »[١] .

إن النبى ﷺ خشى من ظهور نقص المكيال والميزان فى هذه الأمة لأن ظهوره من أسباب الدمار الاقتصادى وحلول الظلم .

قال ﷺ: « يا معشر المهاجرين! خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم، ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم »[٢] فاعتبروا أيها الناس، فإن الجزاء من جنس العمل .

* * *

(٤١) لسان الميزان يقف على لساني

قال بعض السلف: « أشهد على كل كيال أو وزّان بالنار، لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله »[٣] .

وقال بعضهم[٤]: دخلت على مريض وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها! فلما أفاق قلت له: يا أخى مالى ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها؟ قال: يا أخى: « لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها » .

فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصًا؟ قال: لا والله، ولكن ما كنت أقف مُدّة

---

(١) روها الإمام الذهبى فى كتابه « الكبائر » (صـ ٢٧٦)، وابن حجر فى «الزواجر» (١/ ٢٤٦) .

(٢) حديث حسن: رواه ابن ماجة، وأبو نعيم فى الحلية وقال البوصيرى فى الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به ، ورواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ووافقة الذهبى ، وقال الألبانى : « حسن » [الصحيحة/ ١٠٦] .

(٣، ٤) من كتاب الكبائر للإمام الذهبى (صـ ٢٧٦ ، ٢٧٧) تحقيق عبد المحسن البزّار .

لأختبر ميزاني. فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه، فكيف حال من يزن ناقصًا؟! .

قلت: وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ **ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليومٍ عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ [المطففين: ١-٦] .

قال ﷺ: « ويل: وادٍ في جهنم، يهوى الكافر فيه أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره »[١] .

وقال بعض السلف: « ويل لمن يبيع بحبة[٢] يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات والأرض، وويح لمن يشترى الويل بحبة يأخذها زائدة »[٣] .

وكان السلف الصالح يعدون الأمانة فى البيع والشراء من أفضل العبادات .

نظر الفضيل إلى ابنه وهو يغسل بضاعة قبل وزنها حتى لا يزيد وزنها على المشترى. فقال له: [فعْلُك هذا أفضل من حَجْتِين وعشرين عُمْرة]، وذلك لأن الدين المعاملة .

* * *

(٤٢) ذُبح في المنام

ذكر ابن القيم[٤] عن القيروانى أنه ذكر فى كتاب « البستان »: عن بعض السلف، قال: كان لى جار يشتم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، فَلَمَّا كان ذات يوم أكثر من شتمهما فتناولته وتناولنى فانصرفت إلى منزلى وأنا مغموم حزين فنمت وتركت العَشَاء فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقلت: يا رسول الله فلان يَسُبَّ أصحابك، قال: «من أصحابى؟ »، قلت: أبو بكر وعمر، فقال: «خذ هذه المدية - أى السكين- فاذبحه بها »، فأخذتها فأضجعته وذبحته ورأيت كأن يدى أصابها من دمه فألقيت

(١) رواه الإمام أحمد والترمذى والحاكم وصححه وأقره الذهبى، وقال ابن كثير: منكر (١/ ١٦٨) .
(٢) حكى ابن عبد السلام أن غصب حبة وسرقتها كبيرة بالإجماع [انظر الزواجر ١/ ٢٤٦] .
(٣) الكبائر للذهبى (صـ ٢٧٧) .
(٤) نقلاً عن كتاب « نهاية الظالمين لإبراهيم الحازمى (جـ ١ ص ٣٩ - ٤٠)، دار الشريف للنشر بالرياض

المدية وأهويت إلى الأرض لأمسحها فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره فقلت: ما هذا الصراخ؟ قالوا: فلان مات فجأة!، فلما أصبحنا جئت فنظرت إليه فإذا خط موضع الذبح!! .

قلت: وصدق الله تعالى إذ يقول فى الحديث القدسى: « من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب »(١). وقال ﷺ: « الله الله فى أصحابى، لا تتخذوهم غرضًا بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم فمن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله أوْشَك أن يأخذه »(٢).

قال أيوب السختيانى: «من أحب أبا بكر فقد أقام منارَ الدين، ومن أحب عمر أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن قال الخير فى أصحاب رسول الله فقد برىء من النفاق » .

قال الإمام الذهبى: « فمن طعن فيهم أو سبَّهم فقد خرج من الدين ومرق من ملّة المسلمين » [الكبائر للذهبى ص ٢٩٣] .

* * *

(٤٣) مات كما يموت الحمار

فى الخمسينات الميلادية، وفى إحدى الكليات بدولة عربية، وقف أحد الطلبة، ممسكًا بساعته محدقًا نظره فيها، وهو يصرخ قائلاً: « إن كان الله موجودًا فليمتنى إذًا بعد ساعة »، وكان مشهدًا عجيبًا شهده جمهرة من الطلاب والأساتذة، ومرت الدقائق عجلى، وحين أتممت الساعةُ دقائقها انتفض الطالب بزهو وتحدّ، وهو يقول لزملائه: أرأيتم لو كان الله موجودًا لأماتنى، وانصرف الطلاّب، وفيهم من وسوس له الشيطان، وفيهم من قال: إن الله أمهله لحكمة، وفيهم من هَزَّ رأسه وسخر منه! أما الشاب المذكور، فذهب إلى أهله مسرورًا، خرج يتمطى، وكأنه أثبت بدليل عقلى لم يسبقه إليه أحد أن الله ـ سبحانه ـ غير موجود، وأن الإنسان خلق هملاً، لا يعرف له ربًا وليس له معاد أو حساب !

---

(١) حديث صحيح: رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الإمام أحمد والترمذى وقال: هذا حديث حسن غريب (٥/ ٦٩٦) .

ودخل منزله فإذا والـدته قد أعدت مـائدة الغذاء وإذا والده قد أخـذ مكانه على المائدة ينتظره، فهرع الولد مسرعًا إلى المغـسلة، ووقف أمامها يغسل وجهه ويديه، ثم ينشفهما بالمنديل، وبينما هو كذلك، إذ به يسقط على الأرض جثة لا حراك بها !!

نعم لقد سقط ميتًا، وأثبت الطبـيب فى تقريره، أن موتته كانت بسبب الماء الذى دخل فى أذنه! وفى ذلك قال الدكتور عبد الرزاق نوفل ـ رحمه الله ـ:

« **أبى الله إلا أن يموت كما يموت الحمار** » !

والمعروف علمـيًا أن الحـمار والحصـان إذا دخل الماء فى أُذُن أحدهمـا، مات من ساعته[١] !!

* * *

(٤٤) يَنْهقَ من قبره كما ينهق الحمار

روى الأصبهانى وغـيره وقد حَدَّث به أبو العباس الأصم بمشـهد من الحفاظ فلم ينكروه: أن العوام بن حـوشب قال: نزلت مرة حَـيًّا، وإلى جانب ذلك الحَىِّ مقـبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رَجُلٌ رأسُه رأس حمار وجسده جسد إنسان فَنَهَق ثَلاَثَ نَهقَات ثم انطبق عليه القبر! فإذا عجوز تغزل شَعْرًا أو صوفًا فقالت امرأة، ترى تلك العـجوز. قلت: مالهـا؟ قالت: تلك أُمّ هذا، قلـت: وما كانت قـضيـته؟ قالت: كان يشرب الخمر فإذا راح تقول له أمّه: يا بنى اتق الله ولا تشرب هذا الخمر؟ فيقول لها: إنما أنْتِ تَنْهِـقَين كما يَنهَقُ الحمَار، قالت: فمات بعد العـصر قالت: فهو يشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فَيَنْهَق ثَلاَثَ نَهقَاتٍ ثم ينْطبقُ عليه القبر »[٢] .

*** من صور بر الوالدين :**

(١) عن عائشة رضى الله عـنها قالت: قال النبى ﷺ: « دخلتُ الجنة فـسمعتُ منها قراءة القرآن، فـقلت: مَنْ هذا؟ فقيل: حارثة بن النعمـان، قال: كَذالكُمُ البِرّ،

---

(١) القصة حدثت فـى جامعة عين شمس - كلية الزراعـة - وهى قصة مشهورة، كتـبت عنها الصحف وتناقلها الناس (المجلة العربية عدد صفر ١٤١٣ هـ) .

(٢) الزواجر لابن حجر الهيثمى (٢/ ١٥٤) ط دار الحديث، والترغيب والترهيب للمنذرى (٣/ ٣٠٦).

كَذالِكُم البِرّ »[١] وكان رضى الله عنه يُفَلّى رأس أمّه، ويطعمها بيده .

(٢) وكان محمد بن المنكدر يضعَ خَدَّه بالأرض ثم يقول لأمّه: ضعى قدمك عليه[٢] .

(٣) وكان أبو هريرة إذا غدا من منزله لبس ثيابه ثم وقف على باب أُمّه فيقول: السلام عليك يا أُمَّتَاه ورحمة الله وبركاته، فترد عليه مثل ذلك. . ، فيقول: جَزَاكِ الله عنى خيراً كما ربيتنى صغيراً، فتقول: وأنت يا ابنى، فجزاك الله عنى خيراً كما بررتنى كبيرة. . ، ثم يخرج. . ، فإذا رجع قال مثل ذلك[٣] .

* * *

(٤٥) انتقام الله لأوليائه

عن محمد بن سيرين[٤] - رحمه الله تعالى - قال: « كنت أطوف بالكعبة وإذا رجل يقول: اللهم اغفر لى وما أظن أن تغفر لى!، فقلت: يا عبد الله ما سمعتُ أحدًا يقول ما تقول، قال: كنت أعطيت لله عهدًا إن قَدَرتُ أن أَلطم وجه عثمان إلاّ لطمته، فلما قُتلَ ووضِعَ على سريره فى البيت والناس يجيئون يصلون عليه، فدخلت كأنَى أصلى عليه فوجدت خلوة فرفعت الثوب عن وجهه ولحيته ولطمته فأيْبس الله يدى اليمنى، فأصبْحتْ كالخشبة لا تتحرك» .

قال ابن سيرين: فنظرت إلى يده فرأيتها يابسة، وعثمان الخليفة الثالث المظلوم فَوَّض أمره إلى ربِّه. فقضى الله أمره ونفّذ قدَرَه، وجعل من ظلمه عبرة، والله عزيز ذو انتقام »[٥] .

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١٥١)، والحاكم (٣/ ٢٠٨) وغيرهما « من فاته بر والديه (صـ١٩) » .

(٢, ٣) من فاته بر والديه (صـ ٢٧ - ٢٨) .

(٤) محمد بن سيرين: الإمام الربانى، صاحب التعبير، مولى أنس بن مالك، أدرك ثلاثين صحابيًا، كان نسيجَ وحده، قال أبو عوانة: رأيت محمد بن سيرين مرة فى السوق، فما رآه أحد إلا ذكر الله تعالى [تاريخ الإسلام ٣/ ٣١٧] .

(٥) البداية والنهاية لابن كثير، وانظر تاريخ الطبرى (نهاية الظالمين ٣/ ٢٦) .

دع المقادير تجرى فى أعنتها ولا تبيتن إلا خالى البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

وأنشد بعضهم :

يا غاديًا فى غفلة، ورائحًا إلى متى تستحسن القبائحا ؟
وكم إلى كم لاتخاف موقفًا يستنطق الله به الجوارحا
يا عجبًا منك، وأنت مبصر كيف تنكبت الطريق الواضحا

وقال بعضهم :

الله يدرى كل ما تضمر يعلم ما تخفى وما تظهر
وإن خدعت الناس لم تستطع خداع من يطوى ومن ينشر !

* * *

(٤٦) تَعفَّنَ جَسَدُهُ وَهُوَ حَيٌّ

قال ﷺ: « مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاس لا يرحَمُهُ اللهُ »(١) .

وقال ﷺ: « لا تُنتزَعُ الرَّحمَةُ إلا مِنْ شَقِيٍّ »(٢) .

أخبرنى بعض أهل الشقة أن رجلاً كان يعمل بالسِّحر، ويأتى بأعمال محرَّمة، كالتفريق بين الزوجين، وكعقد الرجل عن زوجته. . ويتعاطى المحرمات مثل دخول دورة المياه بالمصحف وقد لبسه فى رجليه على هيئة الحذاء!! والعياذ بالله - وغير ذلك من الأعمال المكُفِّرة، وانطلقت الألسن المتضررة بالدعاء عليه، فالسماء قبلة المستضعفين والمظلومين .

وفى بعض الكتب يقول الله تعالى « اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَمْ يَجَدْ لَه نَاصِرًا غَيْرِى »(٣) وبأسُ الله تعالى لا يُرد عن القوم المجرمين، دارت عجلة الزمن،

---

(١) حديث صحيح: رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٢) إسناده حسن: رواه أبو داود واللفظ له، والترمذى وقال: حديث حسن، وابن حبان فى صحيحه، وقال الشيخ الألبانى « حسن » [صحيح سنن أبى داود ٤١٣٣] .

(٣) الكبائر للذهبى (صـ ٢١١) تحقيق د/ أسامة عبد العظيم .

وكلمـا زاد عُمْرُه استغلظ جُـرْمُه!!، وأخـيرًا آن للمـجرم أن يذوق مـرارة العذاب، ويشرب من نفس الكأس الذى طالما سقاه لعباد الله، ابتلاه الله بمرض أقعده وأمرضه، وطفح المرض على جلده فامتلأ بالقيح والصـديد، ووقف الطب أمام مرضه عاجزًا لا يبدى ولا يعيد وحُرِّم عليه مَسّ الماء، وفاحت منه رائحة كريهة يَشُمّها المارّون على بيته من على بعد عـدة أمتار!!، وجعل يئن ويـتأوه، وطال عذابه واستـعجل الموت وتمناه فلم يجده، وظل هـكذا يتجشم الأوصـاب ويتجرع كـئوس العـذاب عدة سنوات ثم قضى عليه الموت ليقف أمام الديّان الذى لا يموت .

يَا نَائِمَ اللَّيلِ مَسْرُورًا بأوْله ... إنَّ الحَوادِثَ قَدْ يَأتِينَ أسْحَارَا

وصدق رسول الله ﷺ: « مَنْ لا يَرْحَم لا يُرْحَم » متفق عليه .

* * *

(٤٧) وَقَلَب جبريلُ عليه السّلام القَصْر بمن فيه!!

عن « وهب بن مُنبِّـه »[١] - رحمه الله تعـالى - قال: « بنى جبار مـن الجبابرة قصرًا وشيّـده، فجاءت عجوز فقيـرة فبنت إلى جانبه كوخًا تأوى إليـه، فركب الجبار يومًا وطاف حـول القصر، فـرأى الكوخ فقال: لمن هذا؟ فـقيل: لامرأة فقـيرة تأوى إليه، فأمر به فهُـدِمَ، فجاءت العجوز فرأته مهدومًا فـقالت: من هَدَمه؟ فقيل: الملك رآه فهدمه. فرفعت العجوز رأسها إلى السماء، وقالت: يا رب إذا لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت؟ قال: فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على مَنْ فِيه فَقَلَبه »[٢] .

وقيل: لمـّا حُبِس خالد بن برمك[٣] وولده قال: يا أبت بعـد العز صـرنا فى القيد والحبس؟! فـقال : « يا بنى دعـوة المظلوم سرت بليل غـفلنا عنها ، ولـم يغفل الله عنها»[٤]. نعم يقـول النبى ﷺ « إن دعاء المظـلوم يرفع فوق الغـمام، ويقـول الرب تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين »[٥] .

(١) وهب بن منبه: تقدمت ترجمة فى قصة « سبأ » .

(٢) الكبائر للذهبى (صـ ١١٦)، والزواجر لابن جر (٢/ ١٢٢) .

(٣) كان من الأمراء . (٤) الكبائر (صـ ١١٦) للذهبى .

(٥) حديث حسن: عزاه المنذرى للطبرانى وقال: لا بأس بإسناده فى المتابعات (الترغيب ٣/ ١٤٦) .

تَوَقَّ دعـــا المِظْلومِ إنّ دعـــاءَه ... ليرفع فَوقَ السحبِ ثُمَّ يُجاب

توق دُعَا مــنَ ليس بين دعـائه ... وبَيْنَ إلـهَ العـالمينَ حِجَـــاب

ولا تحسبن الله مُطـــرحًا لـــه ... ولا أنه يَخْفَى عليــه خِطـــاب

فقــد صَحَّ أنَّ اللهَ قال وعـزتى ... لأنْصُرن المظْلـومَ، وهــو مُثَاب

فَمن لم يُصدق ذا الحديثِ فإنَّه ... جَهـولٌ، وإلا عَقْلـه فَمُصَـــاب

* * *

(٤٨) أبو مِعْلَق والتأييد الإلهي

ذكر ابن أبى الدنيا(١) فى كتاب « المُجَابِين » :-

عن الحسن قال: « كــان رجل من أصحاب النبى ﷺ يُكَنَّى أبا مـعْلَق، وقد كان تاجرًا يتجر بمالــه له ولغيره، ويضرب به فى الآفاق، وكان ناسكًا ورعًــا، فخرج مرّة فلقيه لص مقنع فى السّلاح. فقال له: ضع ما معك، فإنّى قَاتلك. قال: ما تريد من دمى؟ شــأنك بالمال. قال: أمــا المال فلى، ولست أريد إلا دمك. قال: إمــا إذا أبيت فذرنى أصلى أربع ركعات قال: صل ما بدالك. فتوضأ ثم صلى أربع ركعات. فكان من دعائه فى آخر سجوده أنه قال: يا ودود يــا ودود، ياذا العرش المجيد، يا فعالُ لما تريد، أسألك بعــزك الذى لا يرام، وبملكك الذى لا يضام، وبنورك الذى مــلأ أركان عرشك: أن تكفينى شــر هذا اللص: يا مغيث أغثنى، ثلاث مــرات. فإذا هو بفارس قد أقبَل بيده حربة قد وضعها بين أذنى فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه فقتله. ثم أقـبَل إليه فقال: قُمْ. فقال: مــن أنت بأبى أنت وأمى؟ قد أغاثنى الله بك اليوم .

فقــال: « أنا مَلَكٌ من السمــاء الرابعة، دعوتَ بدعــائك الأول فســمعتُ لأبواب السماء قــعقعة، ثم دَعْوتَ بدعائك الثــانى فسمعتُ لأهل السماء ضــجة. ثُمَّ دَعْوتَ بدعائك الثالث فقيل لى: دعاء مكروب. فسألت الله أن يولينى قتله» .

---

(١) هو: الحافظ المحدث، العالم، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان المشهور بابن أبى الدنيا، الراجح أنه مات فى سنة اثنين وثمانين ومائتين رحمه الله .

قال الحسن: «فمن توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبًا كان أو غير مكروب»(١) .

* * *

(٤٩) عاقبة الظُلْم

قال ابن البطريق فى تاريخه: كان القاهر قد ارتكب أمورًا قبيحة لم يسمع بمثلها فى الإسلام، وذكر منها طرفًا طويلاً: « حكَى أن رجلاً قال: صليت فى جامع المنصور ببغداد فإذا بإنسان عليه جبّة عنابية، وقد ذهب وجهها وبقى بعض قطن بطانتها وهو يقول: أيها الناس تصدَّقُوا علىَّ، بالأمس كنتُ أميرًا لمؤمنين، وأنا اليوم من فقراء المسلمين »، فسألت عنه فقيل لى: أنه القاهر بالله!! .

وفى هذه القصة أعظم عبرة، نعوذ بالله من سخطه وزوال نعمه، وكانت خلافته ست سنين، وستة أشهر، وسبعة أيام، وكان أهوج طائشًا سَفّاكًا للدماء يُدْمِنَ السُّكْر، وكان له حَرْبَةَ يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل إنسانًا، ولولا وجود الحاجب « سلامة » لأهلك الناس(٢) .

وأنشد بعضهم :

لا تَظْلِمنَّ إذا ما كُنْتَ مُقْتَدِرا ... فالظُلْم يَرجِعُ عُقْبَاه إلى النَّدمَ

تَنَامُ عَيْناك والمظلومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعَو عليكَ وعَينُ اللهِ لَمْ تَنَم

* « **تحذير الظالمين** » :

عن هشام بن حكيم بن حزام رضى الله عنه أنَّهُ مَرَّ بالشَّام على أُناسٍ من الأنباط، وقد أُقيموا فى الشَّمْسِ، وصُبَّ على رُءُوسهمُ الزَّيْتُ، فقال: ما هذا؟ قيل: يُعَذَّبون فى الخَرَاج. وفى رواية: حُبِسُوا فى الجِزْيَةِ، فَقال هِشَام: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ

(١) ذكرها ابن القيم فى الداء والدواء (ص ١٨)، ومجابوا الدعوة لابن أبى الدنيا (ص ٦٣) ط مكتبة القرآن وذكرت القصة عن الحسن عن أنس فى الإصابة(٤/ ١٨٢) مختصرة، وأسد الغابة (٦/ ٢٩٥).

(٢) حياة الحيوان للأميرى: « نهاية الظالمين ٣/ ٤٩ » .

رسولَ اللهِ ﷺ يقـول: « إن اللهَ يُعَذِّبُ الذين يُعَـذِّبُونَ النَّاسَ فىَ الدُّنْيَا، فـدخَلَ على الأمير فحدَّثَهُ فأمر بهم فَخُلُّوا»(١) .

الأنباط: فلاّحون من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين .

* * *

(٥٠) ينادي « يا ويلاه النار »

جاء فى كتاب: « الرِّياض النَّضِرة فى مناقب العَشَرَة »(٢) .

عن أبى قلابة قال: «كنت فـى رفقه بالشام سمـعت صوت رجل يقول: يا ويلاه النار » . قال: فقمت إليه وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين أعمى العينين منكبًا لوجهه، فسألته عن حاله فقال: إنِّى كنت ممَّن دخل على عثمان(٣) الدار، فلمّا دنوتُ منه صَرَخَتْ زوجته(٤) فلطمتها، فـقال: مَالَكَ قَطَع اللهُ يَديَك ورِجْلَيك وأَعْمَى عيَنْيكَ وأدَخلَك النَّار فأخذتنى رعدة عظيمة، وخرجت هاربًا فأصابنى ما تَرَىَ ولم يَبْقَ من دعائه إلا النار. قلت له: بعدًا لك وسحقًا». أخرجها الملاء فى سيرته .

إن الله تعالى يعاقب على اللطمـة يضربها الإنسان ظلمًا حـتى ولو كان المضروب مملوك فما بالكم بمن يعتدى على زوجة ذى النورين رضى الله عنه .

عن أبى مـسعـود البَدْرىِّ رضى الله عنه قـال: كنت أضرب غـلامًا لى بالـسَّوْط فسمـعت صوتًا من خلفى يقول: اعلم أبا مـسعود، فَلَمْ أفهمَ الصـوتَ من الغَضَب، فَلمَّـا دَنَا منِّى إذا هو رسول الله ﷺ، فـإذا هو يقول: « اعْلَم أبا مـسعـود أنَّ اللهَ عز وجل أَقْدرُ عليكَ منْكَ على هَذَا الـغُلام». فقلت: يا رسول الله هو حُـرٌّ لِلهِ تعالى، فقال: « أَمَا لَوْ لم تَفعلْ لَلَفحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمسَّتْكَ النَّار »(٥) .

---

(١) إسناده صحيح: رواه مسلم وزاد فى حديث جرير: قال: وأميرهم يومئذ عمير بن سعد .

(٢) للإمام أبى جعفر أحمد الشهير بالُمحبِّ الطبرى (ص٥٠٧) تحقيق د/ حمزة النشرتى ط المكتبة القيمة.

(٣) هو: عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ومن العشرة المبشرين بالجنة، كانت تستحى منه الملائكة، وكان رضى الله عنه من كتاب الوحى، زوجه النبى ﷺ ابنتيه رقية وأم كلثوم .

(٤) هى نائلة بنت الفرافصة رضى الله تعالى عنها .

(٥) حديث صحيح: رواه مسلم (٣/ ١٢٨٠، ١٢٨١ رقم ٣٤، ٣٥ - (١٦٥٩) وأبو داود والترمذى.

(٥١) وجَفَّتْ رِجْلاَه وسَقَط

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع.. الحديث »[١] .

قال أحمد بن ودان المالكى فى كتاب المجالسة له: حدثنا زكريا بن عبد الرحمن البصرى قال: «سمعت أحمد بن شعيب يقول: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبى ﷺ: « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم.. » وفى المجلس معنا رَجَلٌ من المُعْتزلة فجعل يستهزئ بالحديث فقال: والله لأطرقن[٢] غدًا نَعْلَىّ بمسامير فأطأ بها أجنحة الملائكة، ففعل ومشى فى النعلين فجفَّتْ رجلاه جميعًا ووقعت فيهما الأكلة[٣] .

وقال الطبرانى: سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى السّاجى قال: كنا نمشى فى بعض أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشى وكان معنا رجل ما جنٌ منُهم فى دينه فقال: أرفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ، فما زال من موضعه حتى جَفَّتْ رجلاه وسقط »[٤] .

* * *

(١) حديث صحيح: رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحة وحسَّنه الألبانى « صحيح الترغيب ١/ ٣٣ » .

(٢) لأطراقن: لأدقن وأغرزن .

(٣، ٤) فضل العلم د/ محمد سعيد رسلان (ص ٥٨ ، ٥٩) .

(٥٢) اللَّهمَّ مَنْ أفْسَدَ عليّ امْرأَتي فأعمى بَصَرها

كان: أبو مسلم الخولانى[١] مجاب الدعوة .

قال بلال بن كعب: «كان الظبى يمر بأبى مسلم الخولانى فيقول لـه الصبيان: أدع الله يحبسه علينا نأخذه بأيدينا، فكان يدعو الله عَزَّ وجل فيحبسه حتى يأخذوه بأيديهم»[٢] .

وكان أبو مسلم إذا انصرف إلى منزله من المسجد كَبَّر فتجيبه امرأته، وإذا بلغ باب بيته كبر فتجيبه امرأته، فانصرف ذات ليلة فكبر عند باب داره فلم يجبْه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه، قال: فدخل البيت فإذا البيت ليس فيه سراج، وإذ امرأته جالسة فى البيت منكسة تنكت بعود معها، فقال لها مالك؟ قالت: أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته فأخدمنا وأعطاك، فقال: **اللهَّمَّ مَنْ أفْسَدَ علىّ امرأتى فأعْمِي بصرها** . قال: وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت لها: زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عِشْتُم!، قال: فبينما تلك المرأة جالسة فى بيتها إذا أنكرت بصرها، فقالت: ما لسراجكم طفئ؟ قالوا: لا، فعرفت ذنبها فأقبلت إلى أبى مسلم تبكى وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها أن يَرُدّ عليها بصرها، قال: فرحمها أبو مسلم فدعا الله لها فرد عليها بصرها[٣] .

قلت: لعل فى هذه القصة عظة وعبرة للسّاعين بين الزوجين والناس بالإفساد قال ﷺ: « مَنْ أفْسَدَ امرأة على زَوْجِها فليس مِنَّا »[٤] .

* * *

(١) هو: عبدالله بن ثُوَّب، الزاهد، سيِّد التابعين بالشام، قدم من اليمن، وقد أسلم فى حياة النبى ﷺ، وقدم المدينة فى خلافة أبى بكر، رآه كعب فقال: هذا حكيم هذه الأمة، ألقاه الأسود العنسى فى النار فلم تحرقه!!، كان مجاب الدعوة، تُوفى بأرض الروم غازيًا-رحمه الله-«تاريخ الإسلام٢/ ٥٢٥».

(٢،٣) حلية الأولياء لأبى نعيم - رحمه الله (٢/ ١٢٩ - ١٣٠) .

(٤) حديث حسن لشواهده: رواه أحمد (٢/ ٣٩٧)، والبيهقى (٧/ ١١٥) .

(٥٣) اللَّهُ الكافي

عن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن المهدى قال: أخبرنى أبى، قال: سمعت ميمونة بنت ساقولة الواعظة (توفيت سنة ١٦٣ هـ) تقول: آذانا جار لنا فصليت ركعتين وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن. وقلت: اللهم اكفنا أمره، ثم نمت ففتحت عينى فرأيت النجوم مصطفة فقرأت: ﴿ **فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**﴾[البقرة: ١٣٧] فلمّا كان السَّحَر، (يعنى آخر الليل) قام ذلك الإنسان لينزل فزلقت قدمه فوقع فمات »[1].

قلت: وصدق النبى ﷺ: « ثَلاثُ دَعواتٍ لاشَكَّ فى إِجابتهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد »[2].

وفى رواية للحاكم: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شَرَارة»[3]

هذا: والظالم يلعن يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

دخل طاوس اليمانى على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق يوم الأذان.

قال هشام: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿ **فأذن مؤذِّنٌ بينهم أن لعنةُ الله على الظالمين**﴾ [الأعراف: ٤٤]، فصعق هشام.

فقال طاوس: «هذا ذُلّ الصِّفَة فكيف المعاينة» [الزواجر ٢/ ٢٦٩].

لا تَخْدَعنْكَ مُنَى الحَياةِ فإنَّها ... تُلهِى وتُنْسِى والمُنَى تَظْليلُ
وتَأَهبَنَّ للموتِ قَبْلَ نُزولِه ... فالمَوْتُ حَتْمٌ والبَقاءُ قليلُ

ومن أقوالها: « هذا قميص اليوم له سبع وأربعون سنة، ألبسه وما تخرق، غزلته لى أمى وصبغته بماء السنابك، الثوب إذا لم يعص الله فيه لم يتخرق سريعًا » [المنتظم ١٥/ ٤٢). ط./ دار الكتب العلمية].

---

(١) المنتظم لابن الجوزى (٧/ ٢٢٦)، البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٣٣٣)

(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذى (٤/ ١٩٠٥) وحسنه، وقال الألبانى «صحيح».

(٣) حديث صحيح: رواه الحاكم، وقال الألبانى « صحيح » [صحيح الجامع ١١٨]، [الصحيحة برقم ٨٧١].

(٥٤) عند الله يجتمع الخصوم

روى أن الحجاج[١] حبس رجلاً فى حبسه ظلمًا فكتب إليه رقعة، « قد مضى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد القيامة، والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلى بينة » وكتب فى آخرها :

سَتَعْلَم يا نَؤُوم إذَا الْتَقَيْنَا ... غدًا عند الإله مَنْ الْظَلُوم

أما والله إن الظُلمَ نُؤْم ... ومازَال الظَلُّومُ هو المَلُوم

سَيَنْقَطِع التَّلَذُذُ عَنْ أُنَاسٍ ... أَدامُوه ويَنْقَطِعُ النَّعيم

إلى ديَّان يَومَ الدِّين نَمْضِي ... وَعِنْد الله تَجْتَمعُ الخُصُوم[٢]

وعن جابر قال: لما رَجَعت إلى رسول الله ﷺ مُهَاجرة البحر. أى: الذين هاجروا إلى الحبشة. قال: « ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ » قال فتية منهم: بلى، يا رسول الله!!

بينا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رَهابينهم، تحمل على رأسها قُلَّة من ماء فمرت بفَتىً منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها، فَخَرَّتْ على ركبتيها فانكسرت قَلُتْها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُرَر! إذا وضع الله الكرسى، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك - عنده - غدًا ؟

قال: يقول رسول الله ﷺ: « صَدَقَتْ صَدَقَتْ، كيف يُقدِّسُ اللهُ أُمَّةً لا يُؤخَذ بضعيفهم من شَدِيدهم؟ »[٣] .

* * *

(١) هو: الحجاج بن يوسف الثقفى: ستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى .

(٢) نهاية الظالمين (٣/ ٧٤) .

(٣) إسناده حسن: رواه ابن ماجه، قال البوصيرى: إسناده حسن (٢/ ١٣٢٩)، وقال الشيخ الألبانى: « حسن » .

(٥٥) جزاء مَنْ يؤذي الصالحين

عن العباس بن هشام بن محمد الكوفى عن أبيه عن جده قال: كان رجل من بنى أبان بن دارم يقال له: زرعة شهد قتل الحسين، فرمى الحسين بسهم، فأصاب حنكه فجعل يتلقى الدم ويقول هكذا إلى السماء فترميمه به أى العطش الذى أصاب الحسين إذ دعا رضى الله عنه بماء للشرب قبل قتله فأَبَوْا أن يعطوه وتركوه يصيح عطشان فلا يسقوه، فدعا ربه وقال: « اللهّم من حال بينى وبين الماء فظمئه اللهم ظمئه » فاستجاب الله دعوته .

فلما حضرت الوفاة ذلك الرجل الذى منع الحسين بن علىّ - شهيد كربلاء - من الماء سلط الله عليه العطش الذى لا ينطفئ ولو شرب مياه الدنيا كلها، إذا كان يصيح من الحرارة الشديدة فى بطنه من أثر العطش ويصيح من أثر البرد الشديد فى ظهره، فكانوا يصنعون المراوح والثلج بين يديه لتطفئ الحرارة والعطش، والكانون من خلفه وهو يقول: اسقونى أهلكنى العطش، فيؤتى بعسٍّ عظيم فيه السويق أو الماء واللبن لو شربه خمسة لكفاهم، قال: فيشربه ثم يعود فيقول: اسقونى أهلكنى العطش، قال: فانقدت بطنه. كانقداد البعير[1] .

وهكذا الجزاء من جنس العمل. . وصدق الله القائل فى الحديث القدسى: « من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب »[2] .

ولما بلغ الحسن مصرع الحسين بن على بن أبى طالب بكى وانتحب وقال: واحسرتاه، ماذا لقيت هذه الأمة، قتل ابن داعيها، ابن نبيها، اللهم كن له بالمرصاد: ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أىَّ منقلبٍ ينقلبون ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] .

* * *

(١) أنظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى، ومجابو الدعوة لابن أبى الدنيا، ونهاية الظالمين (٣/ ٨٨).
(٢) حديث صحيح: رواه البخارى .

(٥٦) حَبَسهُ اللَّهُ في جَسَدِه

إنه أحمد بن أبى دؤاد الإيادى المعتزلى قاضى المعتصم؛ الذى جَرّ البلاد إلى محنة خلق القرآن، وبسببه أهين علماء الأمة وعذبوا وسجنوا وقتلوا. تكلّم فى أحمد بن حنبل وعاب معتقده، وبسببه قتل أحمد بن نصر الخزاعى(١)، وسجن الإمام أحمد وعذب بالسياط، ودعا عليه الإمام أحمد؛ فحبسه الله فى جسده كما حبس الإمام، ودخل عليه وعاده عبد العزيز الكنانى، وقال له: لم آتك عائدًا، بل لأحمد الله أن سجنك فى جلدك(٢) .

قال ابن كثير: ابتلاه الله بالفالج(٣) قبل موته بأربع سنين حتى بقى طريحًا فى فراشه، لا يستطيع أن يحرك شيئًا من جسده، وحرم لذة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك(٤). جعل نصف جسده لو سقط عليه ذباب فكأنما نهشته السباع، والنصف الآخر لو نهشته السباع لم يحسّ بها .

وقد دخل عليه بعضهم فقال: والله ما جئتك عائدًا، وإنما جئتك لأعزيك فى نفسك وأحمد الله الذى سجنك فى جسدك الذى هو أشد عليك عقوبة من كُلّ سجن .

ولمّا مات لم يحتفل أحد بموته، ولم يلتفت إليه وما شيّعه إلا قليل من أعوان السلطان، جزاء وفاقًا .

أما أحمد بن حنبل لمّا مات كانت جنازته أكبر جنازة فى تاريخ المسلمين .

ولمّا أنزلت رأس أحمد بن نصر الخزاعى من على الصليب كان يومًا مشهودًا، وصدق قول أحمد بن حنبل رحمه الله: « قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز حين تمر » .

---

(١) تقدمت ترجمته تحت عنوان « رأس نبيٍ تتكلم بعد موتها » .

(٢) سير أعلام النبلاء (١١٠/ ١٧٠ - ١٧١) .

(٣) الفالج: شلل يصيب نصف البدن .

(٤) البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٦ وما بعدها) .

وانظر الجزاء من جنس العمل د/ سيد العفّانى (١/ ٣٥٢) وما بعدها .

(٥٧) ذبح في يوم عيد الأضحي

إنه الخبيث « الجعد بن درهم »[١] .

قال السيـوطى فى كتاب « الأوائل »: أول من تفوه بكلمـة خبيثة فى الاعـتقاد ـ يعنى: فى الإسلام ـ الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بنى أميّة، فقال: بأن الله لا يتكلم .

وهو أول من قال بَخلْق القرآن، وأنكر أن يكون الله قد تكلم به، وأنكر أن يكون اتخذ إبراهيم خليلاً .

وهو أول من تكلم فى صفات الله عز وجل وأنكرها .

قال ابن كثـير : كان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخـبيث عن رجل يقال له: أبان بن سمـعان، وأخذه أبان عن طالوت ابـن أخت لبيد بن الأعـصم عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودى[٢] .

*** نهـــايته :**

ذُبح هذا الخبيث فى يوم شرف وعز الخليل فى سنة ١٢٤ هـ. ضحّى به خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق بواسط فى يوم الأضحى حيث قال :

«أيها الناس، اذهبـوا إلى أضاحـيكم، يتقبل الله منكم، فـإنى مُضَحٍّ بالجـعد بن درهم، إنه زعم أنه الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلّم موسى تكليمًا .

ثم نزل فذبحه، وكان ذلك بفتوى أهل زمـانه من التابعين، فشكر له صنيعه أهل السنة والجماعة »[٣] .

* * *

(١) انظر مجموع الفتاوى (٥/ ٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٥٠).
(٢) لبيد بن الأعصم: هو الذى سَحَرَ النبىَّ ﷺ .
(٣) شرح النونية للهراس (١/ ٣٠) نقلاً عن الجزاء من جنس العمل (١/ ٣٦٤).

(٥٨) جَعَلَهُ اللَّهُ آيَةً للمُؤْمِنين

إنه غيلان الدمشـقى القدرى. ثاني من تكلم فى القدر بعد معـبد الجهنى، ولقد ناظره الأوزاعى، وأفتى بقتله، فصُلِبَ بعد سنة ١٠٥ هـ(١) .

قال ﷺ: « القدرية مجوس هذه الأُمة، إن مـرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »(٢) .

قال أبو جعفر الخطـمى: شهدتُ عمر بن عبد العزيز وقد دعـا غيلان لشىء بلغه فى القَدَر، فقال له: ويحك يا غيلان، ما هذا الذي بلغنى عنك ؟

قال: يُكْذب علىَّ يا أمير المؤمنين، ويُقال علىَّ ما لا أقول .

قال: ما تقول فى العلم؟ قال: نفد العلم. قال: أنت مخصوم اذهب الآن، فقل ما شئت، يا غيلان، إنك إن أقررت بالعلم خُـصمت، وإن جحدته كفرت، وإنك إن تُقِرَّ به فتخصم خير لك من أن تجحد فتكفر .

ثم قال له: أتقرأ يس؟ قال: نعم. قال: اقرأ. قال: فقرأ: ﴿**يس والقرآن الحكيم**﴾ إلى قوله: ﴿ **لقد حق القـول على أكثرهـم فهم لا يؤمنون** ﴾ [يس: ١-٧] قال: قف، كيف ترى؟. قال: كأنى لم أقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين .

قال: زد .

فقرأ: ﴿ **إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون* وجعلنا من بين أيديهم سَدًّا ومن خلفهم سَدًّا** ﴾ [يس: ٩-١٠] .

قال عمر: قل: ﴿ **سَدًّا فأغشـيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليـهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ [يس: ٩-١٠] .

قال: كيف ترى؟ قال: كأنى لم أقرأ هذه الآيات قط، وإنى أعاهد الله ألا أتكلم فى شىء مما كنت أتكلم فيه أبدًا .

---

(١) تحقيق كتاب السُّنَّة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل للدكتور القحطانى (ص ٣٨٦) .

(٢) حديث حسن: حسنه الألبانى بمجموع الطرق، حاشية الطحاوية (ص ٣٠٤).

قال: اذهب. فلمّا ولّى قال: اللهم، إن كان كاذبًا بما قال فأذقه حَرّ السلاح[(١)] .

قال: فلم يتكلم زمن عمر. فلما كان يزيد بن عبد الملك كان رجلاً لا يهتم بهذا، ولا ينظر فيه .

قال: فتكلم غيلان .

فلما ولى هشام أرسل إليه فقال: أليس قد كنت عاهدت الله لعمر لا تتكلم فى شىء من هذا أبدًا؟ قال: أقلنى فوالله لا أعود. قال: لا أقالنى الله إن أقلتك، هل تقرأ فاتحة الكتاب؟ قال: نعم. قال: اقرأ: ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ [الفاتحة: ٢]. فقرأ: ﴿**الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين**﴾. قال: قف. علام استعنته؟ على أمر بيده لا تستطيعه، أو على أمر فى يدك-أو بيدك؟ .

اذهبا فاقطعا يديه ورجليه، واضربا عنقه، واصلباه[(٢)] .

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن المسلمين أقاموا الحجة على غيلان، وناظروه، وبينوا له الحق، كما فعل عمر بن عبد العزيز واستتابه، ثم نكث بعد التوبة فقتلوه[(٣)].

وقال ﷺ: « إذا ذُكر أصحابى فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا »[(٤)] .

* * *

(٥٩) الدَّيَّانُ لا يَمُوت

قال ﷺ: « البِرُّ لاَ يبْلَى، والذَنْبُ لا يُنْسَى، والدَّيانُ لاَ يموت، اعملْ ما شِئْتَ كما تَدينُ تُدان »[(٥)] .

ذكر العلماء: «أن رجلاً كان عنده والد كبير، فتَأَفَّفَ من خدمته ومن القيام بأمره، فأخذه وخرج به إلى الصحراء ليذبحه، فلما وصل إلى صَخْرة أنزله هناك

(١) وفى رواية: « اللهم، إن كان صادقًا فتب عليه، وإن كان كاذبًا فاجعله آية للمؤمنين » .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤١٤ - ٤١٥)، نقلاً عن الجزاء من جنس العمل (١/ ٣٦٨) .

(٣) درء التعارض (٧/ ١١٧٣) .

(٤) حديث صحيح : رواه الطبرانى فى الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية ، وقال الألبانى : صحيح [الصحيحة/ ٣٤] .

(٥) حديث حسن: حسنه الشيخ الألبانى .

فقال: يا بُنيِّ، ماذا تريد أن تفعل بى؟ قال: أريد أن أذبحك، قال: إن أبَيْتَ إلاّ ذبحى فاذبحنى عند الصخرة التالية، أنا كنتُ قبلك عاقًا لوالدى، وذبحته عند تلك الصخرة، ولك يا بنيَّ مثلها »(١) .

وعن كعب الأحبار قال: «اجتمع ثلاثة عُبَّاد من بنى إسرائيل فقالوا: تعالوا حتى يذكر كلُّ إنسان منا أعظم ذنب عمله .

فقال أحدهم: أما أنا فلا أذكر من ذنب أعظم من أنيِّ كنت مع صاحب لى، فعرضت لنا شجرة فخرجت عليها ففزع منى، فقال: الله بينى وبينك .

وقال الآخر: إنا معاشر بنى إسرائيل إذا أصاب أحدَنَا بَوْلٌ قطعة(٢)، فأصابنى بَوْلٌ فقطعته فلم أبالغ فى قطعه فهذا أعظم ذنب عملته .

وقال الثالث: كان لى والدة فدعتنى من قبل شمال الريح، فأجبتها، فلم تسمع، فجاءتنى مغضبة، فجعلت ترمينىَ بالحجارة، فأخذت عصى وجئتُ لأقعد بين يدها لتضربنى بها حتى ترضى، ففزعت منى فأصابت وجهها شجرة فشجتها، فهو أعظم ذنب عملته قط »(٣) .

* * *

(٦٠) وَشُلَّتْ يَدُهُ

عن أبى عبد الرحمن الطائى قال: كان رجل من بنى نهد قد كَبِرَ وضَعُف، يُكنَى أبا مُنَازل، وله ابن يقال له: مُنَازل، وكان له أولاد صغار، فكان إذا أصاب شيئًا أعطاهم إياه، وكان يقبض عطاء أبيه، وكان شيخًا كبيرًا، فولد للشيخ بنون صغار، فكان منازل يستأثر عليهم، فلمّا خرج العطاء، خرج منازل يقود أباه، حتى أجلسه لقبض عطائه، فلما نودى باسمه، قام منازل، فقال: أعطونى عطاءه، فقام الشيخ فقال: أعطونى عطائى فى يدى، ففعلوا، فحمل عطاءه، ثم قام يتوكأ على مُنازل، فقال مُنازل: هلُم أحمله عنك قال: دعه، فَلمّا خلا له الطريق، فَكَّ يد أبيه، ثم أخذ العطاء، فذهب به، فانصرف الشيخ، وليس معه فى يده شيء فقال له أهله وولده: ما صنعت؟ قال: أخذ منازل عطائى .

---

(١) الجزاء من جنس العمل (٢/ ١٩١) .

(٢) أى قطع الجِلْد الذى أصابه البول .

(٣) من فاته بر والديه للأستاذ/ مجدى الشهاوى (ص ٣٠ - ٣١) .

ثم أنشأ يقول :

جَزَتْ رَحِمٌ بينى وبَيْن مُنازلٍ جزاءً كما يستنجزُ الدَّيْنَ طالبُهْ

وَرَبَّيْتُهُ حتى إذا ما هو استوى كبيرًا وسادى عامل الرمح غَارِبُهْ

تَظَلَّمَنى مالِي ولَوىَ يَدى لوى يَدَهُ اللهُ الذى هُو غالبُهْ

فأصبح منازلٌ ملويا يده(١) .

ثوابُ البِرِّ: عن عمرو بن ميمون الأزدى قال: «لما تَعجَّل موسى إلى رَبِّه رأى رجلاً تحت العرش فغبطه بمكانه، فسأل رَبَّه أن يخبره باسمه، فَلَمْ يخبْره، وقال: لكنى أُحَدِّثك عن عمله بثلاث خصال: كان لا يحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله، ولا يعق والديه، ولا يَمْشى بالنميمة »(٢) .

* * *

(٦١) مصرع الحجاج الثقفي

كان الحجاج الثقفى عثمانيًا أمويًا، يميل إليهم ميلاً عظيمًا، ويرى أن خلافهم كفر، ويستحل بذلك الدماء، ولا تأخذه فى ذلك لومة لائم .

وعن هشام بن حسّان: أحصوا ما قتل الحجاج صبرًا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفًا.

وقال الذهبى فى ترجمته :

كان ظلومًا، جبارًا، ناصبيًّا، خبيثًا، سفاكًا للدماء، قد سقت من سوء سيرته فى تاريخى الكبير، وحصاره لابن الزبير فى الكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله. فنسبُّه ولا نُحبُّه، بل نبغضه فى الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان(٣) .

وقال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم فجاءت كلُّ أمة بخبيثها، وجئنا بالحجاج لغلبناهم(٤) .

---

(١) مجابو الدعوة لابن أبى الدنيا (ص ١٠٤ - ١٠٥)، والإصابة لابن جر (٣/ ٢١٢) .

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد فى الزهد (ص ٨٥)، وابن أبى الدنيا فى الصمت [٢٦٥]، وغيرهما .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٣) .

(٤) البداية والنهاية (٩/ ١٤٣) .

قالت له أسـماء بنت أبى بكر لما دخل عليها بعـد قتل ابنها عبـد الله بن الزبير، وقـال لها: إن ابنك أَلْحـدَ فى هذا البـيت، وإن الله أذاقـه من عذاب أليم، وفـعل. فقـالت: كذبت، كان باراً بوالديه، صـوَّامًا قوّامًـا، سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «يخرج من ثَقِيف رَجُلان مُبير وكَذَّاب». فأمّا الكذاب فابن أبى عبيد - تعنى المختار - وأمَّا المبير فأنت.

خطب الحجاج يومًا فـقال: « أيها الناس، الصبر عن محـارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله. فقـام إليه رجل فقال له: ويحك يا حجّاج! مـا أصفق وجهك وأقل حياءك، تفعل ما تفعل وتقول مـثل هذا الكلام؟ خبت وضل سعيك. فقال للحرس: خذوه. فَلمّا فرغ من خطبته قال له: مـا الذى جرّأك علىّ؟ فقال: ويحك يا حجّاج، أنت تجترئ عـلى الله ولا أجترئ أنا عليك، ومَنْ أنت حتى لا أجـترئ عليك، وأنت تجترئ على الله ربِّ العالمين، فقال: خَلّوا سبيله.

ومن أعظم ذنوب الحجاج قتله للإمام الربانى: سعيد بن جبير رضى الله عنه.

قال ابن كثير:

قال له الحجاج: والله لأقتلنّك. قال: إنى إذًا لسعيد كما سمتنى أمّى.

قال: فقتله، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يومًا، وكان إذا نام يراه فى المنام، يأخذ بمجامع ثوبه. ويقول: يا عدوّ الله، فيم قتلتنى؟

فيقول الحجاج: مالى ولسعيد بن جبير، مالى ولسعيد بن جبير[1].

ولّما مات الحجاج سجد الحسن البـصرى شكرًا لله. وقال: «اللَّهُمَّ، أَمَتَّه، فأذهب عنّا سنته».

ولما أخبر إبراهيم النخعى بموته بكى من الفرح.

* ومن مواعظ الحَجَّاج:

« إن الله خلق آدم وذريته من الأرض، فـأمشاهم على ظهرها، فـأكلوا ثمارها، وشربوا أنهـارها، وهتكوها بالمساحى والمرور[2]، ثم أدال اللهُ الأرض منهـم، فـردهم إليهـا، فأكلت لحـومهم كـما أكلوا ثمارها، وشـربت دماءهم كـما شربـوا أنهارها،

(١) البداية والنهاية (٩/ ١٠٣).

(٢) المساحى: الفؤوس، والمرور: المشى على ظهرها.

وقطعتهم فى أجوافها، وفرقت أوصالهم كما هتكوها بالمساحى والمرور » ا.هـ .
فكيف بك يا حَجَّاج وقد قتلت ابن حوارى رسول الله ﷺ وحفيد الصديق، وقتلت سعيد بن جبير ؟!!(١) .

* * *

(٦٢) يُجرُّ أمعاءَه فِي النَّار

إنه: عمرو بن لُحىّ الخزاعى .

قال ﷺ: « أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أبو خزاعة »(٢) .

وعن أبى بن كعب مرفوعًا: «وهو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام»(٣)

*** قال ابن هشام :**

حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لحى خرج من قلة إلى الشام فى بعض أموره، فلما قدم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق، وهم ولد عملاق، ويقال : ولد عمليق بن لاوز بن سام بن نوح ، رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم: ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: ألا تعطونى منها صنمًا، أسير به إلى الأرض العرب فيعبدونه، فأعطوه صنمًا يقال له: « هُبَل »، فقدم به مكّة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه(٤) وعمرو بن لحى أول من سَيَّبَ السَّوائب .

قال ﷺ: « رأيت عمرو بن عامرٍ الخزاعى يَجرُّ قُصْبَهُ فى النار، وكان أول من سَيَّبَ السوائبَ، وبحرَ البَحيرة »(٥) .

وفى رواية: « إنه كان أول من غَيَّر دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر

---

(١) الجزاء من جنس العمل (٢/ ١٨١) .

(٢) حديث حسن: أخرجه ابن أبى عاصم، والطبرانى وقال الألبانى: « حسن » [السلسلة الصحيحة ١٦٧٧] .

(٣) حديث حسن: رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، وقال الألبانى « حسن » .

(٤) الروض الأنف للسهيلى (١/ ٣٥٠)، الجزاء من جنس العمل (١/ ٢٤٢)

(٥) حديث صحيح: رواه البخارى ومسلم وغيرها .

البحيرة، وسيَّبَ السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي »(١) .

قال تعالى: ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامٍ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ [المائدة:١٠٣] .

* * *

(٦٣) عَدَالَة اللَّه

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ [التغابن: ١٤].

روى الشيخ/ عبد الحميد كشك ـ رحمه الله ـ قصةً في إحدى خطبه موجزها:

أن رجلاً من الأثرياء لما مات أبوه، ضم أمَّه إليه، فكانت عنده ينفق عليها ويرعاها. . وتزوج هذا الإبن بزوجة لا تحب إلا نفسها. . ولا تبقى إلا مصلحتها! فكانت تضيق ذرعًا بأمِّ زوجها، تسيء عشرتها وتؤذيها بلسانها وأفعالها، وشاءت إرادة الله تعالى أن تصاب الأم بحالة «جنون» فضاقت الأرض على الزوجة ولم تُطِقْ صبرًا على وجودها فقالت لزوجها:

أنت مُخيَّر بين أمرين: إما أن تختار أمّك، وإمّا أن تختارني وحاول الزوج إقناع الزوجة بالصبر والرضا. . ولكن دون جدوى وفكّر الزوجُ وَقدَّر . . . الزوجة أم الأم؟ . . وأخيرًا هوى بعد أن اتَّبع الهوى. سَوَّلَتْ له نفسه الخبيثة، وهداه شيطانه، وفكر في التخلص من أمّه!!

وفي ليلة مظلمة شاتية أخذ والدته وألقى بها من على سطح البيت، فهوت الأم على الأرض تلفظ أنفاسها الأخيرة لتلحق بربها تشكو إليه ظلم العباد!!! وكالعادة أقام الابن لها سرداقًا كبيرًا لتلقي العزاء، ولم يَدْرِ أن عدالة الله له بالمرصاد.

مرت الأيام وظن أنه في مأمن من الله وبأسه الذي لا يُردّ عن القوم المجرمين.

أصيب الابن العاق «بالجنون!!» نفس مرض الأم ـ سبحان الله ـ وضاقت زوجته به كما ضاقت بأمِّه مِنْ قبل. . وفي ليلة شاتيه مظلمة!! صعد الابن على سطح البيت

---

(١) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي عاصم في الأوائل، وقال الألباني: إسناده حسن [الصحيحة برقم ١٦٧٦] .

وألقى بنفسه من نفس المكان!! فسقط علـى الأرض يلفظ أنفاسه الأخيرة ليلقى ربه بما كسبت يداه، والجزاء من جنس العمل.

وتطوى صفحة سوداء في سماء بيت أقيم على الظلم لتبقي عظَتُه يَرِنُّ صداها في وجدان كل : ﴿**من كان له قَلْبٌ أو أَلْقَى السَّمْعَ وهو شَهِيد**﴾[ق:٣٧].

* * * * *

وَفي الختَام نَسأَل اللهَ حُسْنَ الخِتَام

ومما سبق من نماذج يتبين لنا بوضوح بـأن الله تعالى للظالمين والمجرمين بالمرصاد، يمهل ولا يهمل، كما قال النبى ﷺ: «إن الله ليملى للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليمٌ شديد**﴾ .

فالسعيد من وُعِظَ بغيره: ﴿**وما كان ربك ليُهلك القرى بظُلْمٍ وأهلُها مصلحون**﴾ .

ولو نظر الإنسان بعين البصـيرة إلى حاله ومآله، إلى مبدأه ومنتهـاه لأساس قياده لمولاه، وعاد إليه من قريب، تائبًا منيبًا .

قال حمـيد: « بينما الحسن جـالسًا فى المسجد حتى تنفس الـصعداء وبكى بكاء شديدًا ارتعـدت منكباه وخفق قلبه ثم قـال: لو أن بالقلوب حياة، أو أن بهـا صلاحًا لبَكت من ليلة صبيحتها القيامة، أى يوم عباد الله ما سمع الخلائق بيوم أكثر منه عورة بادية ولا عينًا باكية » .

وكان يقـول: « مسكين ابن آدم، ما أضـعفه مكتـوم العلل تؤذيه البقـة، وتقتله الشـرقة، يـرحل كل يوم إلى الآخـرة مرحلة، ويقـطع من الدنيـا منزلة، وربما طغى وتكبر، وظلم وتجبر » .

وكان يقول: « يا ابن آدم: إنك تموت وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، يا ابن آدم: لو أن الناس كلهم أطاعـوا الله وعصـيت أنت لم تنفـعك طاعتـهم، ولو عصوا الله وأطعت أنت لم تضرك معصيتهم، يا ابن آدم: ذنبك ذنبك، فإنما هو لحمك ودمك، فإن سلمت من ذنبك سلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فإنما هى نار لا تطفأ، وجـسم لا يبلى، ونفس لا تموت» وصلى الله على سيدنا محـمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه/ سعد يوسف محمود أبو عزيز

أهم المراجـع

مسلسل	اسـم المرجـع	اسـم المـؤلف
١-	جامع البيان فى تأويل القرآن	للإمام الطبرى
٢-	الجامع لأحكام القرآن	للإمام القرطبى
٣-	مفاتيح الغيب	للإمام الفخر الرازى
٤-	تفسير القرآن العظيم	للإمام ابن كثير
٥-	فتح القدير	للإمام الشوكانى
٦-	فى ظلال القرآن	للإستاذ/ سيد قطب
٧-	الكشاف	للزمخشرى
٨-	الدر المنثور	للإمام السيوطى
٩-	روح المعانى	للإمام الألوسى
١٠-	التفسير والمفسرون	د./ محمد حسين الذهبى
١١-	التفسير القيم	للإمام ابن القيم
١٢-	مجموع الفتاوى	للإمام ابن تيمية
١٣-	تاريخ الإسلام	للإمام الذهبى
١٤-	سير أعلام النبلاء	للإمام الذهبى
١٥-	البداية والنهاية	للإمام ابن كثير
١٦-	قصص الأنبياء	للإمام ابن كثير
١٧-	الزواجر عن افتراف الكبائر	للإمام ابن حجر الهيثمى
١٨-	الكبائر	للإمام الذهبى
١٩-	من أنباء الرسل	أ./ عبد السلام محمد بدوى
٢٠-	الجزاء من جنس العمل	د./ سيد حسين العفّانى
٢١-	المبشرون بالنار	للشيخ/ محمد الصايم
٢٢-	تيسير المنان فى قصص القرآن	للشيخ/ أحمد فريد

مسلسل	اســم المرجــع	اســم المـؤلف
٢٣-	الحكم المضبوط فى تحريم فعل قوم لوط	لشمس الدين الغمرى
٢٤-	صفة الصفوة	للإمام ابن الجوزى
٢٥-	الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى	للإمام ابن القيم
٢٦-	روضة المحبين	للإمام ابن القيم
٢٧-	صحيح البخارى	
٢٨-	صحيح مسلم	
٢٩-	السلسلة الصحيحة	للشيخ الألبانى
٣٠-	صحيح الجامع	للشيخ الألبانى
٣١-	أعلام الموقعين	للإمام ابن القيم
٣٢-	صحيح سنن أبى داود	للشيخ الألبانى
٣٣-	مجابو الدعوة	لابن أبى الدنيا
٣٤-	الرياض النضرة فى مناقب العشرة	للإمام الطبرى
٣٥-	فضل العلم	د./ محمد سعيد رسلان
٣٦-	المنتظم	للإمام ابن الجوزى
٣٧-	من فاته بر والديه	للأستاذ/ مجدى الشهاوى
٣٨-	نهاية الظالمين	لإبراهيم الحازمى ط. دار الشريف للنشر بالرياض
٣٩-	تعظيم السنة	لعبد القيوم السحيبانى
٤٠-	الصحيح المسند من أسباب النزول	للشيخ/ مقبل الوادعي
٤١-	معجزات النبى ﷺ	للشيخ/ مصطفى العدوى
٤٢-	كشف اللثام عما فى كتب التفسير من الأوهام	د/ أبو عمر الأزهرى
٤٣-	الصراع بين النفس والمال	للشيخ/ عبد الحميد كشك
٤٤-	حياة الصحابة	للكاندهلوي
٤٥-	الصحيح من قصص النبى ﷺ	للأستاذ/ مجدى فتحى السيد
٤٦-	الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير	للدكتور/ محمد أبو شهبة
٤٧-	نساء الأنبياء فى ضوء القرآن والسنة	أحمد خليل جمعة

الفهـــرس


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إقرأ فى هـذا الكتـاب
٦٣ قصة من نهاية الظالمين

إقــرأ منهــم :

- الإلـــه الغـــريق .
- عاقـــبة المكــر الســـيء .
- تعفـــن جسده وهو حـــى . !!
- يرجمـــون قبره بعد مـــوته !!
- حبســـه الله فى جســـده !!
- مـــات كما يموت الحمـــار !
- جفـــت رجلاه وسقـــط .
- ينادى : ياويلاه النـــار النـــار .
- يجـر أمعاءه فى النـــار .
- لســـان الميزان يقف على لسانى .
- جعـل الله قبرها تحت قدمـــها !!
- رفضت الأرض إستقبال جثته !!
- رأس نبى تتكلـــم بعـــد المـــوت !!
- من رآنـــى فـــلا يظلـــمن أحـــداً .
- قـــارون عابـــد المـــال .
- هـتك الله ستره وقطع يـــده .
- ذبـــح فى المنـــــام !!
- أمر الرسول أن تضرب رأسه بين حجرين
- نزلت عليه صاعقـــة فأحرقتـــه !!
- الديـــــان لايمـــوت
- يرى جبلـين من نار عند المـــوت !!
- اللـــه الكـــافى .
- ذبح فى يـــوم عيد الأضحـــى .
- عـــند الله يجتمـــع الخصـــوم .
- جعلـــه الله آية للمؤمنيـــن .
- عـــابد المـــال .
- العـــابد الجـــاهـــل .
- أصـــابتنى دعوة ســـعد .
- عـــاقبة الظلـــم .
- جـــزاء المفســـدين .

9 789776 440814